

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للمعروف

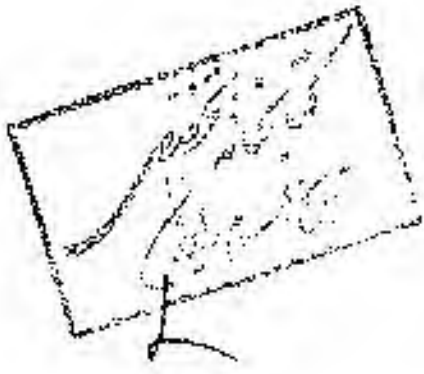
المجلد السابع

(١٩٩٠ - ١٩٩١ م)

(٧)

مكتبة المجمع العالمي للمعروف

١٩٩٠ - ١٩٩١



مجلد

المجمع العلمي العراقي

المجلد السابع
(١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م)

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٩٦٠ - ١٣٧٩

المثل

المثل في القرآن الكريم

« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون . »

« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون . »

« ونضربها في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا . »

« ونضربها في هذا القرآن من كل مثل ولله أن يمسكه أكثر شيء ومجددا . »

إن الحديد بالحديد يفلج .

﴿

إِنَّمَا شَأْنُ شَأْنٍ وَالْحَمَلُ حَمَلٌ .

الأمثال لا تغير في مضربها عن حال موردها .

إن صيغة (مَثَل) وما يشتق منها تنبئ عن معنى الحضور والظهور ، وقد تدل على المشابهة والمحاكاة ، تقول (مَثَل) الرجل بين يدي فلان ، أي حضر لديه منتصباً ، و « مثل القمر » أي ظهر ، و « مائل فلان فلاناً » أي شابهه ، و (مائل فلاناً بفلان) أي شابهه به ، و (فلان مِثْلُ فلان) أي شابهه و « ضرب له مثلاً » أي بين له حجة ودليلاً ، و « بسط له مثلاً » أي أوضح له حديثاً ، ولا يخرج الدليل والحديث عن دائرة معنى

المثل - المثل في القرآن الكريم

الظهور . و « تمثل الشيء » أي تصور مثاله - والمثال صفة مقدار الشيء - ولا يخرج تصور الشيء عن معنى حضوره في الخيال .

و « المثل » في مصطلح الأدب ، هو القول السائر الممثل بمضربه ، أي المشبهة حالة مضربه بحالة موصولة ، أي الحالة التي كان قد ورد فيها القول ، فهو استعارة تمثيلية مبنية على التشبيه المركب أي تشبيه الصورة المنتزعة من حالة المشبه بالصورة المنتزعة من الحالة التي كان عليها المشبه به ، على غرار قول بشار :

كان منار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهوى كواكبها

وقد حصر علماء الأدب قديماً وحديثاً الكلام « في المثل » بهذا المعنى الذي انتهينا من تفسيره ، بحيث أصبح « المثل » عند الإطلاق لا يقصد منه إلا هذا المعنى . وقد جمعوا ما تيسر لهم جمعه ، من الأمثال القديمة التي أصبحت أكثرها لا يتيسر معناه إلا بشرح قد يطول ، كما أن أغلبها قد نهر من أنس الاستعمال ، فاستوحش وصار غريباً لا يألّف أقلام الكتّاب ، ولا صحائف الكتّاب ، ولا سطور الصحف . وقد أُلّف فيها بعضهم كتاباً مثل كتاب الأمثال للمفضل الضبي ، وكتاب مجمع الأمثال للعبداني ، ونظمها بعضهم وشرحها في مجلد ضخم مثل كتاب فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ إبراهيم الأحمد الطرابلسي .

وقسم بعض أساتذة الأدب كلام العرب إلى منظوم ومنثور ، والمنثور إلى مرسل ومسجوع ، وإلى محاضرات وخطب وأمثال ، وعرفوا المثل بمثل ما سبق أن عرفناه به . ولا شك أن هذه التقسيمات مبنية على أوصاف يعتار بها نوع من الكلام عن نوع منه ، واعتبروا تمايز الأمثال عن غيرها من كلام العرب ، بكونها عبارات موجزة لبعض الناس فشت وسار استعمالها في المحادثات والمعاربات ، لتصوير الحال التي ذكرت فيه بالحال التي كانت قد أنشئت وقيلت فيه ، وذلك إما لطرافة في الصورة التي يحملها المثل ، وإما لأن

تلك الصورة توحى الى ذهن السامع ما لا تؤديه رسالة أو صحيفة أو سطور ، من تفسير أو إيضاح ، أو معنى آخر يقتضيه المقام . وهذا هو معنى الایجاز . فالسامع عند ضرب المثل له ترسم في ذهنه صورة حال مورده شارحة له حال مضرب المثل ، فيفهم المعنى المقصود من الكلام بكل الدقة والوضوح ، فهما جامعا شئى المتفرقات ، كما لو عرضت عليك صورة شخص لتعرفه اليك ، فانها تعرفه اليك وتحيطك به من حيثيته : المادية والمعنوية ، بأكثر مما تعرفه صحف عديدة أو رسالة مسهبه . فان المشاهدة تؤدي في التعريف ما لا يؤديه التوصيف .

كل ما مر بحثه من 'خطة الأدباء في المثل صحيح مقبول مشكور . ولكنهم قد اغفلوا في كلامهم وتقسيماتهم نوعين من الأمثال يشائق الأديب الى البحث فيهما ، وتدوين ما يتيسر تدوينه منها :

الأول — أمثال القرآن الكريم . وهي الأهم علماً ، والأغزر فائدة .
والثاني — الأمثال العامة . وهي من نوع الأمثال التي جمعها السلف من حيث الماهية والحقيقة ، الا انها من وضع العامة لم تراع فيها الفصاحة ولا البلاغة . فهي نوع من الأدب العامي .
ولا شأن لنا في هذا المقال بالأمثال التي بحث فيها الأدباء جمعاً وشرحاً ثم نظماً وتفسيراً .

أمثال القرآن الكريم

المثل في القرآن الكريم ليس من قبيل « المثل » المصطلح عليه عند الأدباء المعروف عندهم بالتعريف السالف الذكر أو بما يساويه معنى ، أو بما يعادله لفظاً ومعنى ، ولا هو على غرار . وليس هو من النوع الداخل في تقسيم المنثور الى الأقسام التي مرت الإشارة اليها آنفاً . بل هو نوع آخر أسماء القرآن الكريم (مثلاً) من قبل أن تعرف علوم الأدب « المثل » ومن قبل أن تسمى به نوعاً من الكلام المنثور وتضعه مصطلحاً له . بل من قبل أن يعرف الأدباء « المثل » بتعريفهم الذي سبق ذكره . فقال في سورة البقرة : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) .

المثل — المثل في القرآن الكريم

فالمثل يعرف القرآن الكريم هو الكلام الذي يقصد به تصوير حالة ، أو واقعة ، أو شخص ، لاعتباط القارئ والسماعين بالصورة التي صورها لهم ، أو لا يناسبهم بها ، سواء أطلال الكلام أم قصر ، وأشاع وفشا أم بقى في لوحته اللامعة مكتوباً محفوظاً . وهذا الضرب من الكلام من أبلغ صور التشبيه المركب ، وأدق ما يرى إليه البليغ من الوسائل التي تبرز المعاني الخفية المضرة ، سافرة الوجه ، واضحة الملامح ، جميلة المنظر . وإلى مثل هذا يقصد المصورون وأشباههم في وسائلهم الميسورة لهم ، وبهذا يتفاوت مقامهم ، وتبارى مهارتهم . وحسبك معرفة بفضامة هذا الضرب من الكلام أن جاءت به الكتب المقدسة كأثر في إرادته . « تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » .

وحسبك علماً بتأثيره في النفوس ، أن القرآن الكريم صدم بضرب الأمثال في كل مقام ومقال ، وأنه في أوائل صحائفه المشرقة بنور الهداية يادر بضرب المثل . فانه بعد أن قسم الناس في مفتتح سورة البقرة إلى متقين مفلحين ، وكافرين عنيد ، ومنافق خاسر ، ضرب مثلاً للمنافقين ، مسوراً حالتهم العجيبة ، بما يخفون وما يبدون ، ويسيرهم المعوج سير اليربوع في نافقائه ، ويترددهم بين التظاهر بالإيمان وبين إيمان الكفر وإضماره ، فإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، وبخبرتهم في أمرهم وعدم استجابتهم لدعوة الحق ، وبخبرتهم وخورهم وخذلانهم ، وبانصرافهم عن طريق الصواب وعن تدبرهم ما يسمعون من الحكمة والموعظة . أقول ضرب لهم مثلاً رسم فيه هذه المعاني السكامة في نفوسهم رسماً يكاد يأس باليد ، ويشاهد بالعين ، فقال : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عني فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق . يجعلون أصابهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . يكاد البرق يخطف

أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم أن الله على كل شيء قدير . وخص المنافق بالتمثيل دون المتقي والكافر ، لأن أمر كل منهما واضح ، وطوية كل منهما معلومة صريحة ، ذاك معلن بإيمانه مفلح ، وهذا معلن كفره معاند مبلس . فكل منهما معروف الحال ، مكشوف الديرة . بخلاف المنافق الخائن المختار ، المبطن للإنكار ، المستتر بالإيمان ، الخداع البغيض ، المتلون تلون الحرباء ، الغامضة سيرته ، الخبيثة طويته . فهو الحري أن ترسم صورته القبيحة ، ويكشف عن وجهه البشع الدميم . ليعرف بين الناس ، فينتقوا شره ، ويتجنبوا طرقة الملتوية ، وعمله المنكر ، وسيرته الشاذة . إن أمثال القرآن الكريم آيات بيّنات تصور المعاني الدقيقة والحالات الغامضة ، تصويراً بارزاً تكاد تلمس معالمه . تبعث في النفوس فرحة ، أو هيبة ، أو إرشاداً أو كشفاً عن حقيقة ، أو هداية إلى الرشدا ، أو نحو ذلك من المعاني الرفيعة التي توجه النفوس إلى قبة الخير ، ثم إلى تركيتها وتطهيرها من أدران الجوح والغفلة ، وترجي في القلوب أنواراً تنظر بها إلى عجائب الكون ، فتقرأ سفر الوجود آيات بيّنات ، وتترك فلسفة العالم العميقة الغور . فكل مثل من أمثال القرآن الحكيم يشرح للناس حقيقة من حقائق الاجتماع ، أو ضرباً من عجائب الطبيعة ، أو حجة دامغة لإثبات أمر انصرف عن ادراكه كثير من الناس ، أفك عنه من أمك ، وعاند فيه من عاند .

واليك ما يسر لي جمعه من أمثال القرآن الكريم بالمعنى الذي اصطلح عليه :

— ١ —

في تصوير حالة المنافقين وما هم عليه من الخيرة والخبت والغبابة والجن :

« مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً . فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون . صم بكم عمي فهم لا يرجعون . أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين . »

المثل - المثل في القرآن الكريم

(صَمٌّ) جمع أصم ، وهو من فقد حاسة السمع . (بُكْم) جمع أبكم ، وهو الآخرس .
(كَصَيْب) الصيب هو المطر ، أو المطر المنهمر المتدفق فقد جاء في الأثر ، اللهم أسقنا غيثاً
(صيباً) أي منهمراً متدفقاً .

فهذه الصورة التي رسمها المثل في ذهن السامع للمناقض يعجز المصور أن يصورها بريشته
وأدهانه ، وإذا أجهد نفسه في دقة التصوير ، فلا مناص له من أن يستمد المعونة من صورة
هذا المثل ، وإذا رافقه التوفيق في المعونة فلا إخال أنه يقدر أن يبعث الى ذهن الناظر من
الصورة التي أجهد نفسه في إخراجها ، بمثل ما يوحى به هذا المثل من أشكال ، ومعاني
وحالات ، وشؤون ، وحركات ، وسكنات ، وتخير ، وتخييط ، وغباوة ، وسوء فهم ،
وجبن ، وتعشق للحياة ، ونحو ذلك مما انطوى عليه المناقض ، وجبل عليه من الأخلاق
الذيلة ، التي أوحى بها المثل .

- ٢ -

في تصوير حالة المصلح الداعي الى الرشاد ، بين الضالين ، المعاندين وهو يدعوهم الى
الحق والصواب وهم عنه معرضون ، وقد دأبوا على سيرهم في غيهم .
« ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءاً . صم بكم عمي .
فهم لا يفتقرون » .

« ينعق » يصيح ، يقال نَعَقَ الراعي بغنمه أي صاح بها وزجرها .
فهذا المثل انزع صورة من حالة الراعي ، بين غنمه ناعقاً بها ، صائحاً زاجراً لها ،
وهي لا تعي ما يقول ولا تفهم منه شيئاً ، فلا تدرك منه غير صياحه وندائه ، لأنها لا تملك
جهاز إدراك المعنى والفهم . وشبهه بها حالة المرشد المصلح بين الضالين المعاندين ، وهو
يعظمهم ويخطب فيهم ، وهم لا ينتفعون بما يقول ، ويصرون على ما هم عليه ، وهم يملكون
جهاز الإدراك ، فلم يأتوا ولكن لا يسمعون بها سماع تفهم ، ولهم عيون ولكن عليها

غشاوة الضلال فلا يصرون بها منار الهدى ، ولهم ألسن ولكن لا تنطق بالصواب والحق ، فهم صم بكم عمي ، فهم لا يعقلون . فلا فرق بينهم في النتيجة وبين غنم الراعي وهو ينطق بها .

— ٣ —

في تصوير مكاسب من يبذل ماله في سبيل الخير ، وما يجنيه من الثمرات .
« مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم » .

فتصور بداعة منظر لشخص يدفع درهما في سبيل الخير لا يقصده إلا وجه الله والمنفعة العامة وبجانبه شخص آخر يزرع حبة من حنطة مثلاً في أرض طيبة ، فنبتت الحبة ونمت وتفرع منها سبع سنابل أو أضعاها ، خضر مليئة بالحلب ، تحمل كل واحدة منها مائة حبة أو أكثر يأخذها زارع الحبة ، ودافع الدرهم ينظر ، مؤملاً أن ينال من الثواب الكثير مثل ما نال صاحب الحبة من الحب الكثير . فهذا التمثيل يشرح مكاسب عمل الخير أتم شرح ويدعو إلى عمل الخير ويسوق إليه .

— ٤ —

في تمثيل الباذلين أموالهم مباهةً ورثاءاً للناس أو لغرض شخصي ، لا يقصدون به فعل الخير .

« فثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلداً . لا يقدرون على شيء مما كسبوا » .

(صفوان) صخر أملس . (وابل) مطر شديد ضخيم القطر (صلداً) صلباً أملس .
فهذا المثل يبدي أجلى منظر لحالة المنفق ماله رثاء الناس ، وما كسبه من الثمرات ، وما آلت إليه نفقته من البطلان والخمران .

— ٥ —

في حالة الباذلين أموالهم بسخاء من أنفسهم بغية مرضاة الله تعالى وإرضاء ضمائرهم ،

المثل — المثل في القرآن الكريم

وما تؤثله أعمالهم من خير يحقق .

« ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتبلياً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلت » .

(جنة) بستان . (الربوة) ما ارتفع من الأرض . (الأكل) الثمر والرزق . (الطل) الندى ، أو أخف المطر وأضعفه .

فالمثل هنا يرسم صورة زاهرة تعبر عن نفقة المنفقين أموالهم للخير وما تؤتيه من نفع . فهو يصورها ببستان — وهي تجمع أنواع الثمرات — قائمة على أرض مرتفعة تستدر المطر الشديد فيصيبها ، أو يصبها الطل إن لم يكن مطر . فهي رياً دائماً ، متحققة الإثمار على كل حال ، يتضاعف ثمرها لركاة مائها وطيّب تربتها . فنفقة الخير الخالصة لله هذه صورتها .

— ٦ —

في من يبطل آثار عمله الصالح بالحقاقه إياه بعمل مفسد له . فمن ينفق ماله في سبيل الخير ثم يتبع نفقته بالمن على من أنفق عليه أو بأيذائه بتعيبه بها ، فإن كرامة نفقته تزول ، ويمحى أثرها . وقد ضرب هذا المثل في هذا المضمار .

« أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبير وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت » .

(إعصار) ريح تهب من الأرض كالعمود ، أو ريح تغير السحاب ، أو التي فيها نار . يتضمن هذا الكلام مثلاً بارعاً لمن يحصل على نتائج مرضية من جهوده ثم يطرأ عليها ما يحوّلها من الوجود والاعتبار ، وليس له قوة ولا نصير لدفع ما ألم بها .

— ٧ —

في حالة المرابي من انشغال باله بأغناء ماله بلا تعب ، وذهوله عن نفسه باضطراب ذهنه دائماً في حساب الدينار والدرهم والفلس من الربا ، وتحضير ما يدعو إلى خضوع المراجعين لأمره من أساليب ، وتعمقه في الحساب الدقيق .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

أي كما يقوم المجنون في حال جنونه إذا صرع وسقط ، فما أصدق هذا التصوير المعجز ،
في المرابي . يقال : (تحبطله الشيطان) إذا مسته بأذى .

— ٨ —

في بيان مصير ما ينفقه ذوو المبادي* الفاسدة الرخيصة لتدعيم مبادئهم ، وما تخلفه
تلك النفقات .

« مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرث قوم ظلموا
أنفسهم فاهلكته . وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .
(الصرٌّ) شدة البرد .

فهذا التصوير يؤدي أوضح بيان عن مغبة مثل هذه النفقات ، فلما تضيء ولا يبقى
لها أثر ، كما تهلك الريح العاصفة ما أتت عليه من زرع ونحوه .

— ٩ —

في تصوير حالة من يرجع الى ما كان عليه في ماضيه الأسود ، بعد ان دخل في حياة
مشرقة بنور الصلاح والهدى .

« كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى إئتنا . قل
إن هدى الله هو الهدى » .

(استهوته) إستزلتته ، أو زينته له هوامه . (حيران) لا يهتدي لسبيله .

— ١٠ —

في المقارنة بين من يستجيب للمصلحين فيستمع القول ويتبع أحسنه ، فيصبح عضواً
صالحاً في المجتمع ، وبين من يبقى عاكفاً على ضلاله .

« أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يحشى به في الناس كمن هو في الظلمات ليس
بمخرج منها » .

— ١١ —

في طيب الأصل وزكاة المنبت ، وفي فساد الجذم وخبث المنبت .

المثل — المثل في القرآن الكريم

« والبلد الطيب يخرج نباته بأذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا » .
(نكداً) قليلاً عسراً .

فما أدق هذا التمثيل في طيب الأعراق وخبثها وما ينبعث عنها من نتائج صالحة أو طالحة .

— ١٢ —

في من يريم على سوء خلقه ، ويقوم على قبيح عمله ، ولا ينفع فيه ما يدعو إلى تعديل
ما اعوج فيه ، وتبديل ما قبيح منه ، فهو لا يقلع عن خطئه .

« فمثل كمثل السكب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل الذين كذبوا
بآياتنا » .

(إن تحمل عليه) أي تهاجمه . (يلهث) يخرج لسانه تعباً أو عطشاً .

ولا تخفى طرافة هذا التمثيل ودقته في الموضوع .

— ١٣ —

في الغافل الذي لا ينتفع بما يملكه من وسائل الانتفاع .

« ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين

لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل . أولئك هم
الغافلون » .

(ذرأ) خلق . (قلوب) عقول . القلب يطلق على العضو المعروف في الإنسان الذي

يضخ الدم الواصل إليه ، إلى المجاري الدموية . ويطلق على العقل . والقرآن الكريم جرى

على هذا الاطلاق الثاني ، وكذلك أكثر الأحاديث النبوية . فهذا المثل يصور من ملك

العقل والبصر والسمع — وهي وسائل الفهم — ولم ينتفع بها فيما يراه ويسمعه ويشركه ،

يصورهم بالأنعام التي لا تملك العقل فلا تدرك مما تراه وتسمعه إلا قدر ما يهديها إلى رزقها

وما يشعرها بما يضرها — ألهمها فجورها وتقواها — بل قدر أن الأنعام أحسن حظاً منهم

لأن الأنعام تدرك هذا القدر من ضرورتها مما تسمع وترى ، وهم غافلون .

في تصوير صفة الحياة الدنيا في تقلبها، كتجربتها بعد الشراحتها، وانقباضها بعد انطلاقتها، وانطفاء جمالها بعد بهرجتها وازدهارها، وعسرها بعد يسرها، وضيقها بعد اتساعها، فهي لا تستقر على حال فلا تصلح أن تكون منتهى ما يتطلبه العاقل، والغاية المثلى التي يجري وراءها :

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام . حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس . كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون . »

(زخرفها) كمال حسنها وألوان نباتها . (حصيداً) محصودة لا زرع فيها (لم تغن) لم تسكن .

فهذا المثل المبين لتقلب الحياة من صفو إلى كدر، ومن زهر إلى عدم، ومن أمل إلى يأس، ومن رجاء إلى قنوط، لأبلغ مثل لقوم يتفكرون . يعجز أمهر المصورين من تصوير ما جاء به، منها أوتي من أصباغ وریش، ويقف النحات عند حده منها أوتي من ألواح طيعة وأزاميل قوية حادة .

في بشاعة وجوه الكافرين يوم الحساب :

« كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً . »

(أغشيت) غطيت . فالوجوه الكالحة المظلمة من سوادها، لا تمثل بأبلغ من أن تكون قد غطيت بقسطع من الليل المظلم، لا بقطعة واحدة منه . فالذهن يستخلص من هذا المثل الموجز صورة بالغة في السواد والقبح، فتدركه عظة بالغة، لا تدركه من لوحة المصور وإن عظم حجمها وأغتمق سوادها فأجماً . فما أبلغ هذا الإيجاز .

المثل — المثل في القرآن الكريم

— ١٦ —

في من يتطلب الشيء ممن لا يقدر عليه ، أو من يطلب المحال .
« كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه . وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » .
فالقرآن العظيم ضرب هذا مثلاً لعبدة الأوثان ونحوهم ممن يتضرعون إلى غير الله
طالبين منه ما يرجون حصوله وتحقيقه من الشؤون . ومن المحال أن يستجيب لهم .
ولا أبلغ من صورة هذا المثل في الموضوع .

— ١٧ —

في الموازنة بين الضال والمهدي .
« مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبعير هل يستويان مثلاً » .
لا يستويان بلا شك .

— ١٨ —

في المقايضة بين الضال والراشد ، والضلال والهدى :
« قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور » .
فالضال كالأعمى الذي لا يرى المصلح ولا يسمع ما يقوله سماع تفهم ، والمهدي
الراشد بصير يرى المصلح ويسمع ما يقوله سماع تفهم .
والظلمات تطمس السبل والصُّوى ، وتضل الدليل وتغشى الحقائق ، وهكذا الضالون .
والنور ينير السبل ويجلّس الصُّوى ويظهر الحقائق ، وهكذا المصلحون .

— ١٩ —

في الحق والباطل وثبات الحق وزوال الباطل :
« أنزل من السماء ماءً فسالأت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً . وبما توقدون
عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله » كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد
فيذهب جفاءً واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض . كذلك يضرب الله الأمثال »

(رأبياً) عالياً على وجه الماء . (حلية) ما يزّين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .
(جفاء) ما رمى به الوادي الى جنباته من الغشاء .

صور هذا المثل للحق والباطل صورة مشتقة من سبيل الوديان عياد الأمطار الغزيرة الجارفة تحمل على وجهها ما اعترضها من غشاء زبداء رأبياً ، كما تحمل معها مواد نافعة للزراعة والعشب ، فهذا السيل الطافي يرمي في مسيره بالزبد الى جنباته ، إذ لا فائدة فيه للأرض فيذهب جفاءً ، وما ينفع الزراعة والعشب من المواد كالغرين ونحوه ، ييسطه على وجه الأرض ما كثر فيها لينتفع منه الناس . فالباطل مثل هذا الزبد يذهب جفاءً وان جاء ركباً ظهر الماء . وما ينفع الناس يبقى ثابتاً على وجه الأرض وان جاء سائحاً مع الماء . ويتمثل المثل هذه الصورة بحال المعادن من ذهب وفضة وحديد وصفر ونحوها ، عندما يراد الصنع فيها فتسلط عليها حرارة عالية تصهرها حتى تذوب فيظنوا ما خالطها من مواد خبيثة غريبة عنها زبداء رأبياً على وجه الدوب ، فينفي المصانع هذا الزبد ويرمي به جفاءً وتمسكت مواد أصل المعادن في محلها محتفظاً بها ، فيصنع منها الحلي للزينة ، أو الأمتعة الأخرى من سائر مرافق الحياة . فهذا الزبد يمثل الباطل الذي يزول ويذهب وان علا وقتاً ما ، وأصل مواد المعادن التي تبقى للانتفاع منها تمثل الحق الذي يبقى راسخاً في محله يصارع الباطل فيزهره .

— ٢٠ —

في صفة الجنة التي يستحقها المتقون بوعد الله وتوابه :
« مثل الجنة التي وُعد المتقون تجري من تحتها الأنهار كأنها دائم وظلها . تلك عُقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار » .

(عقبى) جزاء . فالعقبى جزاء الأمر ، يقال أعقبه أي جازاه .
فهذا المثل يصور الجنة التي وعد الله تعالى المتقين بها . وما أُلطف صورتها في المثل ؟ . فهي عقبى الراغب فيها وجزاؤه ، كما ان النار جزاء الكافر بالله الجاحد نعمه وفضله .

— ٢١ —

في مغبة أعمال المفسدين وما تقدموا به من خير على زعمهم :
« مثل الذين كفروا بربههم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يتقدرون مما
كسبوا على شيء . ذلك هو الضلال البعيد » .
(يوم عاصف) يوم تعصف فيه الريح أي تشتد .

يصور المثل أعمال المفسدين وآثارها في سبيل الفساد برماد عصفت به الريح في يوم
استمرت فيه الرياح العاصفة ، (يوم عاصف) فحقت آثاره ولم يبق منه شيء ، ما يقدر صاحبه
على الاحتفاظ به والإفادة منه . فأصبحت أعمالهم المبينة على الفساد والإفساد هباءاً منثوراً .

— ٢٢ —

في قوة الكلام الطيب وتأثيره الطيبة ، وقوة الكلام الخبيث :
« ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء
تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون . ومثل كلمة
خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار » .
(اجتثت) استؤصلت . أي قطعت بعروقها ، لضعف العروق .

الشجرة الطيبة مثل النخلة من الأشجار الراسخة العروق في الأرض لا تقتلعها الرعازع ،
تعطي الناس ثمراً طيباً في موسم الإثمار حيناً بعد حين . والشجرة الخبيثة مثل الحنظل من
الأشجار التي لا قرار ولا رسوخ لها في الأرض فهي تنزع من أصلها بأقل عمل ، وتقتلع
بمجردوها بأدنى عمل ، ولا يجتني منها غير خبيث الثمر ورذاله . وكذلك الكلام الطيب
يدخل في القلوب فيبقى راسخاً فيها ، وتحفظه الكتب فيبقى حياً فيها إلى ما شاء الله ،
يغذي النفوس بطيبه كلما رددته الألسن ، وينفذ من الأسماع إلى قرارات النفوس فيستقر
فيها ، فتنعم بطيبه وخيره ، وتهنسأ بثماره المعنوية . والثمار المعنوية خير وأبقى من الثمار
المادية . والكلام الخبيث لا يقوى على القيام بنفسه ، تكرهه الأسماع ، وتمجسه النفوس ،

فلا قرار له ولا بقاء ، كالضباب يعطي الرياض برهة فيزول ، والنفوس منسوبة منقبضة ، والقلوب له كارهة .

— ٢٣ —

في من ينجز عملاً صالحاً مفيداً له أو له وللجتم ، ثم يفسده ويبيطه بعد إتمامه بعمل قبيح ، فيخسر الفائدة والثواب ، ويضيع الوقت بالعبث .
« ولا تكونوا كالتي نقبت غزلها من بعد قوة أنكاثا » .
(النسكث) بالفتح النقص ، و (الينكث) بالكسر ما نقص من الغزل والأكسية ، جمعه (أنكاث) .
فما أوجز هذا المثل ؟ وما أدقه ؟ في تصوير مثل هذا العمل الذي لا يأتي به إلا أخرق أحمق .

— ٢٤ —

في زوال النعمة بكفرانها بطراً ، وحلول النعمة بدلها ، جزاءً وفاقاً .
« وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .
الرزق (الرغد) الطيب الواسع . يقال رغد عيشه رغداً إذا طاب واتسع .
فشكر النعمة بالعمل بها في الصالحات ، يديمها ، وكفرانها بالعمل بها في الموبقات والتبذير ، وبالتخلف عن الشكر ، يزيلها .

إذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم

فأمهر المصورين لو أراد أن يصور المذهن في لوحة ، قرية تتدفق عليها الخيرات الناعمة الكثيرة من سائر الأماكن والأطراف . وأهلها آمنون بما يسكدر صغورهم ، مطمئنون في رغد عيشهم ، ثم يأخذهم البطر ، فينصرفون عن رعاية تلك النعم العظيمة بالشكر ، إلى كفرانها بالعمل خلاف مقتضى الشكر ، فتضيع النعم ، ويحل البؤس والنقم ، فيتبدل رغد

المثل - المثل في القرآن الكريم

عيشهم جوعاً ، ورعاية أمنهم وحلاوة طعامهم ، خوفاً مخرجاً مرأ ، أقول لو أراد المصور الأمر أن يتعسف الأذهان بتصوير هذه الشؤون والمعاني ، الاعتبار ، لوقف عاجزاً أن يأتي بما يقارب ما يصوره هذا المثل الموجز لفظاً الواسع المطلب معنى .

— ٢٥ —

في المقايضة بين الصنم العاجز ، وبين الخالق القادر ، أو بين الأمة المستعبدة المقيدة ، وبين الأمة الحرة الطليقة المالكه نفسها .

« ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهرأ هل يستويان » .

صورة كلها بيان ودقة في إظهار البون الشاسع بين الفريقين ، ليدر لك ذوالالب أي الفريقين أحق بالاعتبار .

— ٢٦ —

في الموازنة بين الفساد البليد العاجز السكل على غيره ، وبين المصلح المستقيم اللامع .
« وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَا يوجهه لا يأت بخير هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم » .
(السكَلُ) الثقل لاخير فيه ، جمعه كلول .

المثل يصور للذهن شخصين ، جمع أحدهما الأبكم والعجز والبطالة وثقل الطبع ، على من يعتمد عليه ، لا يأتي له بخير في أي عمل يوجه إليه . ويصور له شخصاً آخر مصلحاً ، على نهج مستقيم ، يطلب من الناس الأخذ بالعدل في أعمالهم وتصرفاتهم . ثم يطلب منك أن توازن بينهما في المائلة والمساواة .

— ٢٧ —

في الطاغى المغرور بحاله الغافل عن شكر الله (ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى) .
« واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحققناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعاً . كلتا الجنتين آتت أكلسها ولم تظلم منه شيئاً وسفرنا خلالها نهراً . وكان له غر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبعد هذه أبداً . وما أظن الساعة تأتيه ولن يردت إلى ربي لأجدين خيراً منها منقلباً . قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً . لعلنا هو الله ربي ولا أشرك به أحد . ولو لا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إذ ترى أنا أقل منك مالاً وولداً . فمسي ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً . أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً . وأحيط بشعره فأصبح بقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول ياليتني لم أشرك به أحد . ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً .

(يحاوره) راجعه في الكلام . يتسأل (تحاوروا) أي تراجعوا الكلام بينهم . (حسباناً) جمع حسبانة وهي الصاعقة والبردة (الصعيد) وجه الأرض (زلقاً) أملس لا تثبت عليه القدم . (غوراً) غائراً ذاهباً في جوف الأرض . (خاوية) ساقطة . (عروشها) العرش ما يستظل به كالعريش ، وعرش البيت سقفه . وعرش الكرم فروعه ودواليه تفرش على قوائم خشب ونحوه فتصبح كالفضلة .

فما أبلغ ما صورته هذا المثل من غفلة المعرور ، وترفعه بغروره على من هو دونه في الثراء ، وتقصه وزهوه وخيالاته في المحاورة ، وجهله قيمة نفسه وضعف قوته ، وازدراءه بصاحبه ، وما اكتسبه في غروره من خسران قطيع ، مع فقد الناصر له ، ومجافاة النصير إياه . وما أبلغ هذه الصورة عظة للأذهان المدركة .

- ٢٨ -

في زهرة الحياة الدنيا الفانية :

« مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح . »

المثل المثل في القرآن الكريم

(هشيماً) يابساً منكسراً . (تذروه) تفرقه وتطيره وتذهب به .
أبين مثل ، وأعظم تصوير ، للحياة الدنيا . فبينما نراها زاهرة عملاً الصدور فرحاً ،
والنفوس سروراً ، والقلوب آملاً ، إذا هي مظلمة داكنة ، طعمها صاب ، وأيامها عذاب ،
بعد أن كانت عذاباً ، ومباهجها أحلام وسراب ، كالنبات يهيج الفيت الدّوم ، فتصبح
الأرض مخضرة بيضرة ، شاذية عطيرة ، حتى إذا استغلت وأستوى ، وبلغ المدى ،
أصبح هشيماً تذروه الرياح كأن لم يكن بالأمس . وهكذا الحياة الدنيا وزينتها .

— ٢٩ —

في ضعف الباطل ، ووهنه وخوره ، أمام الحق في سلطانه وقوته وسطوته .
« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق » .
(نقذه) يرمي . (دمغ فلان فلاناً) ضربه على دماغه . فالتعبير في المثل (يدمغه)
من باب المجاز (زاهق) مضمحل . زهق الباطل أي أضمحل .
أروع مثل يصور بأوجز عبارة ، مبلغ قوة الحق وسلطانه على الباطل ، وأن الباطل
لا يقوى على مصارعة الحق ، فالحق راسخ والباطل مضمحل .

— ٣٠ —

في من يخضع له الناس ، ويستمدون العون منه ، وهو في الحقيقة والواقع عاجز عن
الذب عن نفسه وماله .
« ضرب الله مثلاً فاستمعوا له . إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو
اجتمعوا له . وإن يسألهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب » .
(استنقذه منه) خلصه منه واسترجعه إليه .

أطرف وأدق مثل في تصوير من يتخذ الناس سنداً وغوثاً في شؤونهم ، وهو أضعف
من الذباب وأحط منها في الواقع ، كالأصنام ، فانه عاجزة عن دفع الذباب عنها . بل هي عاجزة عن
استرداد ما يأخذه الذباب عنها من غيوب ضمخت بها ، ودهون مسحت بها . فما أسفه

من يعبدوها ، وما أجهل من يستنجد بها . ومثلهم في الحكم من يتخذ شرار الناس أئمة ،
وضعافهم قادة . وضلألهم هداة . والله الأمر من قبل ومن بعد .

— ٣١ —

في كيفية استيلاء الله تعالى على العالم ، وانكشاف العالم وظهوره بوجوده وقدرته
وحكمته :

« الله نور السموات والأرض . مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كأنها كوكب دريٌّ يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد
زيتها يضئ ولو لم تمسه نار . نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء . ويضرب الله
الأمثال للناس والله بكل شيء عليم » .

(المشكاة) الطاقة غير النافذة . وقد شرح الإمام الحجة أبو حامد الغزالي عليه الرحمة
في رسالته (مشكاة الأنوار) هذا المثل العظيم شرحاً اقتبس أنواره من نور الآهية ،
بالهام من بحلى الربوبية .

وليس بمقدوري أن أوفي هذا المثل المعجز حقه من الشرح والتأويل في هذا المقال الموجز
بيد أني اعتقد أن من تدبره وتعمق في تفهمه ، وله ذوق صوفي ، وعلم بالأشعة والأنوار ،
يدرك منه تصوراً بليغاً لوجود العالم وقيامه بوجود الواحد القهار ، الذي ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير .

— ٣٢ —

في تصوير مبلغ أعمال المفسدين -- ومنهم الكافرون بالله أو بآلئمه -- المخادعين ،
ومقدار نفعها والاتفاح منها .

« والذين كفروا أفعالهم كمراب ببيعة يحسبه الضمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده
شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب . أو كظلمات في بحر لجي يغشاه
موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد

المثل - المثل في القرآن الكريم

يراهنا . ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور » .
(السراب) شعاع يرى على الأرض وسط النهار في شدة الحر يشبه الماء . (قيمة)
جمع قاع . (الجي) عميق . (الضآن) العطشان .
يصور هذا المثل أعمال المفسدين التي يخدع ظاهرها ، وهي لا قوام لها ولا حقيقة
تقوم عليها ، بالسراب الذي يخدع الضآن ويضله ، فيسعى اليه متلهفاً طلباً للماء ، فإذا جاءه
لم يجد ماء . فيخيب أمله ويضيع سعيه ، ويندم على ما فات ، إذ لم يفتنع بتشبهه بالسراب .
وهكذا أعمال المفسدين . وهي من وجه آخر كقطع الليل المظلم لا يقين منها خير وليس
لها بصيص من نور يرمى ، بل هي حالكة أشد الحلكة ، كظلمات في بحر عميق تغتد
الظلمة فيه وحشة ، تتراكب الأمواج عليه بعضها فوق بعض ، فتزداد الظلمة حلكة .
سماؤه سحب ، وماؤه عباب . نهاره فاحم ، وليله قائم . ظلمات بعضها فوق بعض .

- ٣٣ -

في تصوير من يلتجئ في اتقاء سوء والاستزادة من الخير ، الى ملجأ وهين لا يدفع
ضراً ، ولا يدرأ شراً . أو يأوى الى ركن ضعيف ، لا يسند من ركن اليه ، ولا يحمي له ظهرا .
« مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن
البيوت لبیت العنكبوت » .

(الولي) النصير والمنعم ، جمعه (أولياء) ، (أوهن) أضعف .

ما أصدق هذا التصوير البارع لمن يستقوي بغير الله تعالى ، ويستعين في درء
المكارد عنه بغير القادر القاهر ، ويتخذ غير الله تعالى ولياً له .

- ٣٤ -

في خطأ اعتقاد الإنسان بأن يكون لله شريك في ملكه ، بدليل مما عليه الإنسان
في ملكه .

« ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء

في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم . كذلك تفصل الآيات لقوم يعقلون . بل اتبع الدين فالهوا أهواءهم بغير علم .

(ما ملكت أيمانكم) أي ممالككم .

وجه المثل ، هو أنكم لا تسلمون بأن يكون لما يملككم شركة معكم في أموالكم وأرزاقكم ، ولا تعتبرونهم سواء معكم في تلك الأموال ، فتلاحظونهم كما تلاحظون أنفسكم فيها ، ولا ترضون بذلك ، فينبغي أن يكون الأمر كذلك في الله تعالى مع عباده ، فلا يجوز أن يكون لأحد من عباده شركة معه في شيء من ملكه . فما لا ترونه صحيحاً فيكم ، كيف يجوز لكم أن ترونه صحيحاً في حق الله تعالى . فالضرورة التي لا تستبجحونها لأنفسكم لا يجوز أن تستبجحوها في حق الله تعالى ، والحال التي لا ترضونها لأنفسكم كيف ترضونها لله تعالى . فلا شريك لله تعالى في ملكه .

— ٣٥ —

في تمثيل حالة من رافقه الضلالان ، وجهاء التوفيق ، وعدته الهداية ، وحالته الضلالة ، فأصبح لا يرى نور الحق ، ولا منار الصواب . ولو كانت له عينان برأفتان . « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون » .

(الغُل) ملوك من حديد أوقد يجمل في العنق أو في اليد . جمعه (أغلال) . (الذين) جمع اللحيين ، (مقمحون) رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها . يقال (قح الغُل) الأسير) ترك رأسه مرفوعاً لضيقه . (فأغشيناهم) غطيناهم .

لو أراد المصور أن يصور مثل هذا الخائب الخاسر ، تصويراً يوحي إلى الدهن حالة الشخص الذي لا يرى نور الهدى الساطع ، ولا مناره اللامع ، وهو حديد البصر ، عاني النظر ، لما استطاع في أداء مراده أن يخرج عن الحدود التي رسمها هذا المثل في تصوير تلك الحالة .

في تمثيل عناد الجهول العنيد الذي لا يتدبر ولا يتذكر .
« وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما
فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون . قالوا ما أنتم إلا بشرٌ مثلنا وما أنزل الرحمن من
شيء إن أنتم إلا تكذبون . قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون وما علينا إلا البلاغ المبين .
قالوا إنا تطيرنا بكم لنزله لم تنتهوا لرحمتكم ولئن كنتم فرقة فإنا لبالغون من العداوة إليهم . قالوا طائركم معكم
إن ذكرتم . بل أنتم قوم مسرفون » .

(فعززنا بثالث) فقويتها بثالث ، يقال (عززه) أي قواه . (تطيرنا) تشاءنا ،
يقال تطير به وتطير منه ، والاسم (الرطيرة) وضدها القأل ، كأن يسمع المريض (يا سالم)
وطالب الضائع (يا واجد) .

كتب هذا المثل أوضح تصوير للعنيد الجهول : يكذب بلا دليل ، ويرد الشاهد بلا
حجة ، ويقيم نفسه مقياساً لغيره فلا يجوز أن يكون من هو من نوعه ومثله أرفى منه ،
وإذا أعوزه الدليل أصر على الإنكار والتكذيب ، لا يسأير بحجامة الخصم آياه ، وإذا خسر
الحجة لاذ بالتشنيع والتهديد ، وهو بعد هذا لا يرجع إلى التفكير في نفسه وسوء
عمله ، ليعرف نفسه ، ومن هو ، وكيف يجب أن يناظر ويجادل ، ويكسب الصواب . إنه
لمثل عظيم ، من عزيز حكيم .

في تصوير الفرق الكبير واليون الشاسع ، بين الخالص لجهة واحدة وبين المرتبط
بجهات مختلفة : كالموحد والمشارك ، والخالص والمنافق .

« ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان
مثلاً . الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون » .

(منشاكون) مختلفون عيرون ، أي متنازعون صعبة أخلاقهم ، والشكس ، هو صعب الخلق ، جمعه (شكس) . (سكس) خالصاً . نعم . لا يستوي المستقل والمشارك . فإن بينهما تفاوتاً عظيماً في السلوك ، والتصرف ، والاستقلال ، والميزة . فالمشارك منهط في هذه الأمور ونحوها عن الموحد . والمنافق بعيد فيها كل البعد عن مقام الخلق .

— ٣٨ —

في تصوير النعيم المقيم ، والمعيشة الرغدة .
« مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن . وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى . ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم » .
(آسن) متغير الطعم ، ومثله الآجن ولكن تغير الآجن شديد يعافه الشارب .
(لذة) لذیذة .
ما أطيب العيش في هذا المعنى وما أله . جمع أطايب النعم ، ولا سائل فيه ولا مسؤول ، ولهم مغفرة من ربهم .

— ٣٩ —

في تمثيل الحياة الدنيا ، الزاهرة ، فالذابة ، فالقانية .
« إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً » .
(أعجب الكفار) أعجب الزارع . فالزارع يسمى كافراً وكذلك الليل والبحر ، من كفر الشيء إذا غطاه (حطاماً) ما تكسر من اليبس .
تصوير بليغ لحياة تبسم فتعبس ، وتزهر فتذبل ، وتشرق فتغيب ، وتنمو وتموت . وما عند الله خير وأبقى .

المثل — المثل في القرآن الكريم

— ٤٠ —

في جلال القرآن العظيم ورواقاته ، وما يحمله للناس من حكم وعلوم وهدى وموعظة ، وما ينطوي عليه من ترغيب وترهيب ، وتيسير وإنذار .
« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله . وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » .

(خاشعاً) ذليلاً خاضعاً . (متصدعاً) متشققاً ، الصدع الشق في شيء صلب — فاصدع بما تؤمر ، أي شق جماعتهم بما تؤمر به وهو التوحيد .
هكذا القرآن العظيم كلام الله تعالى ، جلالة ووقاراً وعظمة ، فهو حري أن تذلل وتخضع له الجبال التي هي أقوى أوتاد في الأرض ، وأن تنشق طبيعته وجلاله ، لأنه أقوى منها وأرسخ . — فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً وخرد موسى صعباً — .

— ٤١ —

في تصوير من يملك خزائن العلم ولكن لا يفيد منها شيئاً ، وهي أقرب إليه من حبل الوريد :
« مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا . بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله » .

(أسفارا) كتباً ، جمع سفسر وهو الكتاب .
أطرف تصوير ، وأطرف تمثيل ، وأصدق تقرير ، لمن كانت وسائل العلم منه على التمام وهو لا يستفيد منها ، أو كان عالماً بعلم ولكن لا يعمل به . فهو شبيه بحمار أوفر كتباً .
— والكتب أوعية العلم — فإن كلاً منهما لم يستفد من الكتب التي لديه ، والعلم الذي يحمله على ظهره أو في صدره .

— ٤٢ —

في تمثيل من أوتي بسطة في الجسم ، ورثياً في المنظر ، وزخرفاً في القول ، وهو أحمق

وعديد ، يخاف من ظله :

« وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم . وإن يقولوا تسمع لقولهم . كأنهم خشب مسندة . يحسبون كل صيحة عليهم » .

(خشب) جمع خشب . (مسندة) ممالة إلى ما يسندها كالخائط .

وهذا خلاف من أوتي بسطة في العلم والعقل والجسم ، فهذا الثاني عالم قوي أخو صدق وذلك الأول جاهل جبان عدو ، خداع منظره ، وخرف قوله .

— ٤٣ —

في أن كل امرئ يحزى بعمله ، له ما كسب وعليه ما اكتسب ، لا ينفعه أو يضره في ذلك حسب أو نسب .

« ضرب الله مثلاً للذين كفروا أمراً نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فويل ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلاً للذين آمنوا أمراً فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين . ومرم ابنت عمران التي أحضت فرجها فنفضنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين » .

ما أوضح هذا المثل وأصدق في ميزان الأعمال ، فإن الأعمال أنفسها هي الموازين والمقاييس والمعايير لأنفسها ، لا دخل في هذا لشريع ولا لصديق حميم . (يا فاطمة بنت محمد أصلي فلن أغني عنك من الله شيئاً) .

— ٤٤ —

في تمثيل مقام الصادقين المخلصين في أعمالهم الصالحة ، جزاء وفاقاً :

« متكئين فيها على الأرائك لا يروى فيها شمس ولا زمهرير » . ودانية عليهم ضلالتهم وذلك قلوبها تذللاً . ويطلق عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً . قوارير

المثل - المثل في القرآن الكريم

من فضة قدروها تقديراً ، ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً ، عينا فيها تسمى
سلسيلاً ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ، وإذا رأيت ثم
رأيت نعيماً ومسلكاً كبيراً ، عالمهم ثياب سندس خضر وإستبرق وخطوا أساور من فضة
وسقاهم رهم شرباً مطهوراً إن هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً .

(الأرائك) جمع أريكة وهي سرير منجد مزين في قبة ، أو كل ما يتكأ عليه من
سرير ومنصة وفراش . (زمهريرا) برداً شديداً . (قطوف) جمع قطف ، وهو
العنقود وكل ما يقطع من الثمار أي يقطف (مزاجها) مزاج الشيء ما يخلط به ،
والزنجبيل مادة تخلط بالماء فتستلذ العرب بشربه (سندس) نوع من رقيق الديباغ .
(إستبرق) ما غلظ من الديباغ .

تصوير وتمثيل لمقام كريم ، فيه نعيم مقيم ، ومملك عظيم ، ثواباً من عند الله
والله عنده حسن الثواب .

هذه طائفة من أمثال القرآن العظيم بإسقاط القرآن نفسه ، تصور لك الحقائق ،
وتهدي إلى سواء السبيل .

وطريقة ضرب الأمثال الصحيحة في كشف الحقائق ، وبيان الأمور المهمة ،
وتوضيح الشؤون المعنوية ، طريقة تعليمية مثلى ، لا تتيسر إلا لمن أسبغ الله عليه
فضله ، - والله ذو الفضل العظيم - كالإمام الحجة الغزالي عليه الرحمة ، وأضرابه من
الائمة الذين أقاموا أنفسهم وعظماً مرشدين ، وهداة مخلصين . فقد سلكوا في إرشادهم
هذه الطريقة المثلى .

« وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتذكرون » .

— الأمثال العامة —

في العربية العامة العراقية أمثال وفيرة سائرة في بغداد والموصل والبصرة وسائر المدن الأخرى ، وفي الأرياف والقبائل . أمثال تحمل معاني حكيمية بالفاظ موجزة ، لا يقل عمق معانيها ، وإيجاز عباراتها ، وقوة النطق بها ، عن أمثال الجاهلية وما حصل بعدها من الأمثال التي جمعها السلف . ولا شك أن الشطر الأكبر من هذه الأمثال قد ضاع . فان الرقعة الطويلة التي وقدها العرب عن الأدب ، أضاعت عليهم شيئاً كثيراً منه . وهذا النوع من الأمثال ليس من قبيل الأمثال القرآنية التي انتهينا من الكلام فيها آنفاً ، وإنما هي من قبيل الأمثال المبحوث فيها في علم الأدب والتي جمع أسلافنا من الأدباء الشيء الكثير منها على ما مر ذكره في صدر المقال .

إن في الأرياف العراقية والمشارب العربية أدباً لم يترك أبوابة أحسن من الأدباء ، أو هواة الأبحاث الأدبية . فلم يحشم أحد منهم نفسه كلفة التبع والاستقراء لجزئياته ، ولم يجهدوا في جمع مقوماته ، ثم تصنيفها وتبويبها ، ونشر ما يستطلع منها ، كما فعل أسلافنا في النهضة العربية الثانية المعظمى ، بظهور الإسلام . مثل الأصمعي وابن الأعرابي وأبي زيد ، وحامد الراوية ، وخلف الأحمر والخليل الفراهيدي ، وعشرات أمثالهم . فقد جابوا سائر النواحي ، ورافقوا القبائل البدائية والقحطانية فأقاموا بين ظهرانيهم سنين يجمعون مفردات اللغة ، وعيون الشعر ، وطرائف الأدب ، وبلغ الخطب والمحاورات ، وما إلى ذلك من فصول الأدب ومقوماته . فدونوا علوماً عربية ، واستنبطوا فنوناً أدبية ، حصرها ابن الأنباري في (زهته) باللغة ، والنحو ، والتصريف ، والمروض ، والقوافي ، وصناعة الشعر ، وأخبار العرب ، وأنسابهم ، والجدل في النحو ، وعلم أصول النحو . خلفوا ثروة أدبية عظيمة نمت وعظمت ، وأثمرت علوماً أدبية أخرى مثل علوم البلاغة : المعاني ، والبيان ، والبديع ، وغيرها من علوم تتصل بالأدب رأساً أو بالواسطة . ثم خلف من بعدهم خلف اخلدوا إلى الراحة ، فاضاعوا من الأدب كثيراً ، ووقفوا به جامداً حصيماً .

أن في القبائل والأرياف من الشعر الرقيق ، والتشبيه المعجب ، والقصص الممتعة ،

المثل — المثل في القرآن الكريم

والأغاني الملهمة ، والأنغام المثيرة ، والمحاورات اللطيفة ، والفكاهة الخلوة ، والثناء البليغ ، ونحو ذلك من مقاطيع الأدب وأبوابه ، ما تفتش به الصدور ، وتفتتح له القلوب . ولات حين إفاضة في الموضوع ، والبحث معقود في الأمثال العامة ليس غير . ولكني في هذا المقام أدعو الى الالتفات اليه ، والالتفاف الى محبي الابداع في الآداب ، والانضمام الى الراغبين في الطريف والمتطوعين في نصرة الأدب . هذا واليك نماذج من الأمثال العامة العراقية :

١ - رَمَانَتَيْنِ بِفَدِيدٍ مَا تَسْلِيْزُ : لا تمسك رمانتان بيد واحدة .
يغرب لمن يشغل نفسه بعملين في آن واحد فانه إما أن لا يستطيع إنجازهما أو ينجزهما ناقصين .
ان كلمة « فِدْ » نلت بها اللغة العامية العراقية استعمالها العامي والمثقف والعالم والجاهل عند التخاطب استعمالاً كثيراً شائعاً فيقول مثلاً : (اخذت فِدْ كتاب جيد) أي اخذت كتاباً جيداً . و (اكلت فِدْ أكلة طيبة) أي أكلت اكلة طيبة . و (انطيت فِدْ قلم) أي أعطيت قلماً . فكلمة (فِدْ) فاعلة في استعمالهم مقام تنوين التنكير . واصل فِدْ (فرد) أي واحد ثم خففت الى (فِدْ) بحذف الراء .

٢ - لا شيش ولا كياب : أي لا تفرط ولا إفراط .
يضرب لمن يبالغ في الأمر أو يقتصد اقتصاداً كبيراً . و (الشيش) كلمة عامية غير عربية يقصد بها (السُّقُود) الذي يشوى به اللحم و (الكياب) كتلة من اللحم الناعم تُسَوَّى على الشيش بإطارفه ثم تُسَوَّى به فيكون كياباً . (لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط)

٣ - لا حضت راحة ولا خدت سيد علي . أي لا هي احتفظت بزوجها ولا هي استطاعت أن تتزوج بزوج آخر بعد أن ضيعت زوجها . فقد رجعت بخفي حنين . والظاهر أن امرأة ذات زوج طمعت في زواجها برجل أعجبها لسبب ما اسمه

(سيد علي) ففارقت زوجها بوجه من الوجود وأخلف (سيد علي) ظنّها فلم يتزوجها .
فضيقت زوجها ولم تظفر بسيد علي زوجها لها . فغسرت الرجلين .

يضرب مثلاً لمن ضيع ما في يده من نعمة طمعاً في الحصول على أحسن منها لكنه لم يحصل على شيء ، فعرض بسن الندم .

٤ - كل من يجر النار لكرسته . (الكرسة) الرغبة . أي كل امرئ يقرب نار (الموقد ، أو الكانون ، أو الآتون ، ونحوها) إلى رغبته ليشويه لمصلحته ومنفعته غير مبال برغيف غيره ونفعه .

يضرب لمن يعني بمنافعه الخاصة ويحرص عليها ، من دون أن يلوي إلى مصالح غيره أو يبالى بها . (لشكل امرئ يومئذ شأن يغنيه) .

٥ - جاك الواوي ، جاك الدييب : (الواوي) ابن آوى .

يضرب لمن هو معرض لأحوادث المخوفة المتتالية . فهو يشبه صاحب مزرعة فيها غنم ودجاج ، والذئاب وبنات آوى تتحين الفرص لاختطافها فهو تحت ظل الخوف دائماً .

٦ - محمد يگول لبني حامض : لا أحد يقول عن ابنه إنه حامض . ويقصد من (البن) هنا الحليب الرائب لأنه هو المعروف عند العوام بهذا المعنى .

يضرب مثلاً في اعتزاز كل امرئ بفضاعته فلا يروح بما فيها من عيب ، أو في اعتزازه بما يحسنه من أمور مادية أو معنوية ، فهو يخفي ما في ذلك من عوار أو ضعف .

٧ - جاني إيد من ورة وإيد من گندام : أي جاء خلوي الوفاض . (ورده) أي وراء . (گندام) أي قدام .

يضرب مثلاً لمن ذهب بشيء ثم رجع وقد ضيعه ، أو ذهب ليكسب فضيع رأس ماله مع ربحه . وأصل المثل أن رجلاً خرج مسافراً ولم يبعد عن بلده كثيراً حتى سلبه السراق ثيابه وبقي عارياً فرجع إلى أهله يستر سوءتيه بكففيه .

المثل - المثل في القرآن الكريم

٨ - لَمْ يَلِدْ مَا يَحْسَافُ مِنَ الْمَطَرِ : أي من كانت نياه مبتلة لا يبالي أن يصيبه المطر .

يضرب مثلاً لمن تمكن منه أمر مكروه ثم بدله مكروه آخر .

٩ - إضربني مِيسَهُ وَاحْسِرْ بَنِي رِيٍّ الْحَرَامِيَّةَ : أي احسبني في عداد السراق ولو أدى ذلك إلى جلدي مائة جلدة . وهو حد السارق .

يضرب مثلاً لمن يحب أن يشتهر بما ليس فيه لجرد المباهاة وأن أدى ذلك إلى ضرره ضرراً بليغاً .

١٠ - إِخْرَبْ دَسْتَ طَبِيخَ عَلَى فُلْسَيْنِ مَلَحَ ، أَي يَفْسِدُ قَدْرًا طَعَامًا لِيُخْلَعَ بِالْقَاءِ قَلِيلٌ مِنَ الْمَلَحِ فِيهِ .

يضرب في من يبخل بشيء قليل فيفسد عليه بذلك شيء كثير .

١١ - إِيْدِقْ مَاي يَظْلَعُ مَاي : أي من يدق على ماء في هاوون أو نحوه ، لا يحصل من عمله غير الماء . فعمله عبث .

يضرب في من يحاول القيام بعمل لم تتوفر فيه عوامل النجاح .

١٢ - إِذَا عَثَرَتِ الْقَرَسُ مَا يَقْصُصُونَ رِجْلَهُ :

يضرب في الكريم إذا بدت منه هفوة . فانه يجب أن يعذر ، لأن هفوة الكريم مغفورة . وعثرات الكرام تُعبر .

١٣ - إِشْتَرَى بُعْثَكَ حَلَاوَةً : أي ان عقلك يصلح نعتاً للحلاوة . وأصل المثل

هو ان مشتري أسقاط الحديد كانوا يتجولون في الطرقات يحملون كمية من الحلاوة الرديئة جداً ، وهم ينادون لشراء أسقاط الحديد بها من الصبيان ونحوهم .

يضرب لمن يستخف عقله . كأنهم يقولون له أن عقلك آفن لا يصل إلا إلى الأخطاء ولا يدرك غيرها ، كاستقاط الحديد لا يستجلب بها الا الحلاوة الرديئة .

١٤ - اشتغل بفلس وحاسب البطال : مأخوذ من قول ابن الوردي في لاميته المشهورة : إكسب الفلاس وحاسب من يطل .
يضرب لمن آثر الراحة على السكدة فترك العمل معتسداً بقله الربح من عمله ، أستنباضاً له للعمل .

١٥ - إلباً كل يضربو ينفع نفسو :
يضرب للبحث على أن يغارس المرء أعماله بنفسه ولا يترك أموره إلى غيره . ماحك جلدك مثل ظفرك ، فتول أنت جميع أمرك .
١٦ - كل كدته بعمله بكراعه . يراد من (كدته) جثة الحيوان - من غنم ونحوها - بعد ذبحه . (الكراع) معروف . فان القصاب يعلق كل جثة في سنارته من كراعها هي . فكل جثة مستقلة بنفسها في أمر تعليقها ، لا ارتباط لها بغيرها . فلها ما لها وعليها ما عليها - لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت - .
يضرب لمن يغيب الناس ويذم أعمالهم بدون حق ، ليكف لسانه . فكان المثل يعني (كل نفس بما كسبت رهينة) أو (ولا تزر وازرة وزر أخرى) .
١٧ - عينك على مالك دوه : أي انت ملاحظتك لما ملكك يدك هي الحارس الأمين لها وهي الدواء الواقي لها من علة الضياع .
يضرب لمن لا يعني بمراقبة أمواله بنفسه فيتسرب إليها الضياع . ويضرب لحد المرء على مراقبة أمواله حيابة لها من الضياع .

١٨ - الشاس شاص والحمل حمل : النخلة إذا أبسرت أي لقحت تأبيراً صحيحاً جيداً تؤتي أكلها ثمراً طيباً مباركاً كاملاً . وإذا لم تؤبر فإن ثمرها يأتي رديئاً لا يصلح لأكل الإنسان ويسمى (شديما) وإذا لقحت تلقيحاً ناقصاً أو خاطئاً نقص حملها حسب ذلك .

المثل — المثل في القرآن الكريم

يضرب إذا وقعت كارثة فأضرت بقوم فأصرفوا عن تدارك الأمر واقتصروا على التلاوم وقعدوا مبلسين . فيقال لهم (الشاخص شاخص والحل حل) . أي مضي ما مضى فهلك ما هلك ونجا ما نجا ، وقضي الأمر ، فلا فائدة من القعود والتلاوم ، بل لابد من العمل لإعادة الأمور إلى مجاريها . فسيان الكارثة والعمل لإصلاح الحال الزم وأولى .
والأمثال العامية تعد بالآلاف نو استقصى جمعها من سائر أنحاء العراق . ولم أقف على من تصدى لجمعها سوى ثلاثة من الأدباء قام اثنان منهما في ذلك ، مشتركاً في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وهما المرحوم السيد محمد سعيد من بيت آل مصطفى الخليل ، وهو بيت معروف له مقامه في الكرخ من بغداد ، والمرحوم عيد اللطيف ثنيان . وبيت آل ثنيان معروف له مكانته في الرصافة من بغداد . فقد وضعوا كتاباً ضخماً لم يرل مخطوطاً بخط ثنيان محفوظاً عند ولده السيد يحيى ثنيان ، والثالث الأستاذ عبدالحق الديباغ الهذلي في الموصل ، فقد وضع كتاباً على جزئين في الأمثال العامية في الموصل . وقد طبع كتابه ونشره فشكرناه .

فإذا لو نفرت طائفة من الأدباء إلى الأرياف والعشائر القاطنة والبادية ، تستقري ما عندهم من شعر وقصص ومثل ، وأنواع أخرى من القول ، وأوزان وبحور في النظم ، فتلتقط ما تستلحه من ذلك ، في كتب ودواوين . إنها إن فعلت ذلك فسيظهر فيها مثل الأصمعي وخلف الأحمر ونحوهما من رواة الأدب الجاهلي والمخضرم ، وستجد الشيء الكثير من صنوف الأدب ، فيه جدة ، وفيه متعة ، وستضم هذا الأدب الطريف إلى أدبنا التليد . وسيكون من أبوابه :

١ — باب شدو الرحا .

٢ — وباب تغريد الكروود .

٣ — وباب المناجاة .

مدير القاضي

٤ — وباب الأعراس .

٥ — وباب المفارقة .

٦ — وباب المدح .

٧ — وباب التناوح في المعركة .

٨ — وباب الأمثال .

٩ — وباب النوح .

وأبواب كثيرة أخرى يظهرها لهم الاستقراء والتتبع .

وهذا الموضوع يستحق بحثاً طويلاً خاصاً به ، بمقالات ضافية ، تنطلق بعدها أقلام

الأدباء إلى التأليف فيه ، ثم ظهور نوع من الأدب العربي جديد ، وهو في الواقع قائم غير

منظور إليه ، ناطق ولا سامع له ، لذيذ في الأدب ، يحلو مذاقه .

مدير القاضي

تصويب

المرقعة	السطر	المطأ	الرداب
٢٠	١٧	ضرب الله مثلاً	ضرب مثل
٢١	١٨	بحسبه	يحسبه
٣٢	٥	السارق	السارق . في عرفهم

النقد الأدبي ومصادره

كلمة :

الحركة الفكرية لمختلف العصور ضرورة لمعرفة الحياة العلمية والأدبية أو نفسيات الجماعات وطرق التحري عن آرائها وما تستدعي من معرفة وكأنا نحتاج الى دليل في ذلك بل الاستدلال من المهمات ... لما نرى من التهميم على التاريخ من وجوهه ، وعلى (التاريخ الأدبي) ، أو على تاريخ النقد الأدبي من كل صوب من أناس لا شك أنهم أعداء (التاريخ السياسي) و (الأدبي) معاً ...

والشعراء والحكماء وتواليهم جعل اقوالهم توزن بموازين التقدير والاعجاب أو الالتفات الى مهمات الشعر والحكمة لتبيين وسائل القيمة ووجوه الاهتمام بها وطرق تقديرها بل ان ظهور الأدباء المتوالين بمزايأ خاصة بكل واحد ولد الالتفات وصار تعاقبهم يعد من اسباب التكامل وعوامل الاهتمام بترك الوحشي ، ومراعاة الرقة والوصف والمدح والثناء ، واختيار المعلقةات والحوليات مثلاً أو مدح من يقول (ومن ومن) اعني (زهير بن أبي سلمى) أو ضرب قباب لأكابر الشعراء مثل النابغة الذبياني في اختيار افضل الشعر في الموسم من (اسواق العرب ^(١)) وترجيح افضل شاعر ليكون شاعر القبيلة الذاب عنها الموضح مزايأها ...

كل هذه من وسائل اكبار الشعر ، وانتخاب جيده وانظار قدرة صاحبه ، وهذا

(١) بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب : في ثلاثة أجزاء للاستاذ السيد محمد شكري الألوسي المطبعة الثانية في المطبعة الرعانية بمصر سنة ١٩٢٤ م .

واسواق العرب في الجاهلية والاسلام تأليف الاساتذة سعيد الأفغاني . المطبعة الخاضعية دمشق ١٩٢٧ م .

نقد في المعنى ، ووسيلة للتقدير أو الانتقاء ، بل ان حفظ هذه المختارات التي نالت مكانة انتقاء ونقد معاً وبيان وجود ما جمعت من ثناء ...

واجل من هذا ان ظهور الشعراء متواليًا وتغيّرت وتقوّمهم بمزايا جديدة يشير الى نقد ما قام به السابقون ، فيقال بزعم اوفائهم وامثال ذلك ويراد بهذا التقيد الأدبي ابداء خير ما عندهم من شعر ، والأمر المهم ان النقد في الدرجة الأولى يعتبر في النظام فإنه تتجلى فيه الصنعة بوضوح ، وهو موطن الأدب ، ومحل الحكمة ، والطريق اليها الأجل ... اما اعتبار الأدب العربي مقصوراً على المنظوم والمنثور الفنيين فهذا هو الصواب ويرجح أحسنه ، والعرب تطور الشعر عندهم ، ونال موقفاً من تفرسهم وصار يهمل ما قلّت قيمته ، وهكذا ظهر أحسن ما فيه بمزايا خاصة او عامة .. فبعد هذا الانتقاء نقداً عملياً ، فلم يحفظ المرء إلا خير الشعر ، ويبقى كل ما هو خير من سابقه ..

والثروة الأدبية عندنا من أول أمرها نادرة ، فلم تحتج الى ما يسكنها من التاريخ ، والعلوم ، فان ذلك لا علاقة له بالأدب الراقي وان لم يتجرد منه ، او بعدت من ضلته ، إلا ان التاريخ اقرب الى تصوير الوقائع ووصف الحالات الاجتماعية والحروب .. مما يعد بياناً . لا شك ان الأدب تابع لأساليب يحتاج الى تقدير قيمتها كل من تذوق الأدب وادرك وجود الصنعة ، وكذا تختلف اوضاعه في عصوره ، وتتنوع هذه الأساليب او تتبدل الرغبات الأدبية في الأداء والتعبير عن الأغراض وهنا يتوجه الى المتانة والضعف ورقة المعنى واضطرابه والتزييق ورنائيه ، والزينة ومحلها وما مائل من امور عديدة ، ويخلص النقد في أن مقياسه الذوق ، والرفعة أو دقة المعنى وحسن الاداء .

فالذوق يحكم بأن هذا الشعر صناعي ، مفتعل ، او أنه متكلف ، فيراعى في التقدير الوضوح ، أو التقيد او وصف ما لم ير ، او القيام بما يشاهد الى غير ذلك من النصيحة والالتواء والبلاغة . والضرورة تدعو أن يحكم في نقد الأدب الأدباء وخدمهم دون العلماء .

النقد الأدبي ومصادره

وهنا يتولد النقد الأدبي من نواح عديدة :

١ - ما قاله ادباؤنا الأكابر .

٢ - أن نفكر فيما هنالك ونناقش ، وننظر النتيجة وهذه الحالة لا تخلو من تأثير ، ولا يهملنا أمر ذلك بقدر الاستفادة من التجربة .

٣ - بعد الاطلاع أن نفكر تفكيراً ثانياً في المنظوم والمنثور وما يكشف لنا عن نتائجه في المقابلات ، أو أن تقدم هذه المعرفة وتقابل بينها وبين غيرها ونحكم ذوقنا فنختار الأرجح .

٤ - أن ندقق الآثار الأدبية دون تأثر بالنقد الأدبي وأقوال الأدباء ، وتوصل إلى نتيجة وهذا صعب .

ترجع تدقيق النقد وتاريخه ، والآثار وما قيل فيها ، أو ما يترتب عليها ، والقواعد الموضوعية ، وما تتوصل إليه من نتائج أو نعمل لأمره لتتوصل على فكرة صائبة ولا يهملنا حينئذ أن نوافق ما قاله ادباؤنا ، أو نخالفه على أن نشترط ما اشترطه في هذه السبيل من حصول ذوق أدبي وتمكن من الأدب تمكناً يتحول هذه الصلاحية .

التجرد عن العلاقة صعب ، والتأثر بالماضي لا ينكر إلا أن الفكرة الواعدة والذوق الأدبي يحكان في الأمر ، وهما عدة الأديب وسلاحه أو هي قدرته وموهبته معاً .

والنقد العلمي هنا لا يحمل لايراده بأكثر من أن نقول إنه تابع لقواعد آداب البحث والمناظرة ، واساليب إدارة الجدل فيها .

أن دائرة الآداب توسعت ، وصار ينظر إليها بمنظار الأدب العالمي ، وهكذا ينظر إلى الأدب العربي في عموميته كأدب عالمي بالنظر للآداب الشرقية ، فصار النطاق أعم ، وبالتعبير الأولى لوحظت مكانة أدبنا من آداب الأمم وطريق التوصل إلى ما عندها وهل في الإمكان تشميل ذلك على ما لدينا فسكننا نميل إلى معرفة جديدة وإضافتها إلى ما عندنا .

وهكذا يقال في النقد ، وما حدث من تطور فيه ، وما لحق من آراء أو ظهر من تلاحق افكار ، وبهذا زاد التبع واخفيت مادة ، وروعي الأسلوب وهكذا ، ولا تزال آمالنا واغراضنا واهدافنا متجددة ... كل هذه تدعو لتكامل الأدب والنقد معاً من الوجهة التاريخية .

وإذا كانت مزاياء كل شاعر تؤدي الى هذا التكامل فان مزاياء آداب الأمم وسائل جديدة ، وطريق المعرفة والتربص الأدبي ... فلا وقوف ، ولا حدود لهذا الازدياد والتكامل وآمالنا تدعو الى الالتفات الى النواحي المتجددة والطرق الحديثة وسائر الوسائل ...

١ - في الممر الجاهلي

كان ولا يزال الشعر مقبول المكانة . وافر الحرمة نحس بالحاجة اليه ، ونميل الى ما تنفذ به منه ونلص الحكمة والأدب من خلال سطرره فهو خطاب الروح ، ومناجاة النفوس ... ونرى إعجابنا مقروناً دائماً بالحكم له أو عليه ، وبالتعبير الأولى اننا نقول هذا الشعر فائق وهذا لم يكن . وكلامنا هذا آني ، لم يكن مسبوقاً بتقدمات ، وانما هو تابع للشخص ورغبته فيه ، أو امرته منه في الحال دون اتخاذ نهج علمي ، أو مقياس أدبي يقدره الذوق ، ويقبله أو يفسره عنه ...

وأمر آخر أن الشعر كان قد ظهر الى الوجود في حالته الأولى ولم يحتفظ بها ، لما جرى عليه من نقد أدبي من نفس الأدباء فعدلوا فيه وبادلوا كثيراً ونرى الرجز ، وما شابهه من بقاياه فالشعر تطور كثيراً وابتعد تنوعت كما نستدل به من حالته المشهودة فكان تطوره ناجماً من الاهتمام به وتوالي علو مكانته وهذا أيضاً نقد وانتقاء معاً . واستقراره وسموه انما كان باهمال سابقه فالتأثير في الأداء والأسلوب من جهة ، وفي التفوق في نفس الأسلوب

النقد الأدبي ومصادره

كان من الأخرى . وهل بقي ثابتاً بعد تلك التطورات ؟ ..

أوضح هاتين الناحيتين ، فأقول :

جاءت أساليب الشعر مقصورة على (الرجز) وأمثاله ، جاء القصيد ، وزادت أبحر الشعر ... وتكامل نوعاً واستقر وكل هذه الأبحر زيادة في التنوع ولكن هذه بلغت من السكثرة حداً كبيراً ، فصار الانتخاب والانتقاء في الموضوع وسموه والحالتان لازمتا الشعر ، وصار يتنوق في كل منها المرء بمقتضى حالته النفسية ، وموضوعه الاجتماعي ، واستقرت الأساليب في الأبحر نوعاً ...

وكل هذه لم تختلف عن الاتصال بمادية الشعر ، واسلوبه والترجيح فيه مما هو من شأن الشعراء وتطورهم في الشعر وهكذا مضوا ولا يزالون جادين في توليد ضروب ، وتأكيده أوضاع ، وانتهار مواهب ...

وأمر آخر تابع لما استقر عليه الشعر أعني به الموضوع الذي تناوله الشاعر ، فأننا لا نذكر أن هناك شعراً يتفرق على غيره وإن كان البحر متفعلاً ، والأسلوب متقارباً إلا أن المزية في القوة والضعف ، والآداء والتعبير ، والمعنى المقصود ، ومزايا يمدحها السامع الناقد وبين هذا الشعر ما يبلغ من الوفرة حداً كبيراً ، فكيف الانتقاء ؟ وبأي وجه يحصل ؟

هذا هو موضوع النقد ، بعد انتقاء الأوزان ، واستقرار الأساليب جاء عهد الاصطفاء فكان هناك اسمي ما نال الرغبة ، واكتسب المكانة بين الشعر الجاهلي ، وهي المعلقة ، وبعض المقاميل والقصائد ... فتولدت فكرة لا ينكر أمرها ، وهي (الاختيار) الواقع ، وهذا قد قطعاً ، وكان أجل مقاييسه البليغ الأشعار المختارة وأكبرها أثراً في النفوس والمعلقة من أشعر الشعر وأعظمه ، فاتخذت خير مقاييس ، ثم روعي ما هنالك من شعر مقارب لها في تفرقه ، فاعتبر مختاراً مثل ديوان الحماسة ...

ولا نهمل أمراً آخر وهو أن الشعر الجاهلي لم يكتف الأدباء في نقده من الوجه المذكورة ، وإنما ادركوا لكل شاعر مزايا دعت إلى تفرقه ، وأدت إلى مقابلات بين هؤلاء المسلمين لهم بالقدرة الأدبية ، فكان الواحد يختلف في نهجه عن الآخر ، وزاد الاتصال بكل واحد أكثر من غيره ، وساق إلى بيان مزاياه في أدبه ... فكانت وجهته جديدة ، وكان نقداً آخر لمزايا كل شاعر وأدراك قيمته الأدبية ، ولا ندع ذلك جانباً دون توضيحه بأمثلة أدركها أدباؤنا ، فكانت كلهم الأولى والأخيرة بل صرنا نفكر فيها وما تلهمنا من مزايا ، وما تدعو من حالات ... فإذا كانت المزايا من نفس الأدباء في توجيه الأوزان وانتقائها واتخاذ ضروب فيها ، أو من نقاد الأدب في الاختيار والانتقاء فلا شك أن الوجهة الأخيرة من (النقد الأدبي) تقضي بتفاضل الموضوع في أمر دون آخر فنقطع بمزايا كل شاعر بأدراك ما عندد .

وهنا نستطيع أن نمد من مصادرنا المبهمة كتب (ملبقات الشعراء) وهذه وافرة المادة واضحة في أوجه نقدها وفي دواوين الشعر الجاهلي وشروحها مادة غزيرة وأهم من كل هذا أوصاف الشعراء لا كبار أدبائنا مثل شعر فلان إذا غضب ، وفلان إذا رهب ، وفلان يجيد الغزل والتشبيب ، والآخر المهجاء ، وهكذا المناظرة ومن يجيدها ، وكلها نقد للآخرين الذين قصروا فيها ، وتظهر مزايا (النقد) بما نمت به كل شاعر من كلمات قد تعني عن كتاب يكتب ، أو مجموعة تدون ، فهي أشبه بالأمثلة .

ونرى كل حال لم يطرق هذا الموضع كثيراً ، ولم تظهر الأقلام مزاياه ، والاتجاه الصحيح فيه لا يتيسر إلا بعناء ، وإن كتب النقد تغربل المباحث ... ولعل الأيام تكشف عن جهود كبار علمائنا فتحقق لنا امتقالاتهم لنتمكن من البناء عليها بما هو من متجددات العصر ... ومزايا الشعر الجاهلي بل المتفرق المقبول منه لا على سبيل الحصر ، وإنما نورد الأمثلة لتعلم ما فيها ، ويترك الباقي لمن أحب الاستيعاب والاستقصاء ، ومؤلفات العرب في

النقد الأدبي ومصادره

الموضوع كثيرة لا تكاد تحصى ، وربما جاءت رسالة أو كلام نادر فيرضع مزايا خفية عن الأنظار ، والاستيعاب صعب ... فنرى الأدب العربي غزير المادة والتدوينات عنه كثيرة واملنا حسن التوجيه .

إننا نرى القصيدة يلقبها الشاعر على الجماهير ، فنرى المحبين لها كثيرين وربما تتفق الكلمة على الاستحسان ، وهذا لا يكفي حتى نعلم طريق التوصل الى الحكم والبحث العلمي لا يقف عند اتفاق الكلمة ، ولذا نرى بعض الأدباء يتناولون هذه القصيدة بالنقد الأدبي ، ويبينون مزاياها ، وما اعتراها من خلل أو ما فيها من نقص . واختلاف الاتجاه بين الماضي في النقد وبين الحاضر قد أبعد الشقة ، ونريد أن نحقق مقررات الأدباء قديماً في ذلك الشعر ثم نتناول امر هذه المزايا وانها تابعة للذوق ، أو التحقيق العلمي والأدبي ، فتتكون لنا فكرة في هذا النقد فتعلم منه (تاريخ تطور النقد الأدبي) في مختلف الأزمان ومن ثم نستخلص من هذا النقد ما يصلح ان يكون داخلياً في النقد العام فننتقل الى ما نحتاج الى تقريره ، فيتكون لنا مجموع في مزايا النقد الأدبي والنتائج محلها وأثرها .

ولا شك ان موضوع النقد الأدبي يتناول شاعراً بخصومه ، وذكر مزاياه الأدبية ، وما نلاحظ من نقص فيه ، ثم نأخذ الآخر فنمحص عنه ، وهكذا بالتوالي ، فيسهل ان نترع مطالب في النقد للأدب العام ما يحقق من آماني ، نود أن تكون أمام عين الناظر ، وان يتجنب ما يداخله الشك والريب ، وفي هذا انتقاء مستمر .

والأمر لا يأتي اعتباطاً ، او ارتجالياً ، وانما يكون مبتدئاً على اساس علمي بل تاريخي يحقق ما وقع ، ويلهم اوضاعاً علمية ، واصلاحاً ادبياً ... وبهذا يصبح ان نفرق في الحالات التي ندركها وهكذا ... فالفاخرات والتهاجي بين العشائر مما يصلح مصدراً ايضاً ، وهذه المقابلات الفكرية تخص الأغراض التي يستهدفها كل شاعر وتند ... وفي هذه نوع ادب دقيق ورقيق . ومثله الغزل والتشبيب ويتوجه النقد فيه على وصف ما لم يرد الشاعر

وأما النثر فلا يختلف عن وجوه النظم وما فيه من أوصاف وموضوعات (مصادر النثر) وهذه تدعو الحاجة للنظر فيها وتناول :

١ - الأمثال : وهي من أقدم النثر الأدبي وأحكمه اتفاقاً ، ولا تشوبه شائبة ... والمثل خلاصة قصة ، واعتنى العلماء بالأمثال فدوتوا كتباً نفيسة منها :

(١) أمثال العرب : للفضل الطنبري المتوفى سنة ١٢٠ هـ - ٧٨٦ م . طبع في الجواثب في استنبول سنة ١٣٠٠ هـ .

(٢) جمهرة الأمثال : للإمام أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ هـ - ١٠٠٤ م طبع على الحجر في بمباي سنة ١٣٠٩ هـ وعلى هامش أمثال الميداني المطبوعة في مصر سنة ١٣١٠ هـ .

(٣) مجمع الأمثال : لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني المتوفى سنة ٥١٨ هـ - ١١٢٤ م ، طبع عدة مرات منه نسخ عديدة في خزائن الأوقاف العامة في بغداد^(١) . وكل هذه انتقاء للمستحسن من الأمثال وقد معاً .

٢ - الخطب : وهذه قصيرة في الغالب وبحكمة الصنعة مثل خطبة قس بن ساعدة الأيادي وخطباء كثيرين غيره والنفوس تتطلع إلى أجل التعبير وأحسن الأساليب مع قوة في المعنى ، ومتانة في اللفظ في محل ورقة في آخر تبعاً للموضوع وللدوق في الخطاب أو الإيجاز ولذا نرى خير معبر عن مناهج خطبهم قول القائل :

يرمون بالخطب الطوال وقارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ومثل كلمات وفود العرب على كسرى . وأما سجع الكهان فإنه يدخل خطبهم وهو منتقد لكما كته وزال من البين وكان مضرب المثل (سجع الكهان) ويعد من

(١) الكشف عن مخطوطات خزائن كتب الأوقاف تأليف الدكتور محمد السعد طاهر . مطبعة المعارف بغداد سنة ١٩٥٢ م مر ١٦٩ .

النقد الأدبي ومصادره

أوائل ما توجه على النشر من نقد ومن الكهان المعروفين شق وسليح .

٣ - الرسائل : لا تختلف عن الخطب كثيراً ومن أهم أوصافها الإيجاز والاحكام ببساطة : وهي ظاهرة من ظواهر حالة الأمة ويجلوها النقد سواء في صفاتها أو إشتباكها في الحضارة .

والآثار الأدبية ومخلفات الثقافة بين أيدينا تصلح أن تكون أصلاً للنقد ، والآراء القديمة في النقد تعين علاقاتنا بها ، ونستأنس بموضوعها وربما كان البناء عليها وهذه قل أن نراها مجموعة كما نرغب ، أو كما نريد وإنما نلتبسها في مطالب متفرقة ، نرى الكلمة ، فنرى فيها الكفاية لتوضح عن شاعر أو أديب ، ونشاهد القول فنستخذه وسيلة البحث والبناء .

وكان العرب في سالف عهدهم لا يلتفتون الى البيان إلا من ناحية الموضوع أو من ناحية السبك أو نقد الرأي ، وتوجيه الفكرة ، وهذه من أجل ما عندهم من النقدويراعون بحق مقتضى الحال ، ولكن لا يجدون ذلك في كل قول ، وإنما رأوه في المختار ، وشاهدوه في المنتقى من الأشعار ، والخطب ، وسائر ضروب البيان : وهذا خير مقياس يعين مزاي الكلام ، وهو انتقاء ، أو نقس في الواقع وإبراز لما هو الصفة ورعاية للمقبول المرضي وتاريخ النقد متفرع عن التاريخ الأدبي ومتصل به اتصالاً وثيقاً .

٢ - في العهد الإسلامي

ان آداب الأمم ترجع في الحقيقة الى كتاب ادبي ينتشلها من ههنا ، ويؤسس لها ادبها فتجري على منواله ، والعهد الأدبية للأمم ترجع في ذلك الى مثل هذه المؤلفات ، والكتاب العزيز (القرآن الكريم) يبيع بالآدب ، بل سار به سيرة عظيمة ، وبلغ بالأمة ادباً رفيعاً يصعب تقدير مداه ، أو الوصول الى منتهى غايته .

والأمة رعت هذا الكتاب العزيز رعاية لم ينلها كتاب ديني ولا ادبي ، حفظته ،

ودرسته وتعلمته ... وهو في كل ذلك دروس أدب، ومعرفة، وحكمة بل لم تقف عند حدوده، وانما رعت ما يدعو لتكوين المعرفة به، والوصول الى أغراضه، فنظمت الأدب من طريقه العلمي لغاية هذه المعرفة، وأمل الاتصال بمعانيه، والاخذ بأحكامه.

ذلك ما دعا ان تميل الأمة الى تدوين الأدب، وفتح الطريق للمعرفة الأدبية، فجمعت مجموعات أدبية في ضروب متنوعة، وصنوف مختلفة، سار كل منها في توسيع ناحية الأدب الجاهلي وهكذا كان ما كان من آثار خالدة، ومدونات جليلة الأثر. ظهرت في الدواوين الجاهلية، وفي الشعر الجاهلي، وفي الأدب الأموي من تنضرم وغيره وان كثرت أدت الى حاجة التنظيم، ودعت الى أمر الترتيب والاستغناء بما لا تسدع الضرورة، ضرورة المعرفة اليه.

فظهر الاسلام أحدث اختلاطاً عاماً بين العرب، وجعل اساس لغته القرآن الكريم لا كثرة الناطقين باحدى لهجاته، فوحد الأدب واتجهج به نهجاً مرضياً وان الآداب لما سبق عصره عهد (اسواق العرب) وبعض بقايا الماضي القريب من عهد الأسواق واصحاب الملقات ...

وهذه تكلمنا عليها ببيان مكانة الأدب العربي والعراقي منه حتى ظهور الاسلام ومن ثم لزمنا معرفة ما أحدثه الاسلام من تجديد في الأدب، وشمول فيه وتدوين وتكامل في المادة باضافة مادة جديدة لتقديم منها، وهكذا حتى خلقت الأمة العربية في العراق أدباً لا نظير له في آداب الأقطار، وصار قدوة المعصور وقدوة الأمم العربية الاسلامية، وبنيت على نهجه وخطه آداب الأقوام التي دانت بالاسلام.

صار لسان الأدب، ولسان العلم، والتعبير عن الفن، وسائر ما هنالك من ثقافة فلا تنكر مكانته في تهذيب الأدب العربي القديم، والتطور الجديد الذي ناله ... وعاد ثروة لا تملكها أمة من جرائ أنه لم تنقطع الصلة بأدبه القديم، ولا تأخر عن الأخذ بالجديد

الجدير بالأخذ ، فقال الحسنيين ، واكتسب الاثنان وحق له أن يفخر بتلك الثروة ، ثروة الآباء والأجداد ، وإن يفخر به الأدب العربي باعتباره حفيظاً أميناً عليه ، جاء الكتاب الكريم نبأ مضيئاً ولا يزال أثره وتأثيره مؤيداً هذا الأدب مؤكداً له في ثروته وبلاغته وأسلوبه الذي امتاز به ، بل أحدث تجديداً لم يكن مألوف العرب الأولين في شعرهم ، وجاءت الآية أنه أي القرآن الكريم (بلسان عربي مبين) لم يختلف في أدبه وإن تعالى في أسلوبه فكان اتقانه أكثر وتزايد بصورة أجل بحيث عد غير مقبول ممن وصفه تعالى بقوله (وهو في الخطاب غير مبين) وجاءت أقوال الرسول (ص) في أحاديثه الشريفة وأقواله الحكيمة وبيانه الجليل في مثل قوله (إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة) ، وأقوال الخلفاء الراشدين وكلماتهم الماثورة وخطبهم النفيسة التي تداولتها الألسنة وظهر الشعر سائراً في طريقه وإن اختلفت في بعض مطالبه ، فلم يتغير في شكله ولونه وكان الاسلام جاء مقراً له ، مرضياً موضعه ، مؤكداً أسلوبه من وجوه كثيرة وإن علا عنه عما جرى معمولاً على البساطة والصدق في المهجة والاحكام في الأداء .

ولم يقف الأدب عند حدود ذلك ، بل زاد سلاسة ورقة ، وانما تناقل العرب الأدب الجاهلي وأضيف الى الأدب الاسلامي ، وكذا ما تجدد في أيام الدولة الأموية ، وأن الطابع الأدبي لم يتغير كثيراً والسياسة خدمت البيان من وجه ، فكان في أسلوبه ومجراه لم يختلف عن أدواره السابقة إلا في الرقة والاتقان .

حفظ أدبه المعاصر ودونه من وجوهه المتنوعة ولم يفلت منه إلا القليل ، بل حرص القوم كل الحرص على أدبه الفائق ، وتناقله الناس بهالك ، وجمعت بعض الخطب والأقوال الحكيمة والأمثال كما في العهود السابقة فأضيفت الى هذه الثروة ، فزاد الثمن ، وما زال في هذا التزايد حتى بلغ الذروة ، ونال مقاماً عظيماً .

والناس في رغبة أكيدة للمعرفة ، واتصال باللغة العربية ، تناوله العرب كما تناوله

آخرون بأمل المعرفة ورغبة الانتفاع وربما كانت هذه هي الغالبة وهي الأولى لما لها من التعلق بسبب من هذه اللغة للاتصال بالأمّة العربية والتعرف لها من طريق الأدب العربي ، والأخذ به من أكابر رجاله .

ولم ينقصر هذا العهد سنة ١٢٢ هـ إلا وهو طافح بالحروب الخارجية والمعارك للفتح ، والحروب الداخلية والفتن وكل هذه لم تمنع من التوغل في الأدب ولا منعت من سيره أو أخرت نموه . بل زاد الأمل في بلوغ العناية الكبيرة منه .

وكان يلخص الأدب العربي في الأدب الجاهلي ، وأدب القرآني والخطباء الراشدين والأدب الأموي ، والقصد من هذا نموه في أيام هؤلاء ، ودوامه وتكامله فلم يفلت عهداً قديماً يقدمه ، ولا ترك أدباً جديداً معاصراً إلا أخذ به وانما كان على نهج لم يسبق له مثيل في تاريخ الأمّة الأدبي ولا ريب أن (الكتاب الكريم) وجه هذا الأدب ، فصار العرب يلتمسون معاني الكتاب من الأدب الجاهلي تحفته ، وصار يثبّت الأدب المعاصر لادراكه عصره وتوالي في سيره .

تكونت الثروة من جراء هذه العناية إلا أنها متناقضة ، وحصل حفاظ كثيرون لهذا التراث ، حراس له من أن يناله اغتيال ، ودونته مجاميع ... وصار ثروة الأمّة لمختلف عصورها ، وزادت العناية في العصور التالية ، ولم يتغيّر وضعه في هذا الأدب ، بل صار في تكامل أكبر وأجل . ولا شك أن هذا الأدب تبدأ العناية به منذ بدأ الاسلام ، فلم يزل أمره ، بل توالي باستمرار وإن علماءنا ادباءه وعفاء الأدب في الوقت نفسه .

وفي هذا العهد تغير النقد كثيراً وكان ظهور الاسلام أعظم حدث في توجيه الأدب والفن الأنظار الى نواح جديدة من تقدمه فاكسب رقة ونال تفوقاً على ما تقدمه من الآداب الجاهلية .

وكان (القرآن الكريم) خير أثر مرشد ومهذب في هذه الآداب وتمكّن بها في

الاسلوب وأن اللغة نالت أجلى مكانة ، وكذا كان (الحديث الشريف) قدوة المتأدبين سواء في خطبه (ع) أو في أقواله الشريفة كل هذه ينطوي تحتها نقد عملي عظيم في الانتقاء للألفاظ والاختيار للأساليب المقبولة زيادة على ما مرّ القول فيه في العهد الجاهلي وما جرى على الشعر والنثر من نقد وهو في الحقيقة وقد أرقى الأساليب الممتازة وهو نقد فعلي ماثل أمام عين الأديب ويتجلى في المناضلات العشائرية والأوضاع السياسية والمناقرات بين الشعراء سواء كان بين المسلمين وأعدائهم أو في الوفود على الرسول (ص) وتظهر في قصيدة كعب بن زهير وامثاله مما هدمه الاسلام من نأرو وتر الى غير ذلك من أدب جهم نقضى الاسلام على المعصبيات الجاهلية .

وعلى كل حال أن النقد الجاهلي وما جرى عليه من تطور قد قبله المسلمون وزاد القرآن في تهذيبه وجاء العهد الأموي مؤيداً ومؤكداً .

٣ — العهد العباسي

إن تاريخ الأدب العربي واسع الأطراف غزير المادة خدمته العرب والمسلمون جمعاء ودولوا آثاراً كثيرة فيه ، ولا تزال آثاره مطمورة وتحتاج دائماً الى ائارة سواء في شعره أو في نثره ، فالشعر العربي ديوان العرب ، ومدار لغتهم ، ومقارعات أدبهم وتفاضل عقولهم ينطوي على ثقافتهم ، أو هو أدبهم العام الشامل ، مادته غزيرة تولى العرب ضروبه ، ورعوا شؤونها ، فقاموا بعلمته وعنوا به العناية كلها ، وأملهم أكبر ، وجاهلهم أجل ، ووضعهم أرقى الأوضاع يحاولون أن يأتوا كل يوم بشيء جديد وربما يسجز المرء من إبداء كل ما عنده في الشعر العربي أو يدرك جميع قيمته ، ودرجة الاهتمام به .

يتمايز الرجال بمقدار اتقانه ، ويتفاوتون في الرتبة بما ينطقون به من حكمة ، أو كلمة

سائرة ، أو وصف بديع ، أو أمر عزيز و « ربّ قول أنفذ من صول » والكلمة الواحدة تحلّل الذكر ، أو تضع ، فهو عندهم وناء الحكمة ، والمثل السائر ، والأدب الجهم ، والصنعة من وجوهها المنوعة ، وطرقها المعديدة .

لم يقفوا عند استظهاره ، أو عظيمة روايته وإيراده ، وإنما نعتوا رجاله بما يستحقون من أوصاف أو أعطوهم حقهم من المتزلة وبيان قيمة الشعر الذي قالوا ، وبه صاروا يتفاضلون ، أو أنهم جعلوا الشاعر بالرتبة التي وصل إليها ، والمكانة التي نالها ... أو سما إليها في معارج البيان .

كتب كثيرون في هؤلاء الشعراء ، وعينوا قيمتهم ، وكانت الاتجاهات في ذلك كثيرة ، ففاضلوا بين الشعراء ، وأوضحوا المزايا ، ورعوا أمرها من وجوه تلك المقاضلات (وجوه الصنعة) ومن المهم أننا لا نميل إلى ما قالوا في كل شاردة وواردة وإنما كانت الأوضاع تدعو لتناقل الكلمات الخالدة الناشئة عن حقيقة الحالة ، الجديرة بالأخذ ، اللاتفة بالتخليد ، الداعية إلى الالتفات ... أو أن علماءنا وأدباءنا تناقلوا ما هنالك ، ودونوا عن الأكابر الأفاضل . ذلك مادعا أن يعرفوا شعراءهم بما قيل فيهم ، أو ذكر من نهج في أدبهم في كلمات خالدة ودرر ناصعة ناشئة عن حكمة وأدب .

وفي هذه الحالة لم تكن حاجتنا أن نسمع إلى (أقوال الغربيين) ، أو (كلمات الأجانب) في هؤلاء الأدباء ، وإن كنا لا نستغني ، وإنما نحب أن نسمع كل ما جاءنا إلا أن الجدير بالمكانة أن نسأل أرباب المعرفة منا ، وندون عن نفس الأدباء في الشعر ، أو بالتعبير الأولى حاجتنا أن ننظم ما عندنا ، ونسق ما قيل في شعرائنا لتظهر لنا الحالة من طريقها ، وتنجلي من ناحيتها .

والأدب العربي يقسده أهل الأدب منا بأن يوضحوا حالته ويبدوا كلامهم فيه ، أو أننا ندون ما قالوا ، فهم أرباب الأدب ، وحكام الكلام ، وأحق بالمعرفة

والإيضاح ، ورجال البيان أولى أن يسألوا عما علموا ، وعن الصواب فيما أوردوا ، وما قدروا في السرد ولا يهمننا غيرهم إلا في الدرجة الأخرى ، أو الرتبة التالية ، والمنزلة المتأخرة .

والعراق لم تهبط الحركة الأدبية فيه وإنما خلف ثروة غزيرة لا ينضب معينها ، وترك مخلفات تعدُّ درةً في جبين المعصور ، كانت غذاء الأقطار العربية وغيرها ، وليس فيها المعاد المكرر ، والتجديد فيها والاجادة في موضوعها من أجل خصائص الأدب المقبول تجلي ذلك في شعر شعراء أكابر ، في دواوين ومختارات تعدُّ من خير الإلهام لأدبنا التالي والحاضر ، والاستقاء من هذا المعين والاتصال به مما يدعم الموهبة الفائقة في انكشافها ، وتحريكها مباهج القطر ومناظره الخلابية وأوضاعه المشيرة للنشاط والتهيج أو الوحي الأدبي ، فيساعد على إبداء الأدب الغض ، وللأدب الماعضي من التوجيه والبواعث والانتعاش ما يهر ويبدؤ الأدب بالغذاء ، فيظهر بحلة بديعة ولون رائع .

ومثل هذا لا يقف عند حدود معينة ، ولا حالات ثابتة ليبدو بأبهى ما يتحلى فيه ، وإذا رجعنا إلى الثروة الأدبية في النقد ، فإنما نكون قد استكملنا العدة ، وتسلحنا بأقوى سلاح وما ذلك إلا لأن الأدب العربي زاخر في مادته فائض في موضوعه .

ولا شك أن (النقد الأدبي) عندنا في مختلف عصوره يدل على عقلية جبارة ، وفكر قويم وقادرة ، كما لا تهمل قيمة التوجيه الأدبي واتصاله بالموضوع اتصالاً عظيماً فهو من أجل ما يغذي الأديب وفي هذا كله آثار أدبية وتاريخ أدبي وتاريخ نقد .

والمؤلفات وتاريخ تطورها ، يدلان على ظواهر لا تراها في تاريخ أدبي لأمة من الأمم ، أو قوم من الأقوام في تاريخ حركاتها الفكرية بل إن العرب في (تاريخ الحركة الأدبية) كان نشاطهم جليلاً ، وعملهم فائقاً ، وتدويناتهم كبيرة ، كانوا أسبق الأمم في فصل الآداب عن العلوم ، كان ذلك في وقت مبكر جداً في حياة الأمة الثقافية ، ولم تنتبه إليه الأمم

الأخرى إلا بعد تمكنها من الثقافة ورسوخها فيها ولما كانت هذه صفحات لا تخلو من فائدة في التعبير بقيمة الأدب معرفة بقيمة النقد الأدبي وتاريخه عندنا مقتبس من آثار أدبية جمة كان وجه فيها النقد ، أقدمها إلى القراء الأفاضل ، ولم استوعب مطالبها ، وانما اذكر ذلك توجيهاً للراغب وتدريباً للأخذ بما هنالك بسعة وافرة .

ومن بين هذه المؤلفات الخالدة :

١ - كتب الأدب :

وهذه بوجه عام تناولت ما قيل في هؤلاء الأدباء ، وتعيين صنفهم ، وتوضيح امرهم مثل كتاب الصناعيتين لأبي هلال العسكري وكتاب العمدة لابن رشيق الا أننا نراها غير جامعة ولا مرتبة سوى أنها تنقل بعض الأقوال ، وتقرر بعض المعروف من الحالات وهي مفيدة ، نافعة كثيراً الا أن ذلك غير مستوفي وانما هنالك كلمات خالدة تستحق الذكر .

٢ - طبقات الشعراء :

وهذه ابدت عن كل شاعر ما عرف عنه ، وغالب هذه تحقق أوضاع الشاعر كلها ولا تخلو من بيان المزايا الا أنها لم تتأهب لوضع خاص بالشعر وتدوين مزاياه في النقد بعرضها عرضاً خاصاً ، ومع كل هذا تدعو للالتفات فهي كبيرة الأثر ، جليلة المعرفة وافرة القيمة ، جامعة المزايا .

ولا تنكر درجة هذه ، ولا تهمل ، فلها أكبر مكانة وربما اغنت عن غيرها ومثل هذه تتفاوت في البيان ، وتختلف في القيمة ، وتدعو للاستفادة والافادة ، وفيها الأدب الجم وغالب مزاياها العظيمة الأثر في الاتباع الأدبي .

تناولت بيان أوصاف الشعراء ، وعرض شعره ، وفي الأولى توجيه ، وفي الأخرى ملامسة المادة ، والاتصال بالأدب بإظهار العلاقة بشعره ، وبيان أدبه ، وربما كانت هذه الآثار نتائج الأدب وصفوه الخالصة ودرره النفيد ...

النقد الأدبي ومصادره

٣ - مصادر النقد الأدبي في الشعر :

وهذه الغاية المقصودة ، والأدب المطلوب والمادة الغزيرة من أديب كامل ببيان مزايا كل شاعر ، أو هي مفاضلة مستمرة ، ونظرة صادقة ، ومزية لا يستهان بها ، ولا يهمل شأنها بل لا يترك أمرها وربما كان الترك معيباً والإهمال مزريراً من جراء أن ذلك صادر من أهله ، ناجم من طريقة ... أو أن الضرورة تدعو إلى العناية الزائدة والالتفات الكبير .

جاءتنا خلاصة النقد ، وبُذِّع إدراك المزايا ، وهي المفاضلة من وجوبها لا الدم لواحد وانما هناك طريق كل شاعر ، ونهج كل أديب يذكر ما امتاز به أو عرف عنه ينطقون بمزاياهم ، ويعرفون بمواهبهم ، ولكن من هو صاحب القول المسموع ، ذو الكلمة الصادقة الخالدة ، إذ يتمسك ذلك على غيرهم .

بيدي الآن (جملة كتب) في النقد الأدبي تعين المزايا ، وتحقيق الأغراض الخاصة في النقد ، وتدعو إلى الاهتمام وليس مقصودنا الجمع والاحاطة وانما يهمننا أن نتناول ترتيب الظهور ، ومراعاة التاريخ ، أو تطور الموضوع والتعبير الأولى تبين (تاريخ النقد) بما ظهر من آثار في العهد العباسي .

ولعل التوغل يضيع الهدف . وانما أقول (كتب النقد الأدبي) في الشعر منها ما وصل إلينا من طريق الطباعة وجاء مبيناً أو خاصاً بشاعر ، والاحاطة بما قيل فيه أو ظهر من مزايا . وهذه كثيرة في الموازنات بين شاعر وشاعر مثل (الوساطة بين المتلبي وخصومه للجرجاني) والموازنة بين أبي تمام والبحري للآمدي والمهم الاطلاع على الشعراء في بيان مزايا كل شاعر . ومن أشهرها :

(١) رسالة أبي حاتم السجستاني :

حاولت مؤلفات عديدة القيام بهذه المهمة ، والتصريح بهذه الحقيقة ورعاية ما هنالك

فكانت مدوناتهم وافرة المادة عظيمة الأثر جليلة القدر ... منها رسالة أبي حاتم السجستاني البصري المتوفى سنة ٢٢٥ هـ - ٨٦٩ م وكان يعد من أكابر رجال العلم ، وله المكانة الفاضلة في الأدب سأل ابن دريد عن خمسة وعشرين أديباً شاعراً من الشعراء المجيدين من المحدثين فأجابته بكلمات خالدة تستحق الالتفات وربما كانت من أوائل ما دوت في الموضوع ومن أجله .

وكان الأدباء قد أوسعوا شعر الجاهلية بحثاً ، وقربوه من افهام الراغبين ، وأوضحوا عنه الإيضاح كله وهنالك النقد ، وله وجوه المعرفة ومرفه فأتجه السؤال إلى المعرفة الجديدة في المحدثين ، فكان الجواب محكمًا وافر المادة على قلته وهو غني بالمعرفة على إيجاز في لفظه .

وهذه النبعة عثرت عليها في مجموعة نفيسة عندي بخط المرحوم الاستاذ مصطفى وفي آل جميل مؤرخة في ٢٠ شعبان سنة ١٢٧٧ هـ وهي في اللغة والأدب منقولة من (أمالي ابن دريد) خللت صفحة ربما كانت من أقدم ما خلف في شعر المحدثين من صفحات ، ولعل المرء يترقب ما أجاب به أبو حاتم عن كل شاعر .

ولا أكرر السؤال والجواب ، أو قال وقلت . وإنما اذكر كل شاعر وما قيل فيه رأساً ليكون أوفر في المعرفة واننا في حاجة اليوم إلى ذلك التعريف ، وبيان مزاي كل شاعر من شعرائنا وهذا ذكر الشعراء وما بعثهم به .

١ - أبو نواس : إن جد أحسن وإن هزل أطرف ، وإن وصف بالغ . يلقي الكلام على عواهنه ولا يبالي من حيث أخذه .

٢ - بشار : نظار غواص . مطيل مجيد يصف ما لم ير وكأنه قد رآه على أن في شعره خلاً كثيراً .

٣ - مروان : شاعر راض عن نفسه يستحسن كل ما جاء منه . معجب لا يرى أن أحداً يتقدمه ، كثير الصواب ، كثير الخطأ ، ليس شعره صنعة .

- ٤ - مسلم : خليج صاف ينزع من بحر كدر كالزبد توري تارة وتصاد أخرى .
- ٥ - أبو العتاهية : غناء جم ، واقتدار سهل ، وشعر كخرز الزجاج ، وربما أشبه الياقوت والبرجد .
- ٦ - ابن الأحنف : يلقي دلوه في الدلاء فيغترف الصفر أحياناً والحماة أحياناً على أن كدره أكثر من صفوه .
- ٧ - سلم الخاسر : مقل مداح ، شعره ديباج وعين ، يموه الردي حتى يشبهه بالجيد .
- ٨ - العتابي : عالم بأشعار العرب ، يحتذ على مثاهم أحياناً وربما مال إلى تعقد الكلام على أنه ينال مرامه من كلتا الجهتين .
- ٩ - الجرمي : صنعتُه سهلة . لا يكابر طبعه ولا يكدر فكره ، يسوق ما اتقاه له عفواً .
- ١٠ - أشجع : يعذب ويعفى ، ويحسن ويسى . فصوله مختلفة إن شئت قلت مطبوع وإن شئت قلت متكاف .
- ١١ - أبو الشيص : جد كله فيه حلاوة وإشاعة كالسندرة التي نقضت فيها المستعذب والمستبشع .
- ١٢ - علي بن جبلة : بحات عن الكلام الفخيم والمعنى الرائع لا ينال مرتبة القدماء ، ولا يحل منزلة النظراء .
- ١٣ - دعبل : شديد الأسر ، محكم الصنعة قليل الطلاوة ، مفتحس الهجاء غير مقنع المدح .
- ١٤ - أبو تمام : سبل كثير الغشاء ، غزير الغهار ، جم النطاف فإذا صفاف هو الزلال بالسلاف .
- ١٥ - الحارثي : طريف مقل ، منحل الألفاظ متعقد المعاني .

- ١٦ — أبو سعيد قوصرة : ورق ناضر وعود خوار ، ان حفظ لم ينفع وان ضيع لم يضر .
- ١٧ — ابن بشير : عذب الكلام سهله اذا اراد الشيء قدر عليه ، وان اشتدت كلفته في مرأه .
- ١٨ — ابن أبي عيينة : أحميه اقتداره فتجب اوز مقداره على أنه اذا نثر أفلق واذا كوى انضج .
- ١٩ — عبد الصمد بن المعدل : خراج ولاج يتعسف تارة ، ويهتدي اخرى ، ان سلك سبل العرب الأول ارب وان مال الى طريق المولدين شاكه .
- ٢٠ — علي بن الجهم : كلام رصين ومسلك وعر عقله غلب شمعه من طبعه .
- ٢١ — بكر بن النطاح : تشبه بالأعراب فأفرط ، وتجاوز حد المولدين فانهب ، فهو الساقط بين الفريقين .
- ٢٢ — خالد بن النجار : سي الكلام ، رخو النظام ان طال بلد وان قصر اجتهد .
- ٢٣ — أبو دلامة : جد وهزل ، ومجتني مرغوب عنه اذا قصص مرأماً تناوله غثاً وسميناً .
- ٢٤ — أبو الشمقمق : هجاؤه لذاع ، ومديحه بلا ماء ، أكثره لانفع فيه .
- ٢٥ — فلان : كلام مؤلف ، تلغظه اسباع الجهال ، وتلفظه آذان العلماء .
- قال ابن دريد :
- « وذهب عني أن أسأله عن الأعز من المطبوعين : السيد ، والتميري » قال الناقل : قد وقع لي وصفهما في حكايتين (وهما رأينا تعقيب ارقام البحث والاستمرار فيه على الطريقة المارة) .
- ٢٦ — فاما التميري :
- فذكر ابراهيم الموسلي قال : حضرت الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك وعنده منصور

التميزي ومسلم بن الوليد ينشدانه فالتفت اليّ وقال : يا أبا اسحق احكم أيهما اشعر فقلت إنه قلّ من حكم بين شاعرين فسلم منهما ، ولكن إن أحب الأمير تكلفت وصف شعرهما فقال صفه فقلت : أما التميزي فإن شعره حسن المبني ، قريب المعنى ، سهل كلامه ، صعب مرأه سليم المتن ، كثير العيون .

وأما مسلم فإنه خرج كلام البدويين بكلام الحضريين فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه الألفاظ الظرفية ، فله جزالة البدويين ورقة الحضريين .

فقال الفضل : وصفت والله فأحسن ، وأوتيت الحكم فحكت . التميزي أشعرهما .

٢٧ — وأما الحكاية الأخرى . (في السيد الحميري) :

فللجاحظ في فصل من فصول كتبه . ذكر فيها :

(السيد الحميري) و (أبان بن عبد الحميد) ، و (أبا العتاهية) و (بشار) ، و (أبا

نواس) فقال :

أما السيد الحميري فأطبع الناس على قول الشعر وأقلهم صنعة وابعدهم من التكليف ، واجدر أن ينقل جميع احاديث الناس شعراً سهلاً بلا تعقيد ولا استكراه .

وأما أبان بن عبد الحميد فلم يكن في زمانه أطبع ولا أسلس كلاماً ولا أسهل مخارج وكان يقول على الثاء والذال والعين والطاء مائة قصيدة .

وأما أبو العتاهية فأحد المطبوعين ومن كاد كلامه يكون شعراً على أن غزله ضعيفٌ مشاكهٌ لطبع النساء .

وأما بشار بن برد وأبو نواس فمعناهما واحد والعدة اثنان بشار حلّ من الطبع بحيث يصل شعره الى القلب بلا إذن .

وحدث أبو الحسن أحمد بن سعيد قال حدثني أبو القاسم التنوخي الحاكم بـمـكـور الأهواز والبصرة قال : لقيت أبا الغوث ابن البحري في ناحية الجزيرة لجاريته حديث أبيه

وأخبرني أنه سأل أبا عبد الله لما حضرته الوفاة فقال يا أبا عبد الله : من أشعر الناس قال : أعين المتقدمين تسأل أم عن المحدثين . فقال : عن المحدثين . فقال : يا بني لو قسم إحسان أبي نواس على جميع الناس لوسعهم وأن لأشجع السلمي لإحساناً وما علم الشعر أكل الخبز بالشعر إلا أبو تمام فقلت له : أنت أشعر أو أبو تمام ؟ قال : سألت عما لا يزال يسأل عنه جيد أبي تمام خير من جيد رديي وديي خير من رديته « اهـ .

وهذا وصف الشعراء ، ونقد لهم ، وبيان لأجبهات المقبولة أو المدخولة وفي ذلك توجيه لمكانة الشعر المقبول ، والمراد الجيد والري ، منه ، وإن يتوقى المرء منه من وجوهه المذكورة .

نقل ابن دريد ذلك عن أبي حاتم السجستاني ، واضيف إليه بعض الكتابات في شعر النعماني ، وشعر السيد الحميري وما يتصل بها أو للعلاقة بينها وبين آخرين فتعينت العلاقة وتوضحت الحالة فكان لهذا البيان قيمته وتلك الاستفادة مكانتها المهمة النافعة .

ولعل في ذكر هؤلاء ما ييسر بالوضع ويسعو للاكتشافات إلى ما عندهم من شعر وجاءت هذه الأوصاف تراجم جامعة في الشعر والشعراء بل خير أوصاف لأولئك العظماء . والعرب لم يملوا أمر الشعر قديمه وحديثه وتداولوا ما قيل فيهم ونقلوا ما نقلوا عنهم إلا أن الصنعة بادية في المتأخر وفاق فيها كثيرون وربما كسبوا سجية ثانية مسترشدين بمن سبق ، فلا يحمل الأول تقدمه أو يترك المتأخر لما تطبع عليه .

وهنا يتجلى (النقد الأدبي) بأبرز حالاته .

جاءت هذه الرسالة من خير ما كتب بنظرة سريعة توفر للأديب وتقرب ما أراد وتدعو للاكتشافات من الوجوه المقبولة ، والأوضاع المعروفة والحالات المشهودة ، فهي خير وثيقة بل من أجل الوثائق في موضوعها . جاءت رسائل أخرى بعدها ، وإن كانت أوفر رأغزر مادة إلا أنها بلا ريب تعد من أقدم ما كتب في النقد الأدبي للعصرين ، بل تعد

النقد الأدبي ومصادره

كانها صفحة رسم ثابتة لا تمحو جديتها الأيام ، بل كلما مضى عليها الزمن ظهرت مكانتها أكبر .

(٢) البيان والتبيين :

النقد الأدبي قديم في اللغة العربية وفي آدابها ، ويرجع الى العهود الجاهلية ويتوالى ، وما المعلقات واختيارها من بين القصائد ، إلا في أنها فاقت القصائد الأخرى من الشعر الجاهلي ، وحوليات زهير ضرب بها المثل في الانتقاء الزائد ، والعناية الكبيرة في عرض الشعر ، حذر أن يُنقد ، أو أن لا ينال الغرض ، والكثير من الشعر الجيد تداولته الألسن ودام على مر الزمن .

ومثل ذلك النثر ومنه ما سار مثلاً ، أو كان كلمة حكيمة لا تبلى جديتها الأيام مدى العصور ، وما ذلك إلا لموافقته لمقتضى الحال بأكل وجهه ، فشاع المختار ، وخذل سواد . والعقل السليم ، والدوق الرقيق لها الحكم الصادق في تقدير قيمة الأدب وموافقته لمقتضى الحال .

وهذا من حق من زاول الأدب ، وتوغل فيه بالممارسة مع سلامة الدوق للوصول الى صفة الحكم بنفوذ نظر ، وموهبة صالحة . وهذا يوضح قول الجاحظ : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يعرف إلا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعظمت على أبي عبيدة فرأيت أنه لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار وتعلق بالأنساب والأيام ، فلم أظفر بما اردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك » اهـ (١) .

وقال : المطبوعون على الشعر من المولدين بشار بن برد والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة وقد ذكر الناس في هذا الباب يحيى بن نوفل وسليمان الخاسر وخلف بن

(١) التلخيص ج ١ ص ١٠٠

خليفة وأبناؤ بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وأشار أطعمهم كلهم^(١)
وقال : ولما مدح الكميث بن زيد الأسدي بخالد بن يزيد بن المهلب ، فقال له ابن
بيض إنك يا أبا المستهل (كالجالب) التمر إلى هجر فقال : ولكن تمرنا أجود من
تمرهم^(٢) .

والبيان والتبيين من كتب الأدب المهمة في نظمها ونثرها وجاءت صنفحة كاشفة عن
النقد الأدبي وكل ما يقال فيه قليل ومؤلفه أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ولد في أول
سنة ١٥٠ هـ - ٧٦٧ م وتوفي سنة ٢٥٥ هـ - ٨٦٨ م ومؤلفاته الأخرى لا تقل غائدة عنه
وهو الأديب الفاضل في وصفه الشعراء كما نعت الأدباء بخير النعمت فكانت لبيانه قيمته
ولأثره مكانته .

(٢) سرقات الشعراء :

لابن المعتز وهو الخليفة أبو العباس عبد الله بن المعتز ولد سنة ٢٤٧ هـ - ٨٦١ م وتوفي
سنة ٢٩٦ هـ - ٩٠٨ م وهو شاعر وأديب وكاتب ومؤرخ وكان آية في الأدب ومؤلفاته
عديدة منها في موضوع بحثنا الكتاب المذكور في النقد الأدبي وهو من نوع كتاب
الموشح للدرزباني . وله : طبقات الشعراء نشره الدكتور عباس إقبال وأعيد طبعه ، وله
رسالة في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه ، وهذا الكتاب دعا إلى النقد ممن جاء بعده وله
رسائل كثيرة تناول فيها النقد إلا أنه لم يحكم أصوله كما فعل قدامة بن جعفر وعلاقته
بشعراء كثيرين تبين درجة عظمتهم في النقد وهذه جاءت في كتاب (ابن المعتز ووراثته في
الأدب والنقد والبيان) للأستاذ محمد عبد المنعم الخفاجي طبعة دار العهد الجديد للطباعة
سنة ١٩٥٨ م .

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠ طبعة سنة ١٩٥٨ م في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة

بشرح وتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٦٨ .

(٤) كتاب نقد الشعر :

تأليف أبي جعفر قدامة بن جعفر بن قدامة المتوفى سنة ٥٢٠ هـ - ٩٣٢ م
ويعتبر من المؤلفات المعتبرة ، توسع في الموضوع وتبرز فيه ، فكانت
عمدة ولم يهمل المؤلفات قبله ، فقد وحد ما هنالك وحكم رأيه في المطالب ، وأبدى
قدرة فولد احتكاكاً بأراء عديدة ، ومن جاء بعده من العلماء والأدباء لم يخلوا من علاقة
به ، أو اتصال بموضوعه سمة ونقداً إيجابياً أو اختلافاً . طبع لأول مرة في الجواثب في
استنبول سنة ١٣٠٢ هـ ثم تكررت طبعاته ، منها طبعة مكتبة الخانجي بمصر سنة ١٩٤٨ م .
وقد تناوله كثير من العلماء بالبحث منهم :

(١) ابن بشر الأمدى في كتابه (تبين غلط قدامة) واهداه لأبي الفضل محمد بن
الحسين بن العميد وقرأه عليه سنة ٣٦٥ هـ .

(٢) ابن رشيقي القيرواني .

(٣) موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الموصلی الأصل والبغدادي المولد ^(١) ولد
سنة ٥٥٧ هـ - ١١٦١ م وتوفي سنة ٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م في كتابه (تكملة الصناعة في
شرح نقد قدامة) وانتصر للمؤلف في كتابه (كشف الظلامات عن قدامة) .

ومن مؤلفاته في موضوع بحثنا :

آ - نقد النثر :

عالج فيه مباحث مهمة في النثر الأدبي وما يطرأ عليه من نقد ، ذكر أنه لم يسبق
المتقدمين ولكنه شرّح ما أجلوه ، واختصر ما اطالوه ، وأوضح ما أوجزوه وجمع
ما فرقوه ، وأورد نماذج من النثر ، وأبدى نعوت النثر وبعض عيوبه ... ونشر سنة ١٩٣٣ م

(١) الشريف المؤرخين ج ١ ص ١٥ - ٢٣ .

بتحقيق الدكتور طه حسين والأستاذ عبد الحميد العبادي وطبع بمطبعة دار الكتب
المصرية بالقاهرة .

ب — كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام .

٥ (أخبار أبي تمام :

إن ظهور الأساتذة في الأدب كان قد سبب للنقد المهم ، وأو القدرة الأدبية ، وما لفت
الأنظار اليها فأرادوا استغلال ذلك في التوجيه الحق فالوا الى النقد وهو يؤدي الى اختلاف
الاتجاهات ، وتحول الأنظار ... أو أن هؤلاء يريدون أن يظهرُوا ، فينالوا المكانة بسبب
هذه المقارعة ، وقل أن نرى من يعتقد صحة في نقده ولا يلتفت في هذه الحالة الا الى
ما كان مشغولاً بالنظر العائب ، والدعوة للحق والتوجيه الصحيح وصدق النظر ،
بالاصلاح طريقته معروف ، والعمل لرفع مستوى الأدب ، وتقدير مكانته ، والاتصال
بأممه اتصالاً وثيقاً أن ينفذ المرء الى حقيقة ويكتنه كنهه ...

ولم يكن هذا مقصوداً على الوجهة الأدبية ، وإنما يتناول تاريخ وسائر العلوم الا ان
كلامنا مقصور على الآداب ونقدتها ...

واجل نقدي رأيتاه كان في كتب كثيرة ومهمة جداً ومنها : (كتاب أخبار أبي تمام)
وأدبه ، ومزايها الأدب قبله ومكانته والا فلا تظهر مزايها الأديب الا بالمقابلة ، جاء أبو بكر
محمد بن يحيى الصولي المتوفى سنة ٣٢٥ هـ — ٩٣٦ م فأوضح عن الأدباء النقاد للأدب
القديم ، أو الحديث . وقد مررنا من النقد ما يدعو الالتفات وكل كلمة منه تؤدي الى
المعرفة السكاملة في وجود الأدب من الاتصال بالأدباء والشعراء في تصوير قيمة شعره وأدبه
وفصول بيانه ، وتوجيهاته ... وإن الأستاذ الصولي وجه نقده على من يتربص الموضوع
وبحاول سرقة ، أو أن يتعين له ، فيحاول أن يراحم فيه ، وينقد نقداً مرأً على من جهل
من المعاصرين أدب عصرهم وما عندهم من أدب جم أو الالتفات الى وضعهم بل اعمال

ما هنالك والا كنفاء بالقديم وربما كان ما كتبه الصولي إلفات نظر إلى أدبه ...
 رأينا لأبي تمام خصوماً كما لغيره وانصاراً ذائعين عنه وربما كانوا مغالين والأمريين
 الاثنين بين من يحط من رتبته ، وبين من يرفعها إلى درجة لا يستحقها ولا يتجاوز
 حدودها ، وهي معرفة قدر الرجال الأدباء وتعيين منسازهم ، وتبيين أوضاعهم الحقة ...
 والصولي كتب كتابة المحب لأبي تمام ، المعجب بشعره ، كان سمع تنقيصاً له من أناس
 مغرضين وأصحاب افتئات عليه ، ومترمتين بل تالين مهاجرين لا هم إلا الظهور ، ولا
 وجه الا التطلع لابتداء القدرة جاء كتابه ملخصاً ما كتب من أخبار أبي تمام وربما كان
 الزبدة وجاء على الضد من كتاب الموازنة للآمدي ، وللعلماء آراء في الأدباء في التقديم
 والتأخير والتفضيل والذم وكل هذا يعين صفحات أو نظرات جلية في الأدب ربما كانت
 الفريدة من نوعها ، والمرتبطة في حينها وفي جمعها من مجالس كان يطرق فيها الأدباء ،
 ويرجح بعضهم على بعض ... وربما كان بين هؤلاء من يحيل حالة الأدب ، وانما هو مقام
 أو أنه مخالف لما عند الآخرين ولا تزال الآراء في المحدثين من الشعراء ، وبينهم الدائم
 والمادح ، والمرجح والمخذل ، وكل يحكي طبعه ويمر عن شعوره في الأديب ولا يتخلو امرؤ
 من نقص وربما كان النقد صواباً ، أو أنه غير صواب ... والغريب أن يرى الأديب المسلم
 له بالفضل يناله من بعضهم أشد التنديد وأقصى النقد بأمل الظهور بالشذوذ ، والبروز في
 الغم والسب ...

ومهمة الناقد أن يتدبر الآراء ، ويوجه حقيقة الحال ، فلا يضيع فكره ولا يدع منتبهة
 أو مثلبة بحق إلا ذكرها ، ومن ثم يصدر فكرته ، ويلقي دلوه في الدلاء وهذا ما نراه في
 الأستاذ الصوني وهو نفسه وصف أرباب الدعاوى قال : وهم مع ذلك يدعون كل شيء ولا
 يقولون في شيء لا ندري ولا نعلم فكانوا كما قال الشاعر :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيئاً

فهو لا يزداد رُشدًا إنما يزداد غيًا (١)

ومهمتنا أن نعرف ما قيل في قدامنا ، والمحدثين وإن تبني وجوه النقد صحيحها
وسقيمها مع غض النظر عما داخل من أغراض أو كان مقبولا في حينه وهو مدخول ...
فنقطع في الصواب ونجزم في المتعامل فنبرز تحامله وتفرق بينهما ولا نقف عند ذلك
مكتوفي الأيدي وإنما توجه الصحيح ونبدي ما عندنا ... والآراء في مختلف العصور منها
ما يندثر وتستبد قيمته عند محك الأنظار ، ولا يقوى على نقد لا سيما ما كان لا يخلو من
غرض وهوى ، أما الزيد فيذهب جفاء ويبقى الصواب الجدير بالأخذ أو الفكر المقبول
الظاهر البين الظهور ... ومن ثم يراعى تكامل الفكرة ، ويعرف تطور الرأي وطريق
الأخذ به ... وهكذا التفتت الأنظار إلى شعره وأنه لا يخلو من الجيد والردى فشكلوا له
بما كمال ، ولكنهم لم يختاروا بل نقدوا ، ومنهم من تمصب له ورفع من شعره وأدى إلى
ما أدى إليه أمره حتى جاء الأستاذ الصولي فكان حكما مرضي الحكم مقبول الحل ، والحق
أن شعر كل واحد ناشئ من نزعة ، وحالته الروحية فلا ينكر أنه في حالاته لم يكن بمثابة
واحدة ، بحيث يعد كل مختاراً أو مختاراً بل القصيدة الواحدة لها (بيت القصيدة) ومثل
هذا موجود في شعر الشعراء جميعا ... لا ينقص من قدر الشاعر ولا يقلل من قيمته الأدبية
بل إن ارتفاعه وعلوه في بعض شعره هو الذي يدعو للقبول والاختيار وهكذا فعل في
شعر كل شاعر نال المسكنة المرضية عند الأدباء لتكوين نموذج من يؤهب نفسه الشعر
أو ينبغي أن يقرأ المستحسن منه ... فربما اشتهر الشاعر بقصيدة ولو أنه خذل في أخرى
أو قصائد عديدة أو أنه لم تسكن له من عيون الشعر سواها ...

وأبو تمام له (عيون الشعر) ويعد من مشاهير الأدب العربي وأكابر نوابغه في الشعر ،

(١) نشره الأستاذ خليل محمود وعبد عزام ونظير الإسلام الهندي مطبعة المؤلف والترجمة والشرح

بالقاهرة سنة ١٩٢٢ م ص ١٠ .

النقد الأدبي ومصادره

شغل العلماء مدة في تحقيق نواحي أدبه ولا يزال وعيون شعره متداولة بين الأدباء ، ويكرر ذكرها ...

ولعل القول المنقول : « هما حكيان والشاعر البحتري » من أقدم النقد على شعره ، وإنه مملوء بحكمة ، بل لا يزال شعره معروفاً متداولاً ... بل تعد حكمته أحياناً من أبي ما يزينه وكذلك المتنبي فقد بلغت حكمته في شعره غاية .

ومما تداول من شعره بالمتنبي قصيدته التي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

لا تزال حديث الأدباء ، ومحل النقاش والنقد ...

وروما الأدبية لم تخل في وقت من هذا النقد بل أن النقد يجلو عن ماهيتها ، فيقطع بصحة بعضها ويهبط لان الأخرى ... إلا أنها على كل حال لا تزال في عظمتها ونوع ثمرتها وجلالة قدرها . وهنا نقول إن عمل الأمة في مختلف عصورها إذا كان الأخذ بالمختار منها نقداً نوعاً ، فلا ريب أن هذا نقد عملي في اختيار الأجود منه ... فلا شك أن النقد الأدبي يستند إلى هذا الأصل فيوضح وجود الاختيار وبيان ماهية غير المختار فيكون توجيهاً للأصلح المرغوب فيه من خيار الشعر ، فالنقد ميزان الصحة في هذا الاختيار ، والموضوع الجامع الأدبية وبيان مكانتها من ذوق المختار ونقدتها من جراء الإخلال .

اختار أبو تمام عيوب الشعر للأقدماء فكان لاختياره مكانته ويفترق عن مجموعة المفضليات للضبي وأمثاله ممن يريد أن يرسخ الغريب في ذهن القاري وهذا اختار الأصلح فعامل الشعراء قبله بنقد سوى ما اختار أو انتقى فرجع الأولى في نظره والأحق بالتقديم فنالت مجموعته المسكاة فان اختياره مصروفه للجسد من الشعر وتميز المعبر منه عن غيره في (ديوان حماسه) وكان نقده للجوامع الأخرى عملياً وفي دار الكتب المصرية شروح

كثيرة لديوان الحماسة (١) منها شرح الامام أبي عني أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م وشرح الامام أبي زكريا يحيى الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المولود سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م والمتوفى في جمادى الأولى سنة ٥٠٢ هـ - ١١٠٩ م .

(١) أخبار البحري :

تأليف الصولي أيضاً حققه وعلق عليه الدكتور صالح الأشر وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق المطبعة الهاشمية سنة ١٩٥٨ م .
كان الصولي أدبياً حسن العلم بالأدب وأخبار الأدباء والشعراء وكان شاعراً عالمياً بالشعر مهتماً به أكبر الاهتمام وكتب الأدب مملوءة برواياته وأخباره عنهم وقد ألف أخبار عدد من الشعراء كالفرزدق وابن هرمة والسيد الجيري كما كان نقاداً عالمياً بالنقد الأدبي وفي (كتاب أخبار أبي تمام) أخبار البحري عالج موضوع تفضيل أبي تمام وتفضيل البحري وذكر عيوب البحري في الآداب الى غير ذلك من المباحث (٢) ومن أهمها ما جاء في النقد الأدبي وسأ نفيه سيرة كتاب أخبار أبي تمام وينقل عن البحري في ترجيحه أبا نواس على مسلم ولما اعترضوا عليه بأن ثعلب لا يوافقه قال : « ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقرؤه . وإنما يعرف الشعر من دفع الى مضايقة » .

واشتهر البحري بسينيته التي مطلعها :

صنيت نفسي عما يندس نفسي وترفعت عن جدا كل جيس
ونالت استعسان الكثير من الأدباء منهم أمير الشعراء أحمد شوقي وقد عارضها

بقصيدته التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي العبا وأيام أنسي

(١) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ .

(٢) أخبار البحري للصولي .

النقد الأدبي ومصادره

كما عارضها الشاعر المعروف حافظ إبراهيم بقصيدة مطلعها :

أوشك الديك أن يصيح ونفسي بين هم وبين ظن وهمس
(٧) كتاب الأغاني :

الآداب العربية من أجل الآداب وامكنها ولا يضارعيها في أيامها أدب أمة ، فهو متصل من جاهليته الى اسلامه ، فوقته الحاضر ، ماتت آداب امم كثيرة ، ثم عادت للحياة بوجه آخر وشكل جديد ، وما ذلك إلا لأن الأمم المتحضرة الغربية لم تنهض بأديبها إلا في عصور متأخرة واكتسبت من التجدد المتوالي ما نساها أو أضاع أديبا القديم ... والأمة العربية لا تعرف إلا ادباً واحداً لا يجارى في ميدان لتدوين منظومه ومنشوره في مختلف العصور فظهرت مجاميع مختارة نالت مكانة .

وهذه من اجابها (كتاب الأغاني) تأليف أبي البرج علي بن الحسين الكاتب الاصبهاني المولود سنة ٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م والمتوفى ببغداد في ١٤ ذي الحجة سنة ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ م ، وهو موضوع بحثنا ويستحق التدقيق من بين آثارنا الأدبية وأوضاعنا المشهودة وحالاتنا التي تستدعي الالتفات في آدابها وتدقيق عصر المؤلف من بين العصور الأدبية ؛ وكتاب الأغاني يحتاج الى تمحيص واهتمام من وجوهه المتنوعة وهو يحقق تاريخ الأدب الى ايامه ويعرف من بينها موقعه الممتاز وما اكتسب من نجاح .

والكتاب يضم بين دفتيه نصوصاً أدبية نظماً ونثراً ينطوي الكثير منها على النقد الأدبي لأفاضل كثيرين ، فهو مرآة الأدب وهو صفحة كشفة عما عندنا ، وخزانة طائفة بالمعلومات والنصوص وآراء الأكابر بضروبها المختارة ، ويرى بعضهم أن صاحب الأغاني أصدق من كتب وأكبر من حقق ودقق ، وآخرون ظنوا أنه كذاب أشرف ، مطعون فيه لا يصلح قوله للاستدلال ، وهذه الأقوال لا تصلح للتوفيق . والفجوة بينها بعيدة لا تسدّها الأقوال الفارغة أو التعصب له أو عليه .

ليس لنا قدرة في التحقيق عن سرائر الناس ، ولكننا نعرضها على المحك العلمي تبعاً لميزان النقد فنتثبت مما قال .

فاذا كان المؤلف قد تمكن من اسناد الأقوال فلا يشك في هذا الإسناد ، ادباء أدوا الوصف وصح ما نقل عنهم . وهل كانوا صادقين فيما قالوا ؟ أو أن لذلك دافعاً ساق إليه ، فهذا محل نظر .

١ - التمييز الأدبي والتزويق الكلامي .

٢ - قصد الوقعة في الأمير أو الخليفة أو الوزير .

٣ - وقد لا يعرف القصد إلا أن الناقل لم يكن من أهل التحمل للشهادة .

٤ - الموضوع الأدبي لا يراد به إلا التزويق والصنعة الأدبية ، وبذلك تتضاءل قيمته ويفقد مزايا التاريخية وهو الوثوق من الصحة وبذا يفرق بينه وبين أرباب التاريخ .

٥ - الانحياز بالصنعة .

كل هذه وامثالها تدعو إلى أن هذا الموضوع محل شبهة . وهؤلاء ليسوا من أهل التحمل ، ولا يعول على امثالهم ليكون النقل بنقطة وطمأنينة . وجلّ أملنا أن يكون الخبر ممن يقصه بلا تزويق ولا تلفيق أو أن ينقل على حقيقته وهذا تابع لأهلية المنقول عنه في أهلية أداء الشهادة .

وقد طبع الكتاب مرات عديدة في بولاق مطبعة كستلي وفي غيرها ومن أجله طبعه دار الكتب المصرية ولم يتم بعد وهو متداول ومأثرتة للنقد الأدبي كبيرة فانه يصف أدباء كثيرين في النظم والنثر بما يميزهم عن غيرهم وهذا نقد ووصف معاً يصلح أن يكون منهاجاً لكل ادیب وشرعة لكل كاتب وقد ترجم صاحب الأغاني جملة اساتذة اشهرهم :

١ - الأستاذ شفيق جبري .

٢ - الدكتور محمد أحمد خلف الله .

(٨) الوساطة بين المتنبي وخصومه (١) :

الشعر لا يخلو من جيد ، وعال ، ودون وهذه الدرجات يعلمها الاكابر ، ويفهمها الأفاضل نقاد الأدب ، العارفون بسالمه ومعيبه ويخطئون من يظن الصواب في شعر كل شاعر معروف ، والجلال في عظمة كل شعر ، والمرء يظهر أحياناً ، وينحط أحياناً أخرى ، وقد يعرف الشاعر بقصيدة ، أو ربما كان بيت منها يعدُّ (بيت القصيدة) إلا أن القدرة تظهر في القصيدة ، وتكبر مكانة قائلها فيعلو شأنه . فهي مختار شعره ، وصفوة أدبه تدلُّ على علو المنزلة وترفع شأنه ، ولعل بعض الشعراء لم ترقه الا قصيدة تغني باقي شعره ، أو لا يلتفت الا الى هذا المختار .

والنقد الأدبي يتوجه الى المشاهير في الغالب ، ويدرك الضعف في شعرهم الرديء ، أو المتوسط فتظهر معاييرهم ومن ثم يراعى نقد شعرهم وما ارتكبوه من خلل في اللفظ والمعنى أو الأسلوب والمفهوم ، فلا يخس الشاعر في النفيس ، ولا يعمط في الجيد ولا يلجج بذكره في كل شعر ... كما لا يترك أمره في الدون من الشعر فيعطى حقه والمكانة التي يستحقها . وكتب النقد الأدبي جاءتنا بثروة عظيمة من وجوه النقد العام فترى مؤلفات البلاغة تراعى الجيد وأوصافه .

اتبع العرب طريقة نقد الشعر والغرض منه بيان القدرة ورواج المعرفة ومراعاة القانون العام وما يلبي ان يكون عليه ، ومن ثم يتوصل الى الغرض فيكون ذلك توجيهاً حقاً فهذا القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني المولود في جرجان سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٢ م والمتوفى سنة ٣٦٦ هـ - ٩٧٦ م كان من الواردين الى بغداد ، وفيها بدأ علمه وظهر أدبه وتجلت مواهبه باتصاله بأدبائها وعلمائها وكان يذرف الدموع على فراقها ، ويتفوق اليها تشوق المستهام . تناول شعر المتنبي بعد هذا الاتصال ، وكتب ما كتب وذكر الأدب

(١) طبع المرة الثالثة في مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر .

ومراميه ومناحي اتصاله بالأدب القديم ، وبين أنه لا يعلم أديب من نقد ، ولا يهمل امره ومن الضروري بيان مكانته الأدبية كما هي باعتدال وقول صدق . وبعد أن ضرب الأمثلة . وبين نقد القدماء ، مال إلى الشعر وتناول مطالب عديدة ، توصل منها إلى ادب المتنبي وأشهر خصائصه ثم عالج موضوع السرقات الشعرية وما آخذ العلماء به ودافع عنه فأبرز كتابه الخالد مقروناً بأدبه الجم ...

وهنا ألقت النظر إلى الشعر الجاهلي وما فيه من مآخذ أو ما توجه من نقد لأكابر الشعراء ، وأنه لم يسلم أحد من نقد ، وبين أن التحيزات في التوجيه ، والذب عن الشعر الجاهلي واعتقاد العظمة في أهله مما لا يأتلف والحكم العادل ولا يلتئم والصواب . ويريد أن يقول : إن المتنبي لم يكن بدعاً من الشعراء بدعوى أنه لا يصح أن يهفو أو يغلط . ومن المهم أنه الأستاذ الجرجاني لم يستفد من البيئة العراقية في أدبها المعاصر له وحده وإنما اطلع على الأدب العربي من وجوهه ووقف على آثاره ، فانه اعتذر عن المتنبي كما اعتذر أبو بكر الصولي عن أبي تمام ، ولعمري للأدب كما تعرضت للدراسة إلى تاريخه ... والملاحظ أن مماثلة المعنى أو مقارنته أو التعديل فيه لا يعد سرقة ، وإنما الأديب يطالع ويكتسب معاني من كتب متفرقة وفي فنون أدب جليلة وهذه لا عبرة بها إذا لم يكسبها وضعاً أدبياً فالدهاً مما نراه في قول بهار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتكة الالهج

فصاحه تلميذه سلم الخمار فقال :

من راقب الناس مات غمماً وفاز بالأسنة الجسود

ففضب عليه بهار ، فأرسل إليه جماعة يستشفعونه فقال له بهار : أقتأخذ معاني التي عنيت بها وتعبت في استنباطها فتكسوها الفاظاً أخف من الفاظي حتى يروي ما تقول ، ويذهب شعري لا أرضى عنك أبداً فما زال يتضرع إليه ويشفع له القوم حتى رضي عنه .

ومثله قول قيس العامري (مجنون ليلى) كما جاء في كتاب أخبار البحري للصوفي :
 تداويت من ليلى بليلى من الهوى كما يتداوى شارب الخمر بالخر
 فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ وإن كان الأصل فيه قول الأعشى :
 وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها
 فأخذ أبو نواس ، فوالله ما بلغه وظهر في لفظه تكلف فقال :
 دع عنك لومي فإن اللوم أغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
 والكلفة في قوله : « بالتي كانت هي الداء » فقال البحري سارقاً للفظ ومقتضراً
 على الطبع :

تداويت من ليلى بليلى فما اشتفى بماء الرُّبى من بات بالماء يشرق^(١)
 والعرب يقدوا من يأخذ آراء غير نقداً عنيفاً ونددوا بمن تصدى لمثل ما تصدى له
 وبذلك ردعوا أرباب الزيف ممن يتسمى أدبياً أو عالماً . ولم يسلم حتى المتنبي في علو أسلوبه
 أن يكون هدفاً في الرماية ولم يبرز له حتى أخذ المعنى ولم يفرقوا بين السرقات المالية
 والأدبية .

وفي كتاب (الكشف عن مساوي المتنبي^(٢)) للمصاحب بن عباد المولود في ذي القعدة
 سنة ٢٢٤ هـ - ٩٣٦ م والمتوفى بالري في ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ - ٩٩٥ م . وفي كتاب
 (الإبانة عن سرقات المتنبي لفظاً ومعنى^(٣)) تأليف العلامة أبي سعيد محمد بن أحمد
 العميدي المتوفى سنة ٤٢٣ هـ - ١٠٣١ م ما يوضح العلاقة بهذه السرقات .

(٩) الموازنة بين أبي تمام والبحتري :
 تأليف أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدي الأصل البصري المولد والمفتأ . توفي سنة

(١) أخبار البحري فصولي ١٣٨ و ١٣٩ .

(٢) منه نسخة في خزانة الأزهر ج ٥ ص ٢٩٨ .

(٣) طبع بالمطبعة القياسية بالقاهرة .

٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م وطبعته الثالثة بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٩٥٩ م وحقق اصوله وعلق حواشيه الأستاذ محمد يحيى عبد الحميد . تبارق في الأصل لشعر أبي تمام فبين سرقاته وما أخطأ فيه من المعاني ورجح البحتري عليه من وجود ولم يخرج في هذا عن دائرة النقد في كتاب الموشح للهرزباني بل ربما كان يفضل المرزباني فيما تناوله من سعة مباحث ، إلا أنه فصل في كتبه الأخرى هذه المطالب كما أنه تجاوزها إلى غيرها من نقد أدبي . ومن مؤلفاته :

- ١ - تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين .
- ٢ - شرح الحماسة لأبي تمام .
- ٣ - الفرق بين الخاص والمشارك من معاني الشعر .
- ٤ - إصلاح ما في معيار الشعر لابن طباطبا .
- ٥ - الرد على أحمد بن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام .
- ٦ - كتاب في أن الشاعر لا تتفق خواطرها .
- ٧ - فعلت وأفعلت .
- ٨ - المؤلف والمختلف في أسماء الشعراء وكنياتهم والقائمين وأنسابهم وبعض شعرهم عنيت بنشره مكتبة القدس بالقاهرة سنة ١٣٥٤ هـ بتصحيح وتعليق الدكتور كرككو مع معجم الشعراء للهرزباني .
- ٩ - معاني شعر البحتري .
- ١٠ - الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء :

في العصر الرابع الهجري توضح أمر الأدب العربي ، واتجه اتجاهات عديدة وحديثة ظهرت في الشعر ومحاسنه ، وعبوبه وتجلت أكثر في تاريخ الأدب ونقده ... جاء الشيخ أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني المولود ببغداد في شهر جمادى الآخرة

النقد الأدبي ومصادره

سنة ٢٩٧ هـ - ٩١٠ م والمتوفى بها في ٢ شوال سنة ٣٨٤ هـ - ٩٩٤ م . فذكر ما أنكر على الشعر وتناوله الأدباء في موضوع المحاسن والمساوي مما يجب أن تعرفه للتعجب عنها بل إن الشعراء توقعوا من أن يركبوا مركب ما مضى عليه الشعر من الضرورات أو الأخطاء وحاولوا قدر طاقتهم وجهدهم أن لا يكون في شعرهم مما يستنكر أو يستكره وكان عملهم مبدأ تأسيس قواعد البلاغة ...

والمرزباني لم يكن مبدعاً أو موجداً لهذه المأخذ وإنما جمع ونسق ما قاله العلماء ولم يعمل رأيه وضمها كتابه الموضح^(١) ولعل هذا أول كتاب علمي في (نقد الشعر) . تناول ما يتعلق باللفظ والالحن ، وهذا جاء متأخراً في أمر النقد ، والسناد ، والإبطاء والإقواء ، والإكفاء والتضمين ، والكسر ، والإمالة ، والتناقض ، واختلاف اللفظ وهلهة النسيج وسائر ما عيب على الشعراء من نواح كثيرة في الشعر القديم والشعر الحديث وقد أطلب المؤلف في بيانها . وأما العيوب النفسية ، أو عيوب الأجسام ، أو الأخلاق والعلائب والأنساب . والديانات وغير ذلك من الخصال فهذه تتكون منها مباحث واسعة ، ولعلها من العيوب في أيامه ... فقد عالجه في كتابه (المفيد) وزوده بأخبار المقلين من الشعراء وخصائص شعرهم ومزاياه ...

وهناك أمور أخرى كانت موضوع النقد ، ومن أهمها :

- ١ - سرقات معاني الشعر لاسيما إذا كان قصير في السقرة وكان الأصل أكل وعالجها في كتابه (محاسن الشعر وعيوبه وسرقاته) .
- ٢ - رديء الشعر والمضطرب منه .
- ٣ - توجيهات العيوب ، والناس خرج لها ، والرد على العائب والطمع فيه وحاولوا أن لا ينسبوا عيباً لمقدم .

(١) طبع في المطبعة السلطانية بالقاهرة سنة ١٣٤٣ هـ .

٤ - إقرار المؤلف هذه العيوب ، وبيان لزوم اجتنابها وتابعه شمسـعراؤنا فكانوا
بعيدين عما يوجب النقد من هذه النواحي ، فباء شعرهم أجل ، ولا يعذر المتأخر في هذه
المساويء لما نسبـه عليها إلا أن المؤلف لم يتعرض الى ان الشعر صار صناعة لاملـكة فطرية ..
ولم يقف المؤلف عند هذه الحدود وانما تجاوزها الى بيان شعر كل شاعر بذكر
أحسن شعره ، ثم يمضي الى ما يعدُّ رديئاً ، أو معيباً منه ، وسرد أمثلة عملية وأوضاعاً
لا تخلو من معرفة حققة ، وأدلة محسوسة . وكل هذه تعين الشعر ومنزلته ، تناولته الآراء
فدخله النقد والتحخيص ، والتوجيه .

فترى المؤلف تبسط في الموضوع من اطرافه ، وجاءت كتبه وافية بالفرض مستوفية
للمطلوب ، مستجمعة لما هنالك من نواح جديدة كاشفة عن ادب العرب في الجاهلية والاسلام
فكانت ثروة لا يستهان بها ونخبة للاجيال القادمة .
والمهم أن نقول : إنه من أكابر اساتذة الأدب ، بل أن نظرة الى مؤلفاته الوافرة
المزودة بالنصوص ، آسفين مقدار أدبه ، وعظمة مجهوده في اعلاء شأن الأدب العربي ، ومن
كتبه الأخرى :

- ١ - كتاب الشعر : ويتعلق بصناعة الشعر .
- ٢ - الموثق : في الشعراء من جاهليتهم إلى الدولة العباسية .
- ٣ - المستنير : في اخبار الشعراء المحدثين .
- ٤ - المعجم : في الشعراء وتنف من اشعارهم . طبع في القاهرة سنة ١٣٥٤ هـ وذيـله
كمال الدين أبو البركات المبارك بن أبي بكر بن حمدان المعروف بابن الشعـار الموصلـي وسمّاه
(تحفة الشعراء) ، فرغ منه في شعبان سنة ٦٣١ هـ ^(١) .

وقيمة هذا النقد ظاهرة للعيان ، ومن أراء التوسع فليرجع إلى مؤلفاته ومؤلفات

(١) التعريف بالمؤرخين ج ١ ص ٢٥ و ٢٦ المطبوع سنة ١٩٥٢ م بغداد .

العلماء التاليين ليعلم ما زادوا من مادة .

(١١) نقد الشعر :

تأليف محمد بن عبد الله الخطيب الاسكافي البغدادي المتوفى سنة ٤٢١ هـ - ١٠٣٠ م .

(١٢) قراضة الذهب في نقد اشعار العرب :

للقند الأدبي وجود الثغرات من الكتاب الأفاضل ساروا عليه نحو مناهج ، وقد سبق ان ذكرت بعضها . ومن أهم ما رأيت من كتب النقد الأدبي كتاب (قراضة الذهب في نقد اشعار العرب) للشيخ أبي علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني المتوفى بسنة ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م .

إن تحقيق النهج الأدبي يعين وجود الالتفات التي سار عليها الأدباء قبله أراد أن يتمها بأخرى عرضت له فحاول أن يبرز بها غيره ويعدل في خطته ، ويقرر أمراً جسيماً جديراً بالرعاية ، فصار يعتقد أن لا مجال وراء ما هناك ولا سبيل للخروج على ما ذكر من هذه الضروب والأنواع ، فبأقبي آخر وهكذا حتى تكاملت علوم البلاغة أو ظهر علم المعاني كما هو الشأن في علم البيان أو الصناعات الأدبية لفظها ومعناها بل قد نرى رسائل في موضوع النقد خاصة ، وفيها نواح تستحق العناية من ضروبها المتنوعة العديدة .

هؤلاء الأفاضل أمثال (ابن رشيق) تعاونا في مختلف الاقطار الاسلامية والعربية وعززوا تكامل الفن بأمل محاولة المبرنة ، وتطلب الريادة والانتقال من طريقه فجاءت مدوناتهم متلازمة وفي الدروة مع رقب الحالات ... ولا سبب الاحب الأدب والتوغل فيه وادراك نواحيه وبيانها في (كتب النقد) ، وهي وافرة المادة ...

يعد هذا الكتاب بمنزلة من بينها وإن لم يبيح حق غيره في الوجبات الأخرى والسبيل المتبعة وأول أمر تناوله بالبحث والتحقيق (السرقات الشعرية) اتخذ فيها أبحاثاً تتبع النقد فيها وهي :

ألم ترهم كيف استقلوا به ضحىً إلى كنف من رحمة الله واسع
إمام خميس ماج في البر بحره يسير كمن الأجرة المتدافع
إذا ضربت فيه الطبول تتابعت به عذاب يحكي ارتعاد الأصابع
تجاوب نوح بات يندب شجوه وأيدي تكالي فوجئت بالفواجع^(١)

قابل بين الشعراء متباعدة خبير مطلع ، وقرب بين المعاني تقريباً بديعاً وعين أن
التصرف في المعنى المعروف المؤلف لا يعد صاحبه سارقاً إذا بذل في العناية وأبدع في
الأسلوب . قال :

« هذا التصرف لم يسم آخذه سارقاً . لأن المعنى يكون قليلاً فيحصر ويدعى صاحبه
سارقاً مبتدعاً ، فإذا شاع وتداولته الألسن بعضها من بعض ، تساوى فيه الشعراء إلا المجيد
فإن له فضله أو المقصر ، فإن عليه درك تقصيره إلا أن يزيد فيه (شيئاً) زيادة بارعة
مستحقة يستوجبها ويستحقه في مبتدعه ومخترعه .

وقد ألف العلماء والنقاد في سرقات الشعراء كتباً عديدة وصنفوها تصانيف كثيرة
اختلفت فيها آراؤهم وتباعدت طرائقهم غير أن أهل التحقيق مجمعون من ذلك على أن
السرقعة إنما تقع في البديع النادر ، والمخارج من العادة وذلك في العبارات التي هي
الألفاظ^(٢) ... » اهـ

وكنا نود الإطلاع على ما هنالك من مصنفات في النقد الأدبي بل نريد الإحاطة أو
الإلمام بها ، لنعلم مقدار عناية رجالنا بالأدب والاهتمام بشأه فالحاجة تدعنا إلى المعرفة الكاملة
إلا أن المؤلف لم يشأ إلا أن يتناول ضروب الأدب في أكابر الشعراء وما أثر به الواحد
على الآخر بالمعنى القريب أو البعيد ، فعين وجوه التقارب والتباعد . وكتابه كافٍ وافٍ
لا يحتاج معه إلى غيره ، ومما ذكره بتفصيل ومثّل له وجوه الاستعارة ، ومليح التشبيه

(١) قراءة الذهب ص ١٠ طبع في مطبعة النهضة بمصر من نشرات مكتبة الخانجي .

(٢) قراءة الذهب ص ١٤ .

والمطابقة، والتجنيس والمبالغة وفي هذه ذكر مأخذ الأدباء وسرقاتهم وقال : « إن الكلام من الكلام مأخوذ ، وبه متملق والحذق في الأخذ على ضروب ، أنا ذاكر منها ما أمكن وتيسر ، إذ ليست هذه الرسالة موضع استقصاء لا سيما وقد فرغت (من) كتاب العمدة بما يراد أو أكثر والمعاني التي يقال إنها اختراعات وأخذها سرقات إنما هي المقاصد وترتيباتها والطرق إليها هي التي يسمى أخذها سرقة لا محالة ^(١) ... »

وكتابه العمدة من أجل كتب النقد وفي طليعتها .

ولم يكن المؤلف باحثاً ومدوناً لما جرى بمذافيه على وجه الإضافة والشمول وإنما شارك وقارع وعين المبكاة وأبدى الرأي وحكم ... فهو الأديب المتخلص في أدبه إلى الوجهة التي رمى إليها وكان عمله (نقداً) حقاً ، لا تشويه شائبة ، ولا يدركه خلل ، أو يناله التقصير والنقص . ولم يترك معاصريه فأوضح العلاقات وبصر بالصلوات الأدبية إلى أيامه ...

وقال : (بعد ذكر أمثلة عديدة)

« هذا وأشباهه مما انفرد به كل واحد من الشعراء وإن كان ذلك قليلاً جداً لا يكاد يتناوله حاذق إلا أن يزيد فيه زيادة تحسنه أو تنقص من نظمه وتستوفي معناه فيكون أيضاً له فضيلة الإيجاز ، وكذلك تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني أخذت حقها من اللفظ ، فلم (تبق) فيها فضلة تلمس ، والقرايح تنماضل ألا ترى إلى قول جميل في صفة امرأة فاجأها :

غدا لأعب في الحبي لم يدرك أنا نمر ولا أرض لنا بطريق
فلما انتحينا انتقاماً بكاه وأعلن من روعاتنا بشيق

كيف وصف حقيقة الحال حتى صورها تصويراً مع حسن لفظ وجزالة (بيان) ومع

ذلك ليس ببالغ قول النابغة :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته وادمتنا باليد

على أن النابغة أقدم عصرًا وأشبه بالتمخامة من جميل^(١).

وهكذا مضى في البيان فأبدع ، قابل ووازق فأجاد وأحسن في المناظرات الشعرية ، والمقارعات الأدبية لم يترك شاردة ولا واردة ليكشف عن مزايا الشعر لكل شاعر فيما رى إليه ، وحاول ابتداء من نوع موضوعه الذي هدف إليه ، وهو حقيقة تقدم في هذا المناظرة وتلك الموازنة ، والتعرض للصلة من زيادة ، أو نقص وربما تعرض لأمر عديده جاءت موضحة لشعر الشعراء وعلاقاتهم الأدبية وتلاعب في التعبير وذكر حتى السرقات المغتفرة . وقال :

والسرقة المغتفرة نظم المنثور ، كقول امرأة من أهل البصرة لبشار : أي رجل أنت لو كنت أسود الرأس والوجه ؟ فقال بشار أما علمت أن بيض البراة أظن من سود الغرابان قالت : أما ذلك فحسن في السمع فمن لك بأن (تحسن) شيتنا في العين كما حسن قولك في السمع ؟ وكان بشار يقول : ما أظمني قط غير هذه المرأة . أخذ البحتري قول بشار فقال :

فبيض البازي أحسن لوناً إن تملت من سواد الغراب^(٢)

ثم ختم رسالته بقوله في وصفها :

دونكها ياسيتد الأحرار وواحد العصر بلى الأعصار
رسالة بديعة الأعذار باحت بما تخفي من الأسرار
أدل من فجر على نهار وفضل ذاك السر في الإظهار

(١) قراصة الذهب ص ٢٠ - ٢١ .

(٢) قراصة الذهب ص ٤٧ .

النقد الأدبي ومصادره

لعيفة المسلك في اختصار
كأنها من جودة العيار
خفيفة الروح على الأفكار
(قراضة من ذهب) الدينار
اليك جاءت لا إلى المماري
هل يعرف التبر سوى التجار^(١)

والمؤلف جدير بالإجلال ، تحقيق بالشاء ولا اظن أن من عنده من وصف فائق
ما يستطيع أن يزيد عليه ، وفي كتابه هذا والحق يقال : عين مزاي الكلام ، وقيمة
الأدب ، ودرجة العناية به ، ومقدار الاستفادة من نتاج الشعر والنثر ، وإن ذلك ثروة
عظيمة ، تحتاج إلى رعاية وحماية ، وطريق الاستفادة أن يأتي المرء بالجديد ، ويقدم أنفع
ما عنده وأرقى من تقدمه في الأدب ليكون مقبولا ، ولينال المكانة ، ويؤدي المهمة
المطلوبة في هذه الرسالة .

ومها قيل فيها قليل بل أقل قليل ، جمعت أدبا غزيرا ، وإن وراء المرء عينا ناظرة فلا يهمل
ما قال ، ولا يسلم من نقد ، أو إكبار ... ولكل واحد نصيب من ادبه ، وقيمة فيما كتب
أو عرض . ومن آلف فقد استهدف .

(١٣) أعلام الكلام :

مهما تتكاثر الكتب الأدبية أو كتب النقد فإنها تحتاج إلى تجديد دائما وإن الأدباء قاموا
بهذه المهمة خير قيام ، ومن كتب النقد الخالدة (أعلام الكلام) لأبي عبد الله محمد بن أبي
سعيد بن أحمد بن شرف القيرواني المتوفى سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م نشره الأستاذ حسن
حسني عبد الوهاب التونسي في مجلة المقتبس^(٢) تحت عنوان (رسائل الانتقاد) على نسخة
في خزائنه وأخرى في خزانة الإسكوريال رقم ٥٢٦ من القسم العربي ، وجاء في آخره تمت

(١) قراضة الذهب ص ٦١ .

(٢) مجلة المقتبس ج ٦ ص ٣٠٠ و ٤٠٠ و ٤٢٠ لسنة ١٩١١ م .

المقامة المعروفة بمسائل الاستقانة وأعيد طبعه مستقلاً وفيه زيادات عن النسخة السابقة .
جاء في مقدمته :

« هــزـد أحاديث صنفها مختلفة الأنواع ، وثو ثلثة الأسجاع عربيات المواسم ، غريبات التراجيم ، واختلقت فيها أخباراً فصيحجات الكلام ، بديعيات النظام ، لها مقاصد ظراف ، واسناد طراف ، يروق الصغير معناها ، والكبير مغزاها ... » كتبه على لسان أبي الريان السلت بن السكن من سلامان أحد النجارين الأعلام :

« قال في جملة أحاديث : وجاريت أبا الريان في الشعر والشعراء ومنازلهم في جاهليتهم واسلامهم واستكشفتة عن مذهبهم فيهم ، ومذاهب طبقتة في قديمهم وحديثهم
نقال (١) ... » .

ويعد هذا الكتاب متمماً لكتاب أبي حاتم السجستاني وعلى نمطه أو كان من الهامه وجاء مكملاً لمباحثه ، وإثباتاً بالأغراض المطبوعة ، وفيه شمل أزيد ، ويعد من أجل المصادر وأعظمها ، وربما كان متناً في النقد الأدبي بما بلغ إليه علم زمرة من الأدب فذكر جملة من الشعراء المشهورين في العصور الجاهلية والإسلامية والمولدين وأهل الجاهيل ، وأغفل شأنهم ، ذاكر أبا الريان وهو شخص مستعار ، أو رجل انتزع من نفسه فكان مخاطبه أبو الريان يحبه بما عرف ليقدّم عن كل شاعر ما عنده وما يعلمه عنه وكأنه أراد أن يعلم قيمة أثره وتأثيره ، ودرجة علاقته بالوسط لاسمع ما يقال ، ويشجود عن التبعة لينظر في الأمر ويتحقق الحالة ... وصف جملة من شعراء الجاهلية وقال : « أما ابن خنزة البشكري فسهل الجزون ، قام خطيباً بالموزون ، وفي العادة أن يسهل شرح الشعر بالنثر . وهذا أسهل السهل بالوعر ، مثل قوله :

أبرموا أمرهم بليل فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء

(١) اعلام السكلام ص ١٤ . طبعة النهضة بمصر سنة ١٩٢٦ وهو من نشرات مكتبة المنابر .

النقد الأدبي ومصادره

من منادٍ ومن مجيبٍ ومن
تصهال خيل خلال ذاك رغاء
فلو اجتمع كل خطيب سائر ، من أول وآخر ، يصفون سفرأ نهضوا بالأسفار ، وعسكراً
تنادى بالنهوض الى طلب الثار ، لما زادوا على هذا إن لم ينقصوا منه ، ويقصروا عنه وسائر
قصيدته على هذا السلك ، شكائية وملااب نصفة وعتاب في عز (وأنفة) وهو من شعراء أوائل
وأحد السنة هاتيك القبائل ^(١) . ثم ذكر من أدركوا الجاهلية والاسلام كأبي ليلى
الجمدي ، وهكذا مضى الى الشعراء الاسلاميين ، وذكر شعراء بني أمية ثم ذكر جملة من
الموالدين ومضى الى من تلاهم ...

وكان يقف عند كل شاعر ، فيقرر وضعه ، وما عرف به ، وأبدي أوصافه كلها ، وما
خص به وبهذا سهل البحث ، ويقرب من المقابلات ، والنقد يركن الى مثل هذا بل يعد
مادته وأصله ، فلا تعجل بالحكم ، وإنما نستطيع بذلك ان ننفذ الى غرض الشاعر ،
والاستحسان أو الاسترجان تابعان للروية وحسن الدربة بأن نعم النظر ، ونستخدام
الفكر ، وإلا كان شأننا خالياً من النفاذ الى كنهه لمعرفة محاسنه ومساوئيه ، ومستقيمة
وأعرجه وان نلطف لغوامضه ومتناقضه ، من جميع وجوهه ، ومنابعه وسرائره ، وإلا
كان مع المستعجل الزلل والأشلة فني عما قصدنا أو توضح ما ذكرنا ...

والشعر خاصة منه ما يملأ لفظه المسامع فنتوهم فيه ، ونغلط في معناه أو لا نلتفت الى
حقيقة مفهومه ، كما أن بعض ما يتردد من معناد ألفاظه ، وجليل العناية في مدلوله ، ولا
يقرب على جزالة كلماته صفة ذلك المسك فالمعنى الغاية المنشودة ، والألفاظ قوالب المعاني ،
والموازنة بين الأمرين ، والمعرفة الحقة هي الأصل في الاثنين ، ولا يسلم اللفظ من نقد ،
ولا يخلو المعنى من استهداف الغرض المطلوب .

وهكذا يتطرق الخلل الى وسائط البيان وآلاته ، وإن كان نفوذ النظر يستدعي

الالتفات الى ذلك الغرض ، ويؤدي الى الانتباه الى الأصل وادراك روح الهدف ... وإلا كانت الدوافع لا تقبل أو الرد بل النقد الى أمر لا علاقة له بالموضوع كأن نستحسن القديم لمجرد قدمه ، ونجمله لمطلق تقدمه في الزمن ومن هذا يتطرق الخلل ، ويتوجه النقد ويتمسك بالنقص وقلت في هذا المعنى :

قل لمن لا يرى المماصر شيئاً ويرى للأوائل التقديماً
إنّ ذلك القديم كان جديداً وسيعدو هذا الجديد قديماً

وسنة عبادة الأوائل ماتت بظهور الاسلام ، والتقليد لهم هلك بهلاك تلك الآراء .
والمطلوب أن نهجر على المنهاج الحق في جميع احكامنا من إرام ونقض ، وذكر المؤلف نقداً وجهه على امرئ القيس مع اتساع الأقوال في فضله فيظن ان جواد شعره لا يسكب ، وحسام شعره لا يلبو ، وهيات من البشر الكمال ومن الآدميين الاستواء والاعتدال .
ونقد قوله في قصيدته المقدمة ، ومعلقته المفخمة :

ويوم دخلت الخمر خدر عزيزة فقالت لك الويلات انك مرجلي

قال : فما أغناء عن الاقرار بهسبنا ، وما اشد غفلته عما أدركه من الوصية به وعدد ما هنالك مما ترتب ... وهكذا مضى الى قوله :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعاً فأطيتها عن ذي تمام بحول
ومضى في نقده ، وأجره الى ذكر قوله :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سموّ حساب الماء حالاً على حال
فقالت لحالك الله إنك فاضحي الست ترى السمار والناس أحوالي
حلقت لها بالله حلقة فاجر لنا مواءنا إن من حديث ولاصال

وكان النقد في محله وهو واضح لكل أديب ، بل فاضح لذلك المعاصر الذي يعتقد أنه لا ينتقد وهكذا استرسل المؤلف في النقد وأورد الأمثلة من شعره ، ولم يمرح في الخيال

والتبجيل ... ثم أشار الى قوله :

هما دليان من ثمانين قامة

وقد فرعه جرير بهذا فقال :

تدليت تزني من ثمانين قامة وقصرت عن باع العلا والمكارم

ومضى في ذكر معاصيه ، وانه لم يكن من تلك الصفوة والأسلوب لا يمنع بقوته أن يتوجه عليه ما يتوجه فكان خير مثال أورد لما يجب أن يتحلى به الأديب بل توغل في هذا الشاعر خاصة ، واستدرك عليه ما شاء أن يستدرك .

ثم قال المؤلف : وهذه العيوب نزره بالنظر لما أفرد له من الفضائل الأدبية مما سبق أن قدمه ، أو أوضحه فاذا علا أسلوبه في أمور كثيرة فقد انحط في سلوكه ونهجه في أخرى .
وفضلاء الشعراء كثيرون جداً ولكل سقطات ربما تسوق الى بعضها الاطالة والتدريب على (مناهج النقد) لا أن نحصر على التماس النقص في التعصبات ، وانما يجب أن تكون الخطة في السلوك على قصد ، والا فليس الغرض التنديد بالأدباء دون ذكر المحاسن ، وبيان وجهات النقص .

ومثل لذلك زهير بن أبي سُهل فقال : إنه على ما وصفناه به ، ووصفه غيرنا من العلو والرفعة في هذه الصنعة من مُذهَّبَته وحكمه فيها ، إلا أنه قال :
رأيت المنايا خبيط عشواء من تصب تربيةً ومن تُخْطِئُ يُعمَّر فيهرم
واذا كان خالف عقيدتنا ، فانه عارض العقل كذلك وان كان لا تريب عليه من جراء ما كان عليه من جاهلية والرأي فائل والقول خبيط عشواء . ومثله قوله :

ومن لا يزد عن حرصه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
فتجاوز حدود الحق والعدل . وكانت له مندوحة عن هذا ولم يخل بما كان قد سبق منه ، أو عرف عنه في حكمه الأخرى وحسن أسلوبه ورقته ، وغرره ، ومستحسن أقواله

لا ينكر ، وإن كان التعصب له أو عليه من الأمور التي لا تُستحسن إلا بحق فلا يعمط
حقه ، ولا يهمل النقد الموجه عليه ، وكل أحد يؤخذ منه ويرد ...

ثم ذكر أن المستحسن لا ينكر ، والتقييد لا يهمل وأمثال ذلك مما أطنب في المراد
أو أوضح . وإن ما ذكر من شعري هذين الفصلين والمتقدمين القديمين ما يُغني عن
التقييد عن سقطات سواهما وليُقَسَّ ما لم يُقَلَّ ، فقد بين أمرأ جليلاً يتعلق بنفسية
الشاعر وسلوكه ، أو نقد شعره مما يتعلق بالاجتماع ونهجه .

ثم مضى إلى أن من عيوب الشعر :

المحسن وخشونة حروف الكلمة والزحاف والأوزان ومجاورة الكلمة ما لا يناسبها
ولا يقاربها والافتتاحات الثقيلة أو تُبَحِّح الاستفتاح والسرق والإخلال بالتناسب في
المعنى والأبيات أو تعقيد الكلام .

وهذه أوسعها علماء البيان ، أو رجال البلاغة ، وأكابر النحو ما يدعو للالتفات
وصارت الأغلاط اللغوية معيبة ، والمحسن يفتضح قدرة الأديب ويسقطها ويقلل من
شأنها ، والتحليل اللفظي في الكلامات ، وفي التأليف مما يلتفت الأنظار كثيراً ، ويدعو
للقصد المرء .

وهنا ندعو الحالة إلى التنبيه إلى أمر جدير بالالتفات ، وهو أن فساد اللغة ،
وصيرورتها صناعية دعا أن يتوجه للنقد فيها كثيراً وإن تملأ منه بطون الأوراق . ومن
العلماء من جمع الأغلاط النحوية ، والأدبية ، واللغوية لانتقاد العربية ، وكتب القدماء
أمثال أبي حاتم تدعو إلى مطالب هي الجديرة بالالتفات مع سلامة ما ذكر مما تعرض له
مؤلف (أعلام الكلام) .

وأمثلة هذه في شعراء كثيرين . أورد ذكرهم المؤلف وجاءت عيوباً في مشاهير من
الشعراء وقل أن يخلو أديب شاعر من نقص ولكن لا يخل هذا عثراته ، ولا يقلل من

قيمته الأدبية ولا يدع مجالاً في الموضوع . ولعل السبب الرئيسي في الخلل ناجم عن
الاخلال بالصنعة أو التهاون فيها أو الاتصال بالطبيعية والتطبيع فيقع المرء بمثل
ما وقع ...

ثم ذكر أجود الشعر ومختاره وأنه القدوة لمن سلك السبيل والأ نموذج لمن ابتغى أن
يدخل البيوت من أبوابها ، فذكر أمثلة في الحكم وما جرى مجرى المثل ، وفي الغزل ،
وأورد أحسن المراتبي وأفصحها ، وأوجعها وأفرحها . وفي المدح قدم خياره وأدل به
على اقتداره .

هذا ونريد أن نقول : إن نتائج المعرفة في الشعر والشعراء أدت أن ندون عن كل واحد
ما عرف عنه ، ويدخل ضمن ذلك النقد ، ونستخلص عيون شعر الشاعر وأن لا نغفل أمره
لعيب فيه وإن نختار ذلك ليكون عوناً لطالب المعرفة ، أو من أراد الاقتداء بعصبة
الأدب الفاضلة فكانت النظرة سريعة ، ونحن أحوج إليها من مئات المجلدات . ويكتفي من
القلادة ما أحاط بالعنق .

(١٤) البديع في نقد الشعر :

لأبي عبد الله محمد بن يوسف الكنزي طابى المعروف بابن الميرة المتوفى سنة
٥٠٣ هـ - ١١٠٩ م .

(١٥) ديوان الأبيوردي :

النقد الأدبي تظهر أهميته في ذكر ما يميز به شاعر عن آخر ، أو ينحط به عن غيره
بأن تكون مزاياه محدودة أو عامة . ويصعب علينا ادراك هذه الامن نقد نظره في المعرفة
الأدبية وما كان من خصال الشاعر أو الأديب في أسلوبه ... والغالب على أدبائنا ان يدحوا
الشاعر لأن التلقي عنه كان بهذه الصورة ، أو وصل اليها خبره من طريق واحد لا نكاد
نخرج عليه ، أو لا تتجلى حالته الا من تلك الوسيلة ، أو كان الاتجاه معيناً فالجود

واضح في مثل هذه الحالة ، ولم نلتفت الى تدقيق الشاعر الامن ناحية شعره ، ومن مقابلته
بغيره ومراعاة المفاضلات بينه وبين اكار الشعر .

والأبيوردي هو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد الأموي المتوفى في شهر ربيع الأول
سنة ٥٠٧ هـ — ١١١٣ م شاعر مقبول الأدب ، واغفر الحرمة في الصنعة ، متفق على اجلاله .
جاءتنا أخباره كثيرة ، ولكن هل يصح أن نعول عليها ونفكر بما فكر به غيرنا ، أو نلتمس
بأنفسنا أدبه وإن ندرسه كأننا لم نعرف عنه ما قيل فيه بأن نراعي ما يوحيه رأينا ، وما
يهدف اليه تحقيقنا فنقول كلمتنا نتيجة اتصالنا بشعره وبأدبه الفياض ...

اننا نشعر بمزايا عظيمة ، نعجب اشعره ، ولدقة صنعته وجليل أدبه وحكمته وأسلوبه
المتين الرائع ، ففي الحماس بلغ الذروة ، وبالفخر تجاوز المؤلف وعلا فوصل الى أسمى
درجاته وفي الغزل كاد ينفرد بسعة الوصف ودقة المعنى ...

وكل ما علمناه أذكرناه لنعود الى ما قيل في شعره ، وما نطق أكارنا بفضل ومكاته
فهل ينطبق شيء من ذلك على ما شعرنا به ؟ وما مة دار ذلك ؟ وما هي الوجوه التي عددناها
فائقة فيه ؟

والأمر الأجل أن يجد المرء من ينصره في فكرته ، أو أن آراء قدمائنا لا تزال
جديدة ، أو تتجدد دوماً في إيرادها ، وتعلن عن افتكار صحيح في هذا الأديب الكامل
الذي لم يضع عزة النفس ولم يفقد الآباء . ذلك موضوع أدبه بوجه عام .
ومحتمل الآن يقتصر على نقد شعره ولا أدل على ذلك مثل قوله :

كلما تاتي فلائد الأعناق سوف تنفي الدهور وهي بواق
دل فيها الدهن الجلي بأنسا ظر رفاق على معان دفاق
فقرضي يراه من ينقد الأشعار سهل المرام صعب المراق

لم يشيخه المعنى المصويص ولا لفظ يكدة الأسباع مر المذاق^(١)
وهذا الوصف ينطبق على كل شعر مثل شعرة من النعوت الفائقة ، وهي تقدم لما خلا منها ،
وديوانه ينبيء عن شعره ، وجزالته من جهة ورقته من أخرى فهو يصدق على ما قال ويعد
درة في جبين العصر سالمة من كل نقد . وعندي نسختان مخطوطتان منه أحدهما في غاية
النفاسة والاتقان وفي خزانة مجلس الأمة الإيراني^(٢) نسخة كتبت سنة ١٦٦٠ هـ وإن العهد
الكتاب الأمبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ هـ - ١٢٠٠ م قد أدخل هذا الديوان مرتباً على
أحرف الهجاء ضمن كتابه (خريدة القصر وجريدة العصر) مما يتعلق بأدباء إيران خاصة
وعندي منها نسخة خطية قديمة جميلة الخط ومتقنته وترجع لعهد المؤلف أو بعده بقليل .
وكان المترجم خازناً في دار الكتب النظامية ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب
ابن سليمان الأسفراييني المتوفى في شهر رمضان سنة ٤٩٨ هـ - ١١٠٤ م .
(١٦) رسالة المآخذ :

في هذه الأيام كثرت المباحث في (النقد الأدبي) وكلها تلوك بعض الكتب فلم
تتجاوزها ولا خرجت عن موضوعها ، ولو استقصينا المآخذ على الشعراء والكتاب بما
تناول العلماء من مباحث لطال بنا الأمر ، ولدنا الحال إلى مطالب موسعة جداً ، وهناك
كتب عامة تتناول الموضوع ، وأخرى خاصة بشاعر أو جملة شعراء أو عصر أو عهد ،
ومهمتنا توضيح تاريخ الحركة الأدبية في مختلف عهودها فهي المهمة الجديرة بالتدوين
وليس من الصواب الاقتصار على ناحية من نواحيها بل تصعب الإحاطة ومن جهة أخرى
تعد تلك المؤلفات ثروة أدبية غزيرة جداً ، فمن الضروري أن لا تهمل وبناء الفكرة عليها

(١) ديوان الأيوودي م ٢٢٥ طبعة الجامعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧ هـ وهي سقيمة وطبعت قديمة
منه على الحجر في مصر سنة ١٢٧٧ هـ .

(٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٢ م ٢٠ .

حاجة أدبية وعلمية معاً .

وهذه الرسالة وردت في كشف الظنون باسم (الرسالة السعيدية في المآخذ السكندرية) نسبة إلى أبي الطيب سعيد بن المبارك الدهان السكندري عالم بالغة والأدب ، المولود ببغداد في ٢١ رجب سنة ٤٩٣ هـ - ١١٠٠ م وفيها منشأؤه والمتوفى سنة ٥٦٩ هـ - ١١٧٣ م بالموصل ^(١) ويفهم من سؤاها أنها (نقد لشعر المتنبي) بما أخذه من أبي تمام الشاعر المعروف أو اشتراكه في المعاني وأدى عين الغرض .

وهي مقابلة بين آراء المتنبي في شعره ، وآراء أبي تمام وما أبداه في النقل من معاني شعره ولا شك أن هذه صفحة أدبية خاصة تدلنا على درجة العلاقة بين الشاعرين وهما صاحباً مكانة مرموقة في الشعر العربي ، وإن تدقيق مثل هذه يعين اتجاهاتنا الأدبية بين الشاعرين وسزايا شعر كل منهما ومعرفة قدرة المؤلف في تحقيق الاتجاه الأدبي ، وما عورض به من أديب آخر مشهور أيضاً حيث تتجلى الموهبة الأدبية في الدفاع والانتصار ولكل فضله وعذبه وأدبه .

(١٧) الاستدراك في الأخذ على المآخذ :

كانت رسالة ابن الدهان قد فقدت أو بقيت في زوايا الأهمال :

والاستدراك تأليف كاتب الديوان أبي الفتح ضياء الدين نصر الله المعروف بابن الأثير الموصللي صاحب المثل السائر المولود سنة ٥٥٨ هـ - ١١٩٢ م والمتوفى في سنة ٦٣٧ هـ - ١٢٣٩ م ويعد من أكابر رجال الأدب والمؤلفين المغردين بالمتنبي وشعره وفيها تتمين لنا العلاقة بين أديبين نحويين مشهورين ابن الدهان وابن الأثير كما أوضحت آراء هؤلاء في المتنبي وأبي تمام وهذا هو النقد الأدبي بأجلى مظاهره والعلاقة بين النحويين

(١) معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٤٩ ونم يذكر هذه الرسالة ، وفيه لوحة لسبوعلي ص ٢٥٦ . وهدية

العارفين ج ١ ص ٣٩١ والأعلام الأستاذ خير الدين الزركلي ج ٣ ص ١٥٢ الطبعة الجديدة .

مشهورة من كتابيهما فنرى تعارض الآراء ، ومكاشفتهما من البحث العلمي في تقدير مزايا كل منهما ودرجة أدبه .

آخذ ابن الأثير نده بما نسب إلى المتنبي فاتصّر له ودفع عنه ريبة السرقات الشعرية من غيره وناقشه في هذه المآخذ التي نسبها إلى المتنبي وفند ما قال .

ومن المهم ذكره أن ابن الأثير لم يتمكن من ضبط نفسه عن بيان المآخذ على المتنبي ولم يسكت عما عثر عليه من تلك المآخذ التي غفل عنها ابن الدهان في شعر المتنبي ، فيكون كما قال المرحوم الأستاذ المغربي قد جمع بين مؤاخذات ابن الدهان وبين ما استدركه هو عليها ، ومن جراء ذلك سمي كتابه (الاستدراك في الأخذ على المآخذ) . منه :

- (١) نسخة فيها خرم لدى الأستاذ المغربي وهذه تصلح للمقابلة والتصحيح .
- (٢) نسخة في خزانة الأستاذ العلامة أحمد تيمور سميت بـ (الاستدراك في الأخذ على المآخذ السكندرية من المعاني الطائفة ^(٩)) ، وهي كاملة ولكنها لا تستغني عن سابقها للاستفادة من تصحيحها ومقابلاتها .

ذكر المؤلف في مقدمة كتابه كلاماً مسهباً في (نقد الشعر) ولعل هذا محط الفائدة العامة ، وأكثر من الشواهد الشعرية فيه ، وقابل بينها إلا أنه ذم نده وتحامل عليه ولعنه بأنه لا بصيرة له في (صناعة الأدب) ولا عناية بمن (نقد الشعر) .

والكتاب وإن كان خاصاً بشعر شاعر ومقابلته بشعر آخر إلا أنه محل إبراز المواهب في مثل هذه النواحي وطريق البحث فيها بوجه أدبي عام ، واتخاذ الموضوع وسيلة للتبسط في الأدب وبيان الأحكام العامة في النقد . والحاجة ماسة لهذه الآثار الخالدة الجديرة بالعناية لاظهار ما فيها ، والتطلع إلى الحركة الأدبية من وجوها العديدة في عصر من عصور كماله .

(٩) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٢١ ص ٣٩١ من مقال للأستاذ عبد القادر المغربي في

ولو فرضنا ان نسخة المأخذ قد فقدت وزالت من اليبين ، فلا شك ان الاستدراك لابن الأثير يعوض نوعاً ، ويصير بوجود النقد له ويعين النهج الأدبي في نظره وان كان لم يذكر مأثرة للأصل ويعطى حق مؤلفه فلم يكن أول من أنشأت حرمة أو ضيع الناس فضله وكال أدبه ، والله عادل لم يترك ابن الأثير يتناول حتى سلط عليه ابن أبي الحديد في نقد كتابه المثل السائر .

وعلى كل حال حاجتنا كبيرة في احياء مثل هذا الأثر الجليل وان نقف على المجري الأدبي في عصر من عصور كماله وبعد صفحة كاشفة عن حالات النقد في تطور الأزمان ومعرفة اثرين جليلين والأمر غير مقصور على النقد وانما التعرف لمثل هذه الآثار ودرجة الاتصال بها .

١٨ (المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر)^(١) .

النقد الأدبي في جاهليته لم يكن تابعاً لقواعد علمية أو لتنظيم وإنما هو تابع للمواهب التي تظهر بين حين وآخر ويدخله الأخذ والرد وفي العهد العباسي اكتسب وضعاً علمياً وقواعد خاصة ، ولا شك أنه استعان بما كان يجري من قواعد علمية وعقلية ، ونتيجة جدل أو ما يقال له (آداب البحث والمناظرة)^(٢) أو ما هو قريب منها ، فاكسب انتظاماً واستمر في سيرته العلمية الى آخر الدولة العباسية .

والمثل السائر من آخرها وهو من كتب البلاغة المهمة ومن اجل كتب النقد المعتمدة وأوسعها مطالب ، واغزرها مادة ، ونال مكانة في الأوساط الأدبية ، وأحدث ضجة ، فظهرت قيمته فيما رمى اليه من اهداف ، نقد بعض الأدباء نقداً مرأ ، ونالها مما اكسبته

(١) طبخ في يولاي سنة ١٢٨٢ هـ وفي الطبعة البهية سنة ١٢١٤ هـ وطبع بتحقيق الأستاذ محمد

عبي الدين عبد الحميد سنة ١٣٥٨ هـ — م بمصر .

(٢) بحثنا في مجلة القضاء البغدادية ج ٣ ص ١١ — ١٨ في آداب البحث والمناظرة .

النقد الأدبي ومصادره

التجارب وهو قوي الحجة لا يوازيه انتقاد منتقديه ، ولم يتحاش ذلك مما جلب السخط عليه . وهو تأليف ضياء الدين ابن الأثير .

تداوله العلماء بالبحث والتحصيل والتحقيق ، ففهم من أعجب به غاية الإعجاب وهذه من أفضل ما كتب في موضوعه وبرز سائر الكتب من نوعه وفيه توجيهات علمية استفادة من الآيات السريفة والحكم القرآنية فأتخذ معانيها أصلاً في المراد بيانه وكذا من أمثال العوام واقتباسها أو تضمينها للنظم والنثر وفيه بيان عدة الكتاب وما يعرض له من عقبات وما يدعو لتقدمه في صناعته فهو توجيهٌ ونقدٌ معاً . انتشر قديماً وحديثاً منه نسخ خطية في الموصل وفي الخزانة الأحمديّة نسخة كتبت سنة ١٠٧٧ هـ وفي خزانة الحجيّات نسخة كتبت سنة ١٠٧٨ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة ١١٢٣ هـ ^(١) .

وقد اطلع عليه الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحميد ^(٢) في غرة ذي الحجة سنة ٦٣٣ هـ في بغداد ، وأتم نقده بعد أسبوعين بكتاب ستماء (الملك الدائر على المثل السائر) وتعرض فيه للغة كثيراً وإصلاح أن يكون كتاب نقد لغوي كما أنه كتاب نقد أدبي وتعرض له أيضاً عند شرحه لنهج البلاغة في مواطن عديدة منه . وكتب إليه أخوه موفق الدين أبو المعالي القاسم مقرظاً له ، قال :

(١) مخطوطات الموصل للكثير داود الجلي طبع سنة ١٩٢٧ م في مطبعة انقراط بنسب د. د. مر ٩١

(٢) هو عز الدين عبد الحميد بن مبة الله الداهلي ويعرف به (ابن أبي الحميد) ولد في غرة ذي الحجة سنة ٥٥٦ هـ - ١١٩٥ م وتوفي في جمادى الآخرة سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م بعد أخيه القاضي موفق الدين أبي المعالي القاسم ابن أبي الحميد الداهلي بأربعة عشر يوماً وفي زمانه لأخيه المذكور يفيد أنه توفي بعد الوزير ابن العلقمي بنحو أسبوع وهذا توفي سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م وما جاء في فوات الوفيات ج ١ ص ٢١٧ من أنه توفي سنة ٦٥٥ هـ فغير صحيح وترجمته مذكورة في آخر شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٧١ نقل عن ابن الفوطي من كتابه (معجم الآداب في معجم الألقاب) وأوسم ترجمة رأيناها له في كتاب نسمة الدهر مخطوطة عندي نسختها .

المثل السائر يا سيدي صنعت فيه الفلك الدائراً
لكن هذا فلك دائر أصبغت فيه المثل السائراً

فإذا كان ابن الأثير أبدع في أثره ، وحاول أن ينجح النجاح كله في موضوعه الأدبي وفي النقد من ناحيته فلا ريب أن ابن أبي أديد فاق في التوجيه وأبدى قدرة في نقده ، ويصح الجمع بينهما والاستفادة من مميزاتهما فلا يستغنى بالواحد عن الآخر وكل منهما مصيب فيما رام نوعاً وموفق فيما قصد ... ولكن النقد الموجه لم يكن كله صحيحاً ولا يزال أصلاً في التوجيه العلمي في البلاغة وعلاقتها بالأدب العربي فكان كل كتاب منها بقي خالداً لم تنسخه العصور ، ولم تؤثر عليه في عقائدها وأوضاعها المتجددة ...
قال ابن أبي الحديد :

« وجدت فيه المحمود والمقبول ، والمردود والمردول أما المحمود منه فأنشأه وصنعه ، فانه لا بأس بذلك الا في الأقل النادر ، وأما المردود فيه فنظيره وجدله واحتجابه واعتراضه ، فانه لم يأت في ذلك في الأكثر الأتلب بما يلتفت اليه ، ولا بما يعتمد عليه ، فإني على تتبعه ومناقضته في هذه المواضع النظرية أمور منهسا لأدراؤه على الفضلاء ، وغضه منهم ، وعيبه لهم ، وطعنه عليهم فان في ذلك ما يدعو الى الغيرة عليهم والانتصار لهم ، ومنها إفراطه في الإعجاب بنفسه ، والتبجح برأيه والتفريط لمعرفته وصناعته وهذا عيب قبيح يحبط عمل الانسان ويوجب المقت من الله والعباد (١) ... » اهـ

ومن خلال سطورهم يفهم انه يحاول مناضلته ويريد أن يبدي قدرته ، ولم يكن الانتصار فيما نقد صحيحاً من كل وجه ، وأظهر نعمة في الانتصار لبغداد وأنه لا يصح منه ان يفخر على بغداد ولم يقصر في مدح نفسه ، ولا أهمل ناحيته ، وجاهر بأنه خدام بها خزانة الخليفة المستنصر بالله ... وقد نقل كلمات من الأصل فعلق عليها ونقد المصنف نقداً

(١) الفلك الدائر من طبعة الهند المطبعة سنة ١٣٠٩ هـ .

مرأاً أصاب في بعضه أحياناً ومن وجه وأخطأ في آخر منه ، وقدرة الرجل مساهمة ولا يخلو كتابه من فوائده ، وتوضيحات ومباحث جليلة ..

والنقد الموجه على الأصل جاء بتعامل وتعرض سياسي وهذا لا يقلل من قيمته ولا يجعلنا نتركه لما نشاهد من نقد ومطالبه عظيمة والناقد فاضل ، والانتصار وسيلة .
جاءتنا القائدتان مجموعتين لا يستغنى بواحدة منهما عن الأخرى وفيهما جلاء عن نفسيات لا يستهان بها . . .

وصنف أبو القاسم محمود بن الحسين الركن السنجاري المتوفى سنة ٦٤٠ هـ - ١٢٤٣ م كتاباً يرد فيه على الفلك الدائر سماه (كثر المثل السائر وطى الفلك الدائر) وصنف بعضهم كتاباً سماه (الروض الزاهر في محاسن المثل السائر) وصنف عيسد العزيز بن عيسى كتاباً سماه (قطع الدابر عن الفلك الدائر)^(١) .

ونجم الدين أبي زكريا يحيى بن شمس الدين محمد بن عبدان اللبودي الحكيم الأديب من علماء الأطباء واقف المدرسة الملبودية من مدارس الطب بدمشق . صنف كتاب (نزهة الناظر في المثل السائر) والظاهر أنه توفي بعد ابن أبي أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ - ١٢٦٨ م فقد أورد له شعراً مؤرخاً في سنة ٦٦٦ هـ ولم يذكر وفاته وجاء في كتاب الأعلام : ولد في حلب سنة ٦٠٢ هـ - ١٢١٠ م وتوفي سنة ٦٧٠ هـ - ١٢٧١ م وما جاء في كشف الظنون من أنه توفي سنة ٦٦١ هـ فقير صواب كما أن والده شمس الدين محمد توفي سنة ٦٢١ هـ كما في

(١) كشف الظنون في مادة المثل السائر ج ٢ ص ٢٧٦ من طبعة استنبول القديمة وفي ج ٢ ص ١٥٨٦ من طبعة استنبول الجديدة وجاء في ج ٢ ص ٢٣٨ من الطبعة القديمة وفي ج ٢ ص ٢٣٠٢ من الطبعة الجديدة أن مؤلف كتاب قطع الدابر هو السيوطي وفي قائمة المؤلفات ما يشير إلى ذلك أيضاً أما المؤلف عبد العزيز بن عيسى فلم أجد له ترجمة في الشذرات والدرر السكينة والضوء اللامع .

عباس العزاوي

الشذرات فلا احتمال ان يكتب كتابه قبل تأليف ابن أبي الحديد كتابه التلخيص الدائر^(١) .
وصنف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي كتاباً سماه (نصرة الثائر على الممثل السائر)
منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا .
والعلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المعروف بابن العطار الديبسي
المصري المتوفى سنة ٧٩٤ هـ — ١٢٩١ م (زهة الناظر في المثل السائر)^(٢) .
كل هذه المؤلفات تدل على عناية كبيرة ورعاية من أكابر العلماء منهم من رد عليه
ومنها من انتصر له .
ويلاحظ :

أن درجة الاهتمام بالأدب ، وطريق الاستفادة من منظومه ومنشوره ، إنما يكون
بعقدار مراعاته لأدبه ، واتقانه ، فهو وافر المادة في المعاني المقصودة ، مستكمل العدة
جامع المطالب وإذا كنا نرى النقد الأدبي مرعباً فهذا لا يبرر أدعياء الكتاب أن يتعشروا
في الصرف والنحو ويتوسسوا في أمور لا تغيب عنهم يدركها العربي والكتب التي
وصفناها وأمثالها تربي ملكة الأدب وتنمي النقد الأدبي وفيها كفاية عن الاستقصاء .
— نسمع من كتاب عديدين أن الأدب العربي خلو من النقد العام أو النقد الشامل
للموضوع وإنما يراعي الجزئية وما فيها من مادة خاصة كأن ينقد بيتاً أو كلمة في بيت وما

(١) تاريخ علم الفلك في العراق من ١٠٠٥ — ١٥٦٦ والاملام للأستاذ خير الدين الزركلي الطبعة الجديدة
ج ١ ص ٢٠٩ ومقدمة الاحلال ومسامرة الخيال تأليف الشيخ عبد القادر بدوان ص ٢٥٢ من منشورات
المسكبة الاسلامي للطباعة والنشر بدمشق سنة ١٩٦٠ والدارس في المدارس لتعريب ج ٢ ص ١٣٠ نشره
الأستاذ الأمير جعفر الحسني وهو من مطبوعات مجمع العلمي العربي بدمشق وعيون الأنباء في طبقات الأطباء
لابن أبي اسيرة ج ٢ ص ١٨٥ — ١٨٩ الطبعة الوهية سنة ١٨٨٢ م .
(٢) كتاب الاسفار من العلوم والاسفار تأليف الأستاذ محمد جميل النظم مطبوع في ص ١٥٢ ومقدمة
العارفين ج ١ ص ١١٩ وكشف الظنون .

ماثل ذلك ، وحصرنا مثل هذا النقد في أنه موجه نحو الموازنات دون حكم أو أنه يرجح ويفضل في هذا الحكم .

ولا يهمنا من يكتب كما يريد دون ملاحظة الواقع ، فالأدب العربي مدون في آثاره العديدة ، ويستدعي النظر في حقيقة ما قيل أو يقال ... ومن المهم أن نتثبت ، ونرجع إلى ملاحظاتنا ، فنقطع في الموضوع ونعين الغرض المقصود في مثل هذه الأمور ونقتنع كلام العرب . وهل قاموا بمهمة مثل ما عند الغربيين من نقد أدبي ، ذلك ما تناولناه في هذه المباحث التي صارت غذاء للعهد التالية ونهجاً للأمة في سيرتها الأدبية .

والنقد الأدبي من شأن الأدباء وأنه ذوق لا يقدره غيرهم ، والاشتغالات اللغوية والنحوية والصرفية من شأنها أن تصلح النطق لأنها تصلح الأدب وإنما الملكة في الأدب وآثاره هي التي تحقق الأغراض وتسمى الذوق الأدبي وليس لدينا طريقة لتقوية الملكة سوى مراجعة الآثار الأدبية والاكتثار من مطالعتها .

ويهمنا اشتغال ادبائنا وعلماؤنا بالأدب ومعرفة تاريخ هذا الاشتغال ضرورية لإدراك هذا النقد ، وتطوره ، وفي هذه الحالة نرى الضرورة تدعو إلى معرفة :

- (١) الذوق والاشتغال باستمرار ليسمح المجال لتقدير الملكة وموضوعه عظيم الأثر .
- (٢) عيوب الشعر والنثر ، من ناحية الاختلال بهذا الذوق قارة ، ومن الاختلال بالقواعد من أخرى . مع ملاحظة السرقات الشعرية .
- (٣) دخول الأساليب الغربية وانها تجديد في الأدب ومادته .
- (٤) استفادة الصنعة عما هو طبيعي وجار على سننه دون المتكلف .
- (٥) تدقيق الآثار الأدبية وأقوال الأدباء مع مراعاة الصلة بالنقد الأدبي وتاريخه لتتوصل إلى نتيجة ومن ثم نقارن بين الطباعتنا وما خلفه السلف .

(٦) الأدب العربي صار ينظر إليه بمنظار الأدب العالمي فان مزايا آداب الأمم وسائل جديدة وطريق للمعرفة والتفويض الأدبي .

٤ - تحرير المفعول وتركان

من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م

الى سنة ٩٤١ هـ - ١٥٢٤ م

استمرت الحالة الأدبية على وتيرة من العهد العباسي فكان غذاؤها المؤلفات السابقة في النقد الأدبي وحدث فيها بعض التجدد فكان لها لونها الخاص من جهة والدوام على ما جرى .

وكتب النقد الأدبي تتناول المباحث العامة والقواعد الشاملة في النقد ، ولكن اتخاذ اديب أصلاً في الموضوع أقرب للوجهة العملية والتسائدة المتوخاة ، فأنها من قبيل إعطاء الحكم بالمثال ، فاكتمل النقد الأدبي تنظيمًا كبيراً ونال مكانة رائعة .

ولا شك ان كتب النقد تنزع منها القواعد ولها نظائر في العهد العباسي وتقنين الأحكام ولم تكن مسبقة في التلبس به أو أن المرء يحاول ذكر ما لم يعهد ذكره في الفات النظر .

ولم يكن هذا النقد إلا مقارعة في الاتجاهات الأدبية ومعارضة لما هو شائع على خلاف ما نرى من نقادنا الحاضرين ، يتخذون العليق اللغوي ، وإعادة ما ذكر في المعاجم أو لوحظ في الكتب المعتادة المتداولة كأنهم اكتشفوا أمراً جديداً ، أو فتحووا في اللغة فتحاً غير مسبق أو جاؤا بأمر لم يعهد ...

وبذلك ظهرت مؤلفات عديدة صارت غذاء أدبيّاً وثروة لا يستهان بها . وهذه

النقد الأدبي ومصادره

يوسفنا أننا لم نحافظ على بعضها ، فمن نتائج الإهمال أن حرماننا نفعها كما هو الشأن في الكتب المؤلفة في المثل السائر ، وفي الفلك الدائر في الدب عن آراء كل منها حرماننا معرفة الاتجاهات في هذه الحركة الأدبية أو ما يصح أن نسميه المعركة الأدبية لو لم تزجها ترحيحات أو تدخلها قسوة في بعض النقد على خلاف ما تقتضيه آداب البحث والمناظرة .

و (النقد الأدبي) وما يعارضه فإن من أمثلته الواضحة ومؤلفاته تتجلى في الكلام على (ابن سناء الملك) والنقد الموجه عليه من ابن جبارة وأبي حيان وصفي الدين الحلي ، ومن اعتبار الصلاح الصفدي لابن سناء الملك والدفاع عنه وهذه مناقشات أو مراجعات في آراء أدبية ومباريات في توجيهات لغوية يقصد منها ما هو أجل من النقد أعني تثبيت الآراء وتعيين التوجيهات في تاريخ النقد الأدبي ومصادره ومن أهم هذه المصادر :

١ - شعر ابن سناء الملك :

وابن سناء الملك عالم وقاض وشاعر معروف في أيامه ولقد شعره أوضاعاً متعاضدة وجرّ إلى مناقشات بين نحارير الأدب ولم يكن النقد بالمستغرب ، وإنما سبق أن نقد الأدباء شعراء كثيرين نقدوا شعراء من وجود عديدة من جهة أنه لا يخلو من الفاظ عامية أو معربة ، أو اصطلاحية أو تعابير ركيكة نشأت من تأثير اتصاله بالعامية وهكذا تناولوا أسلوبه ... ودعا إلى حركة أدبية من أيام العهد العباسي فما بعده وبالتعبير الأولى اتخذ وسيلة لإظهار القدرة الأدبية في نقده ، وفي الدفاع عنه والانتصار له ، وهو الأديب الكامل ، فيصلح أن يكون شعراء موضوعاً للنقد الأدبي ووسيلة لبحنه .

وهذا ما نعت به الصلاح الصفدي :

« من الأدباء الذين ما لحاسنهم إنكار ، والشعراء الذين جاوروا من أعيننا بأبكار الأفكار ، والمنضلاء الذين روقوا سلاطات المعاني فحصل منها للألباب إسكار ، وأولى الاختراع الذين يقضي لحاسن ما شرحوا وابتكروا القاضيان شريح وبكتار ، فهو الأديب الكامل عملاً ،

والقريب الذي كم بلغ من الاختراع املا ، والأريب الذي استوفت راح معانيه حولها كلاً ،
 أعظم القريض فأبان عن البيان وأعرب ، فمزّ غصون الأعطاف وهزأ بالحنائم فأطرب ، وقال
 الموشح فشرق (ذكره) فأشرق وغرب فأغرب ، وكلماته في كل ما أتى به كما قال الغزي :
 عقود في حلى الأيام تجلى وطوراً فوق أسكمان السكال
 ولكنه حسد على محاسنه ، وحصلت الفيرة منه لكونه غاص على در كلامه ،
 واستخرجه من معادنه ، حسدوا الغنى إذ لم ينالوا ، وتعرضوا إذ لم ينالوا ، وقد اعترض
 عليه جماعة بالغرض وما يذوا جواهره النفيسة بالغرض (١) ... » اهـ
 ومختارات هذا الشاعر متداولة بين الأدباء ومن شعره المحفوظ قصيدته التي مطلعها :

سواي يهاب الموت أو يرهب الردى
 وغيري يهوى أن يعيش بمخلدنا
 ولكنني لا أرهب الدهر إن سطا
 ولا أحتذر الموت الزؤام إذا عدا

ومنها :

ولي قلم في أنجلي أن هزرته
 إذا صال فوق الطرس وقع صبره
 فما ضرني أن لا اهرز المهندا
 فبن صليل المشرفي له صدى
 ومن شعره :

لا الفصن يحكيك ولا الجؤذر
 يا باسماً أبسدي لنا نغره
 حسنك مما كثروا أكثر
 عقدأ ولكن كآه جوهر
 قال لي اللاحي اما تسمع
 فقلت يا لاهي اما تبصر

(١) كتاب الانتصار على جواهر الدليل في الامداد لابن سناء الملاح المؤلف الشيخ صلاح الدين خليل بن

أبيك العفدي - مخطوطي .

النقد الأدبي ومصادره

وأبن سناء الملك هو القاضي السعيد أبي القاسم هبة الله ابن القاضي الرشيد أبي الفضل جعفر السعدي المصري ولد سنة ٥٥٠ هـ - ١١٥٥ م وتوفي سنة ٦٠٨ هـ - ١٢١١ م ومؤلفاته :

١- ديوان شعره : نشر بتصحيح وتعليق الدكتور محمد عبد الحق ومصدر بمقدمة مطبوعة باللغة الانكليزية وطبع في مطبعة دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن - الهند سنة ١٩٥٨ م وصفحاته ٨٨٥ والمقدمة ٦٣ صفحة .

٢- دار الطراز في الموشحات .

٣- الرسائل : بينه وبين القاضي الفاضل .

٤- روح الحيوان : مختصر كتاب الحيوان للجاحظ .

٥- فصوص الفصول وعقود العقول : في الأدب منه نسخة في خزانة الاسكوريال^(١) وفي خزانة الأزهر .

٦- نظم الدرر في بحر الشعر :

تأليف الشيخ شرف الدين أبي الحسن علي بن جبارة علق على قطعة من شعر ابن سناء الملك ونقدها بتعامل^(٢) استفادة من شهرته ليبرز في هذا النقد . وكأن كتب النقد الأولى قد مضى عهدها ، فأراد أن يبدي قدرة في مناقضة ابن سناء الملك على ما اكتسب من شهرة في زمانه وهذا الكتاب لم يتيسر لنا العثور عليه ، ولا تدري كيف غفلت العصور عنه واهملت أمره مع احتفاظها بمن نقد المتنبي من أدباء ، أو أبا تمام ، أو البحتري وأمثالهم . وقد انتصر الصلاح السعدي لابن سناء الملك في كتابه الغيث المسجيم بقوله :

« ومن حسن التخلص قول ابن المعتز :

(١) وثبات الامراء لابن خالكان ج ٢ ص ٢٨٠ مطبعة بولاق وحديقة الباز في لاسماعيل باشا البغدادي

ج ٢ ص ٥٠٩ طاعة الشهابي

(٢) كتاب الاقتصار على جواهر المسالك في الانتصار لابن سناء الملاحة بخط بطي ص ٢

والله لا كلفها ولو أنها كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا بقوله :

ومليحة بالحسن يسخر وجهها بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف

لا أرتضي بالشمس تشبيها لها والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

وتعدت عليه ابن جبارة في تلميحته (نظم الدر في نقد الشعر) التي أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عند هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك أن هذا الشاعر كثيراً ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتي به على غير ما يقتضيه فإن ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها في الحسن كالشمس التي هي آية النهار أو كالبدر الذي هو آية الليل أو كالمكتفي الذي هو خليفة الأرض في عظم الشأن وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر إلى الحسن. ومن أين للمكتفي صفة الحسن؟ والذي دلت عليه التواريخ أنه أسمر أعين قصيراً وليست هذه من صفات الحسن؟ وإنما ظن ابن المعتز وصفه بالحسن فشى على ظنه وأخذ في مبيع فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد^(١) ... » وتناول هذا الموضوع في كتابه وتلاوة وعلاوة على كتابه الاقتصار على جواهر السلك فقال :

« لما كنت بالديار المصرية حرسها الله تعالى في سنة ٧٣٨ هـ قال لي يوماً بعض أهل

الأدب ومن يظن نفسه أنه ينسل إليه من كل حدب أنت يعجبك قول ابن سناء الملك ؟

لا أرتضي بالشمس في تشبيها بالبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

قلت نعم^(٢) ... » وتناول في جوابه سعة وتفصيلاً عما ذكر آنفاً ... ويفهم أن

المعترض يتمسك بقول ابن جبارة ويعتقد بصحته في سؤاله .

(١) التبت للبحر في شرح لامية البحار ج ١ ص ١٢٨ المطبعة الأزهرية بدمر سنة ١٢٠٠ هـ وأحد

ذكره في ص ٢٢٤ وفي ج ٢ ص ١٠ و ١٨٢ وديوان ابن سناء الملك حاشية ص ٢٧ .

(٢) تلاوة وعلاوة مخطوطني ص ١٨ .

النقد الأدبي ومصادره

٣ - نقد الشعر :

تأليف الشيخ العلامة أبي حيان أنير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي النحوي ولد سنة ٦٥٤ هـ - ١٢٥٦ م وتوفي بالقاهرة في ٢٨ صفر سنة ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م وهو أستاذ الشيخ صلاح الدين الصفدي . وتعرض في كتابه هذا نقد شعر ابن سناء الملك ولم نطلع عليه لنذكر وجوه النقد .

٤ - العاقل الحالي والمرحس الغالي :

للشيخ صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحالي ويعتد من كتاب عصره وأدبائه وعلمائه وشعرائه ومن المشاهير في اللغة وكتابته هذا من أهم كتب النقد الأدبي واللغوي ويوضح مدى تمكنه في اللغة وجاء في مقدمته :

« وسميته (العاقل الحالي والمرحس الغالي) لكونه عاطلاً من الإعراب حالياً من المعاني والآداب مرخصاً بين ذوي الخلاعة والهزل غالياً على ذوي الجسد والجزل وجعلت كتابته كل ما أشكل من لفظه على صورة النطق به والتلفظ لا على قاعدة الضبط والتحفظ افتداء بما فرضه أربابه من الفروض واتباعاً لأئمة علم العروض ... » .

ولد في شهر ربيع الآخر سنة ٦٧٢ هـ - ١٢٧٨ م وتوفي ببغداد في المحرم سنة ٧٥٠ هـ - ١٣٤٨ م (١) .

جاء في كتاب الاقتصار على جواهر السالك للاستاذ خليل بن أبيك الصفدي ما نصه :

« قال الشيخ الامام الأديب البارع البليغ المفعول الفاضل شاعر زمانه صفي الدين

(١) تفصيل ترجمته في الدرر الكامنة ج ٢ ص ٢٦٩ وفوات الوفيات لابن شاكر الكنتي ج ١ ص ٢٢٩ والبدور العالم والتمهل المصلي والمستوفي بيد الوان مخطوطة برقم ٢٤٦٨ في خزانة نور عثمانية والأعلام للاعلام خيم الدين الزركلي ج ٤ ص ١٤١ وتفصيل ترجمته في المجلد الأول من كتابنا التتبع الأدبي في العراق للعلامة الطليم .

عبد العزيز الحلي رحمه الله تعالى في آخر كتابه (العاطل الحالي والمرخص التالي) هذه الفنون الأربعة وإن عدها قوم من سقط المتاع ، فأنها شديدة الامتناع ، خصوصاً على من لم يباشر لفظها ، أو يعاني حفظها . وكان من عزمي أن أعرض عنها ، ولا أنظم فناً منها . فلما رأيت أهل كل فن يفضلونه على الأشعار العربية والألفاظ الأدبية ، ويدعون أن سواهم كالمبتذل عليهم ، والمرتمي اليهم ، نظمت منها قدراً يسيراً ، ليشهد لي بأقدرة عليها ، ولم أر أن ألتهمي بها عن الأعلى فالأعلى من فنون الأدب ، وإن اعتدل عن الدر المنجذب . لعلمي أن الإكثار منها يفسد لسان العربي إذا ألقه .

ألا ترى إلى القاضي الأجل الكامل عز الدين هبة الله بن سناء الملك مع فصاحة لسانه . وفضل بيانه . لما كثرت محاورته لأرباب الأرجال . وألف ألفاظهم ، وإن كان أكثر منظومه الموشح المعرب لكن جعل جميع خرجاته زجلية غلب على نظمه في القريض استعمال اللفظ العامي . وفساد المعنى . واختلاف تركيبه ، حتى أخرجوا له جملة من ديوانه من ذلك . ومما لا يجوز استعماله في العربية جزءاً كبيراً (١) .

وهنا لم يستهدف الصنفي الحلي إلا التوجيه في مفردات اللغة ، وترأكيها ، فبين أن الإكثار من اللغة العامية والزجل يفسد اللغة الفصحى ويؤثر على ألفاظها وأساليبها . أن الصنفي الحلي دون ما رآه صواباً من نقد ، وهو العارف بمواطن الكلم والكلام ، وهو ما نشاهد بعمينه في هذه الأيام . فإذا كان لم يصب شاكلة الصواب من كل وجه في اتخاذ قريض ابن سناء الملك موضوعه ، فلا ريب أنه في التنبيه على الفساد كان المجلي ، وحاول سد الباب حرصاً على الفصحى .

(١) كتاب الاختصار على جواهر السلك . وهذا النص ليس له ذكر في المطبوع من العاطل الحالي والمرخص التالي .

النقد الأدبي ومصادره

بقيت القاعدة التي قررها محفوظة معتبرة ، وكانت ناحية الانتصار لابن سناء الملك مقصورة على الأمثلة ، فهل يصح أن نعد ابن سناء الملك في عداد من ذكرهم ؟ لا نريد أن نتعصب للصفي الحلي وإنما نقول : إن الأيام في تعاقبها تجعلنا نقطع بأن هذه الآراء تتجدد ، وإنما محل الأخذ والرد ، وعندنا كثيرون صاروا يرددون إبداء ما عندهم بلفظ عامي خشية أن يحاسبوا على الغلط أو يرموا بالجهل ، ولم يدروا أن لغات العالم تابعة لقواعد في صحة التلفظ بالوجه اللائق والضبط الصحيح ، فكان فقدان الملكة ونقصان الثمرين من أسباب الفشل ، ولم يكن هذا من اللغة وإنما هو من نفس الأدباء ، واللغة العربية في كل أزمانها عبرت عن أجل المطالب وأبدت ما تجدد من نزعات أو نزغات ، وأوضحت كل أمل ، فلم يعوزها بيان .

وما مكانة الأدب العامي ، وشعر البادية في النفوس إلا لأنه أرقى في عاميته من شعر شعراء لم يوفقوا في قريضهم لضعف في التعبير وركود في القرائح على خلاف ما تعلمه فيمن فاقت مزايهم الأدبية ، فبرزوا غيرهم وأخذ شعرهم نصيبه من النفوس في قوة التعبير ، وسهولة الأداء ، وجذب انتباه السامع .

وعلى كل حال لم يكن النقد محاسبة لابن سناء الملك على هفوة ، أو غلطة ، فهذا أيسر ما يقع ، وإنما المقصود تصحيح فكرة ، والآراء المختلفة بل المهم تعيين نهج أدبي في استعمال الألفاظ ، وفي رعاية التراكيب . يقول الحلي : هذه نتيجة تعود لا غلط مقصود . ومن هذه أمثلها تكون النقد الأدبي فصار ثروة كبيرة ، وخلد آثاراً عظيمة كانت أجل رأس مال أدبي .

هذا و (العاقل الحلي والمرحس العالي) كما يفهم من نصوصه أنه لم يتعرض لما ذكره الصلاح الصفدي في كتابه (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) والظاهر أن هذا الكتاب قد حذف منه ما يتعلق بهذا البحث باعتباره خارجاً عن

عباس العزاوي

موضوع الكتاب ولعله مهذب منه . طبع في ألمانيا سنة ١٩٥٥ من نشرات مجمع العلوم والآداب عني بتصحيحه الأستاذ ولهم هو نوابخ .

٥ — كتاب هو فنصار على مواهب السالك في امره فنصار هو من سماء المالك : (مخطوط نادرة) .

يصعب علينا تقدير قيمة المرء ، والوقوف على مكانته من كتب التراجم الموجودة ، فإن غالبها يكاد الواحد يشبه الآخر في أسلوبه ، ونموته بل ترى هذه النعمت غير خاصة بواحد ، ونميل الى ان الواحد قريب من الآخر في اشتغاله ، خصوصاً بعد أن نعرف أن المترجمين يزاولون موضوعاً واحداً ، أو يتناولون أمراً عين ما يزاوله الآخر .

يعرف المرء بما أوتي من مواهب ، وما ملك من قدرة ، وما أدرك من صنعة وهذه خير مقياس لها أثره ، وما خلفه مما له خلاقة مكيمة بتفكيره ، وما أبداه من رأي ... ومؤلف هذا الكتاب الأستاذ العلامة الشيخ خليل بن أبيك الصفي^(١) ولد سنة ٦٩٦ هـ — ١٢٩٦ م وتوفي في ١٠ شوال سنة ٧٦٤ هـ — ١٣٦٣ م . ولم يعرف بتخصيصه واحدة أو ببعض الخصائل . وإنما هو بمن جمع فضائل حجة فأمكن أن يمد في مصنف أكار المفكرين ، والعلماء المشتغلين ورجال الأدب .

نعم يتفاضل الرجال بما يتلصكون من هذه المواهب البارزة في آثارهم لا بكثرة الجمع ، ولا بالتنسيق ، وإذ بالدراكم المقرون بهذه الأمور ، وتجلت القسرة التاريخية ، والمكانة الأدبية ، والمادة اللغوية ، والمزايا العالية ... لا نريد غير ما ذكر ، ولا نطلب أكثر ما علم ، ولم نكن لتعلم الحالة بالتضمن ، أو بطريق الاستدلال والاستنتاج ، أو من العدد الكبير الى آخر ما هنالك .

(١) التبريف بالثورخين ج ١ ص ١٩٣ ومقتضات السكي ج ٦ ص ٩٤ ولدرر السكينة ج ٢ ص ٨٧

وعائلة المعارف الاسلامية ومجمع المبرعات ص ١٢١٠ وفيه المذروع من آثاره .

النقد الأدبي ومصادره

نريد أن ندرك بعض أساليبه ، وطريقته في البيان ، ودرجة الفائدة ومقدار العناية ، وزيادة التفكير لتتمكن من الوصول إلى الغرض ، ونترك الحاجة ونهتم للأمر ذلك الاهتمام كله أو بعضه بما لا يسكفي وحده أيضاً للمعرفة بل نعين كنهه ما زاوله من مطالب ... وكل هذا يتحقق من آثاره .

وإذا كان مسبقاً بأدبائه أفاضل مثل ياقوت الحموي وابن خلكان وغيرهما فإن فضائله لا تكاد تحصى ، والتجدد في البحث الأدبي يجعل له المنزلة العالية في عصر الماليك في مصر وليس غرضنا ترجيحه ، فالمسألة من أكاير الأدباء فضل ، بل كل أثر من آثاره يعين مكانته الفائقة فتجعله في مصاف من انجبتهم العصور الإسلامية من الأفاضل ، وكل واحد يؤخذ من قوله ويرد ، وأما نحاول بيان خدماته في النقد الأدبي وتاريخ الأدب .

وبينا كتابه المسمى (الاقتصار على جواهر السلك في الانتصار لابن سناء الملك) اقتنيت في آخر ايلول سنة ١٩٢٤ في بغداد نسخة مخطوطة منه بخط جميل مضبوط . وفيها من التذهيب والتزيق ما يعين الصنعة . كتبت للخزانة الكريمة المملوكة الأفضلية العلانية لابن فضل الله^(١) صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الإسلامية .

أوله : « أما بعد حمد الله على ما طي حرمنا الحبيبة ، وتوالي النعمان على الانتصار لمن كان منية الحياة وأصبح رمية المنية ، وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي لم ينقض قوله ، ولم ينقص طوله ، وعلى آله وصحبه الذين تورعوا عن ذكر الأموات ، وراقبوا الله تعالى في المحاضر والخلوات . وسلامه إلى يوم الدين ... » اهـ

والكتاب يفهم من براعة استهلاله أنه رد على الصفي الحلي وهو عراقي في كتابه (المعادل الحلي والمرخص العالي) وعلى شرف الدين ابن جبارة في كتابه (نظم الدرر في

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد العمري المعروف بابن فضل الله الكاتب الدهشلي ولد سنة ٧٠٠ هـ - ١٢٠٠ م وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م وترجمته في فوات الوفيات ج ١ ص ٢ والنعماني في المؤرخين ج ١ ص ٤٨٧ .

نقد الشعر) . انتصر لابن سناء الملك وهو مصري ، كما ان المؤلف الصفدي شامي . وهكذا تكون الأقطار العربية قد اشتركت في الموضوع . فكان قلم الصفدي واضح الحجّة ، فظاهر الدليل ، كامل السعة ، لا يجارى في ميدان وقد ذكرنا بما قيل :

علم بإبدال الحروف وقامع لكل خطيب يغلب الحق باطله
ينقل النص ، ويبدي رأيه فيه ، ويعزز ذلك بشواهد ونظائر ، فلا يدع زيادة المستزيد .
ومنه نعلم درجة النقد ووجه الانتصار ، وتظهر مكانته وقدرته في التوجيه الأدبي . ويتجلى النقد في :

سازمه وتزوقت :

كان الصفدي قد ذكر قول الصفي الحلبي بالوجه الذي عرشته ، وأبدي رأيه على وجهه ، وأورد الأمثلة التطبيقية ، قال الصفي الحلبي :

« مما لابن سناء الملك من اللفظ العامي قوله :

ساذجة لكنها بالحسن قد تزوقت

لم يسمع في لغة العرب الساذج أبداً ، لكنه في لغة الصناع والنقاشين مع ما أضيف إليه من لفظة (تزوقت) العامية ، « اه
فأجابه الصفدي بما لفظه :

« الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى شاعر عصره ، ونادرة دهره في فنّ النظم مطلقاً ، وهو جواد في جواد الشعر مقدّم ، وإن كان في هامش الزمان جاء ملحقاتاً إلا أنه الآن تمصّب وجاء الى هذا الزركش المصري فجعله من المتعصب أو المقتصب ، ولو ادّعى ذلك غيره لكنت حاكته إليه ، وجعلته صريع الحق لديه ، وكان هو من أكبر الأنصار على ما كان في ظني ، وخيّل لي فيه ذهني . فقوله : إن (ساذجة) و (تزوقت) من ألفاظ العوام ، أقول : ساذجة وإن لم تكن من ألفاظ العرب فإنها قد صارت في العرف حقيقة ،

واشتهرت اشتهاً ألا يكتفه الجهل ، ولا يسع أحداً أنكره حتى إن أرباب المنطق يقولون (التصور هو الإدراك الساذج) . والحقائق العرفية لا ينكرها الأصوليون ، ألا ترى أن العرب العرباء لما دار في عرفهم وفيما بينهم ، واشتهر ما لا هو من كلامهم ، بل هو من لسان الحبشة ، ومن لسان الروم ، ومن لسان الفرس ، ومن لسان الترك جعلوه من كلامهم ، وتداولوه فيما بينهم ، وأكثروا من استعمالهم ذلك حتى نزل به القرآن العظيم عليهم مثل (دسأها) و (مشكاة) فأنها بلسان الحبشة ، ومثل (فردوس) و (القسطاس) فأنها بلسان الروم ، ومثل (أقليد) و (استبرق) فأنها بلسان فارس ، ومثل (غساق) فأنه بلسان الترك .

وإذا كان هذا في القرآن العظيم الذي نزل على مثل فصحاء قريش وهم على ما هم من الفصاحة العظمى ، والبلاغة التي إذا ارتوى منها أحدهم شأ عظماً ، فما الظن بمن جاء في هذا الزمن الأخير ، ونظم الموشح والزجل ، وزجج هذا بالشعر القريض . فما تكلم هذا من مثل صفى الدين عجايب إلى النفاية على أن ابن الجواليقي قال في المعرب^(١) الذي له : (والساذج فارسي معرب) .. فصار حكمه حكم أقليد واستبرق ، ولا نمن على ابن سناء الملك . ويا عناء ابن سناء الملك ، ويا خيبة آماله فيما نظم ، وتوجه في محاسنه التي لا يدركها إلا مثل صفى الدين وأشباؤه من أشياخ الأدب وأرباب الدوق ... : « اهـ

ثم أورد أمثلة من (كتاب الخصائص) ، ومن (كتاب ذم السباع) للإمام أبي بكر بن الحسين الآجري . في استعمال هذه اللفظة . وقال :

« وأما دعواه أن (تزوقت) من ألفاظ العوام فغير دسأهم . لأن ذلك لفظ جاء في

(١) لأرباب من الكلام الأعجمي نايف ابن منصور موهوب بن أحمد الجواليقي المولود سنة ١١٦٦ هـ

— ١٠٢١ م وللتوفى سنة ١١٣٩ هـ — ١١٢٤ م . طبع في ليبسك سنة ١٨٦٢ م ثم طبع بتحقيق

وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ على عدة نسخ ومن

أجل وأغنى طبع .

الحديث وهو (لا ينبغي لشي أن يدخل بيتاً مزوقاً) أورده صاحب (الفردوس الأعلى) وقد قال الجوهري : والزأويق الرقيق في لغة أهل المدينة وهو يقع في التزويق ^(١) . لأنه يجعل مع الذهب نيل الحديد ، ثم يدخل في النار ، فيذهب منه الرقيق ويبقى الذهب ، ثم قيل لكل منقش مزوق وإن لم يكن فيه الرقيق وزوقت الكلام إذا حسنته وقومته ^(٢) . فثبت أن (تزوقت) كلام عربي . « إلى آخر ما قال ثم أورد شواهد لشعراء آخرين وقال :

« هذا البيت الذي لابن سناء الملك هو من جملة أبيات أولها :

يا ويح نفس مشتت	مصرية تسد مشقت
ساذجة لكتنها	بالحسن قد تزوقت

ومنها :

وكم لها من عاشق	لحيته قد خلقت .
فني إذا ما سكنت	وثنية انت لظقت .
وزورت لحيه	مسك نصحت وعبقت .
وما اكتفت بكتب نو	ن الصديق حتى مشتت
هويت منها علقه	من نظرة تعلقت

وهي خمسة وعشرون بيتاً ^(٣) من هذا النمط : فما لصاحب ذوق أن ينكر (ساذجة) ، و (تزوقت) .

إن ورود هذه الألفاظ في الحديث وفي كلام الشعراء وغيرهم لا يخرجها عن كونها

(١) ورد في الصحاح للجوهري التزويق .

(٢) الصحاح ج ٢ ص ٩٠ وقال في مادة زريق أنه مرمية .

(٣) ديوان ابن سناء الملك ص ١٢٢ وفيه الأبيات كاملة .

النقد الأدبي ومصادره

معربة . والمهم — كما قال الصفي الحلبي — أن تاريخها متصل بتاريخ الصناعة ، وهو تاريخ (التذهيب على الحديد) ، ثم (التنقيش والتصوير) ، وبعد ذلك التحسين ، ثم تحسين الكلام وتزويقه . أو أن يكون ساذجاً . وجاء في خطط المقرئ ذي ذكر (كتاب النبراس وأنس الجلاس في أخبار المروّقين من الناس) لو تيسر الحصول عليه لادرّكنا تاريخ الصناعة ، ولكن الصفدي لم يدع في القوس منزع ، فأوضح الصناعة ، والمراد بأوجز عبارة .

وتعرض لهذا الموضوع المرحوم الأستاذ العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه (التصوير عند العرب) ، كما تعرض له الدكتور زكي محمد حسن في كتابه (كناز القاطمين) ، وعرف الاتصال بالتنقيش والتصوير والسذاجة ، وفي تاج العروس ما يؤيد قول الصفدي .

وهنا المراجعات العلمية أوضحت تعيين اللفظ العربي والمعرب ، وأن لا نتجاوز في الأخذ بما يعد مصطلحاً . فكان الخصام يدور حول الاستعمال الأدبي . وقد رأينا أحياناً مصطلحات فقهية ، ونحوية وغيرها تدخل الشعر . . . ويعاب في الغالب على أرباب العلم أو الصناعة أن يستقلوا بالفاظهم فيتخذوها لسان الأدب ، أو أن يجعلها الأديب لسان أدبه ، اذ للمصطلح لغة خاصة .

نكرشوا وطرشوا :

وقال الصفي الحلبي :

« أن العلوق جميعهم قد نكرشوا وترجشوا وتقبحوا وتوحشوا^(١) »

قد أحسنوا في التنف لكن ماححوا تلك الخطوط به ولكن طرشوا

فلا أدري أي الألفاظ العامة فيها أعدّ أعدّ ما في البيت الأول أو البيت الثاني . وأما لفظة نكرشوا وطرشوا فلم ينطق بها عربي أبداً . وهذه لغة ناظمي الأزجال والموالي . اهـ

(١) أن هذا البيت والذي يليه لم يجد لهما قرأ في ديوان ابن سناء الملك .

قال الصفدي :

« قد مرّ الجواب عن استعمال مثل هذه الألفاظ مع تسليم كونها غير عربية ... والظاهر أن أصل نكرش تكرر لأن العرب تقول تكررش وجهه إذا تكرر ض ، وكان الإنسان إذا أسن تكررش وجهه وتكرر ض وصارت فيسه غضون لا تليق بالفصون كما يكون في الجين المنقّض . على أن لفظة (نكرش) ^(١) بالأعجمي ^(٢) معناد (ذقن جيد) ، إلى أن قال وقوله وتهجّوا تقول العرب إن تهجين الأمر تفيحه وقوله تقّ حوا عربي فصيح وهو تفعلوا من القبح وقوله توحّ شوا لفظة عربية قال الجوهري جاءني أوحاش من الناس أي سقاطهم وقوله التّف عربي فصيح ثبت بذلك أن ما معه في البيتين من الألفاظ الخارجية عن كلام العرب إلا نكرشوا وطرشوا وما يقال في لفظتين ما أدري ما أعدّد ، أعدّد ما في الأول أم ما في الثاني ، ولكن التعصب يؤدي إلى التّفصب ، والتّخامل ينهي بصاحبه إلى التّخامل ، وما أحسن قول ابن سناء الملك :

قد احسنوا في التّف لسن ما محوا تلك الخطوط ، ولكن طرشوا

إن هذا المعنى حسن فيه غرض وإبداع لأنه جمع فيه جميع الألفاظ التي يتداولها صغار المكاتب من قولهم محّا لوتحه وطرش لوتحي وخطي ... »

الفاظ أخرى :

وهكذا مضى الحلي في نقد ألفاظ أخرى . واستمر الصفدي في الإجابة فاعترض الحلي على (التّعنيق) في بيت لابن سناء الملك ، فسلم الصفدي بأنه غير وارد في اللغة ، ولكنه تمسك بجواز القياس . ثم مضى إلى استعمال لفظة « الشلاق » ، وهي من المعربات ، وهل يجوز استعمالها دائماً ، أو يقتصر على ما جاء في ألفاظ كبار الأدب مثل لفظ النوروز والمهرجان وغيرها ؟ ثم ذكر ألفاظاً لم يحجر العرب عليها باطّراد بل في شذوذ مثل

(١) أصلها نيك ريش .

(٢) أصله وردت بالأعجمي

النقد الأدبي ومصادره

(هـذا). أما الصندي فانه لم ير بأساً فيها .

وهذه الأمثلة لا تمين اللفظ العامي ، أو المعرب بل تناولت ألفاظاً عربية ، وذكر مواطن اتساقها من ناحية الفصاحة مما هو معلوم في علم البلاغة .

فسار المعنى واضطرب التركيب :

« قال الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى . وإنما ما أخرجوا له من فساد المعنى واختلاف تركيبه فكثير جداً كقوله في ملبح أصابه يرقان :

قالوا غدا اليرقان ملء جفونه وبدونه يدنو سسلو الأنف
فأجبتهم كيف السلو وانما في اليوم قد كملت صفات النرجس
فما كفاه ان جعل اليرقان في الأجفان . وانما هو في بياض العين حتى جعل ما في
النرجس من البياض أصفر ، وما فيه من الصفار أسود وأخلى النرجس من البياض . وجعله
أصفر بين أسودين . ولولا اشتغاله بألفاظ العامة وتراكيبهم لما فاته مثل ذلك .
أقول : لا يلزم من قوله ملء جفونه أنه في نفس جفونه وانما أراد بذلك أن اليرقان
ملء ما بين جفونه كأنه قال ملء عيونه ، وقوله جعل ما في النرجس من البياض أصفر ...
لا يثبت على محك البرهان ، وقد ساحت العرب أشياء كثيرة من هذا النوع ، أنهم يطلقون
الشيء على ما يجاوره ... ولم ينكر ذلك أحد عليهم وعدوه من المحاسن ... والشاهد
على هذا كثير . على أن ابن سناء الملك رحمه الله تعالى ما ادعى صفة اليرقان للنرجس هو
وحده ، ولا هو الذي اخترعه ، فهذا ابن الرومي وهو ممن لا يدافع قوله في التشبيهات
يقول في هجو النرجس :

أنظر الى نرجس تبدى يوماً لعينيك منه طاقه
واكتب لشأني مشبهه بالحق في دفتر الخافه

وأني حسن يرى لعين مع يرفان يحل ماقه
كُرانة ركبت عليها صفره بيض على رفاقه
وقول أبي بكر الصوري بفضل الورد على النرجس :

زعم الورد أنه هو أزهى من جميع الأزهار والريحان
فأجابته أعين النرجس الغض من بذل من قولها وهو أن
أيما أحسن التورد أو مة له ريم مريضة الأجفان
أم فاذا يرجو بحمرته الورد د إذا لم يسكن له عينان
فزه الورد ثم قال سئنا بقراس مستحسن ويسان
ان ورد الخلود أحسن من عين بها صفره من اليرقان

وابن سناء الملك من هنا أخذ قوله وإياه قلند ...

قال الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى : وقوله :

أكن في كمي دموتي حياً فهل تتمم ان كمي كمين

والدمع هو الكمين لأنه فعيل بمعنى فاعل مثل قدير وعليم ورحيم ، فالدمع هو الكامن
في السكم بدليل قوله أكن في كمي دموتي حياً ، والسكم هو الموضع المكن فيه ، ثم قال
كمي كمين ، وأضاف الى ذلك فساد اللفظ بقوله أكن ، ولم يرد للعرب إلا كمن بغير الف ،
فقد جمع في هذا البيت عدة عيوب مع أن لفظه منطرب ، وهو خلو من البلاغة .
أقول (القول لصفدي) :

قد تقدم الكلام أن الشعر لا يثبت بقدره على محك البرهان .

والشعر لمسح يكفي إشادته وليس بالهشدر ماؤلت خطبه

... ومن ذلك مثل قوله تعالى : « فقبضت قبضة من أثر الرسول » والتفسير أن

السامري قبض قبضة من أثر فرس الرسول .. »

النقد الأدبي ومصادره

وذكر توجيهات لما أورده الصفي ...

« قال الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى وقوله في المدح :

تفضل منك أنى بينهم قيمي ومنة منك أغلطني لهم قima

فالمفهوم من صدر هذا البيت هو المقصود من مجزه بعينه لفظاً ومعنى ولم يغير في لفظه سوى التفضل بالمنة ومعناها واحد ، فلا فائدة في هذا العطف لكونه عطف الشيء على نفسه . وهذا لا يفوت من هو دونه .

أقول :

ليس الأمر كما ادّعاء ابن سناء الملك لم يقله كما قاله هو ، وإنما هو حرّقه عليه ، أو الناسخ غلط وهم فصحف وحرّف ، فإن كان الناسخ وهم فله العذر في ذلك إذا كان مثل صفي الدين الحلي وهم فيه . والذي أعرفه أنا من هذا البيت أنه :

تفضل منك أغلى بينهم قيمي ومنة منك أغلطني لهم قima

فالأول أغلى بالغين معجمة وقيمي بالياء آخر الحروف جمع قيسة والثاني أغلطني بالعين مهملة من العلو وقمماً بميمين جمع قسة .

فحينئذ هذا البيت كله بديع ، ومعناه من ألطف المعاني وأمدحها فهو عكس ما أراده الشيخ صفي الدين ... ولو فرض أن البيت كما ادّعاء الشيخ صفي الدين لأمكن الجواب عنه .

وهكذا مضى في تفصيل المباحث ، وأورد شواهد وأمثلة لتبرير ما قاله ابن سناء الملك وتوجيه ما توجه إليه من نقد ...

ثم إنه كتب رسالة في توجيه ما وجدته من نقد في مصر موجه على ابن سناء الملك ، فجعل غالبه ناجماً من تصحييف شعره جعلها ذيلًا على كتاب الاختصار على جواهر السلك في الاختصار لابن سناء الملك بعنوان (تلاوة لذلك وعلاوة عليه) ولله ضمنها ما أراد .

وهذه قد كتبت بعد ذلك الكتاب وهي جديرة بالاهتمام وليس الغرض أن أقص جميع ما في الكتاب . أو ما في تلاوته وعلاوته . وغالب ما اعتذر الصغدي به لابن سناء الملك قوله : انه ورد الشعر بوجه آخر مما يدعو الى (تصحيح النقل) . وقد وضع مجرى النقد والانتصار .

وفي هذه الأيام لا تزال المناقشة قائمة بين الأدباء في مثل هذه الأمور ، فهؤلاء كلهم متفقون على استعمال التصحيح في اللغة ، وعلى مراعاة حسن التأليف في التركيب . مما يدلنا على خطأ رأي القائلين باستعمال العامية ، والاكتفاء من المعربات .

ومن الأدلة المسروقة يظهر ان الصفي الحلي قوي الحججة في نقده ، لا يقل عن بده ، وكان حريصاً على اللغة أن يدخلها ما يفسد صفوها ويهاها ، ولا تزال نوى الأمم في تعصب المغارم في الشرق والغرب ، فتسمى لتنقية ألفاظها ، وتراعي لهجتها ، ولا تزيد عن تلفظها بوجه الصواب . وهكذا نرى الصغدي عظيماً في توجيهه الأدبي ، وانتصاره لابن سناء الملك الذي تواتر عليه النقد من أفاضل كثيرين في الأدب .

٦ — كتاب الفيت الزبي أنعم في شرح روضة العجم :

هذا الكتاب من أجل كتب الأدب يحوي استعراضاً في (التاريخ الأدبي) ، وفي (النقد) ولم يتصد مؤلفه المؤرخ الأديب الصغدي لنقد خاص بأحد ما .

وجعل هذا الشرح لتقصيدة المعروفة بلامية العجم واستهل كتابه بقوله « أحببت أن أضع عليها شرحاً يزين جيدها (فرائد) وقصيدتها (فوائد) ولا أغادر فيهما لغة ولا إعراباً ، ولا إيضاح معنى ولا إعراباً ... هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة ، وتعرض جملة (تذكر) بفتة ... ليكون هذا الشرح انموذج الأدب ، وعنواناً يدل على الفعيلة التي امتاز بها لسان العرب فقد اودعت فيه فوائده ، وقواعد مهمة . وشواهد

النقد الأدبي ومصادره

هي الجاحات المعاني أزمة^(١) ... » اهـ .

كان وافياً بالحاجة مع الاختصار كفيلاً بالبيان وإن لم يراع الاطناب فهو صمنحة تفيء
عن نموذج العصور وصفوة الآداب ومجل تاريخها ، فأبان عن معنى الأدب ، والدوق الأدبي
ونقل أقوالاً وافية لاجاحظ وابن قتيبة وما قاله صناديد الأدب في الأدب ووصاياهم فيه
فأبدع في النقل والقول ، فتجلت موهبته في الأدب والصنعة .

بدأ بترجمة حياة الناطم وهو العميد مؤيد الدين نحر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن
علي الأصماني الطغرائي ثم شرح معنى الطغراء ... فتجلت القدرة التاريخية بأرزة للعيان
وسار في الأدب بتحقيق وتدقيق بل بعناية وعناء كأنه كشف عن أدبه المكثوم وأبان عن
كامن قدرته ابانة لا تنكر قيمتها ، ولا يصح أن يهمل شأنها .

أخذ موضوع أدبه نهجه فلم يترك فظمه ولا ثرد ولعله أراد أن يشرح جميع ثقافة
ويوضح حتى ما قيل في الكيمياء ونسبتها إليه ، والمعارضات لها ، وأورد :

أعيا الفلاسفة الماضين في الحطب	أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة	إلا من الفضة المعروفة النصب
فقل لطالها من غير معدنها	أضعت نفسها بالتكيد والتعب ^(٢)

والموضوع بيان أدب أديب ، والمهارة في التصرف الأدبي ، وما يعوز من مظان عماله
علاقة لجعله نجوياً وافياً وثروة أدبية خالدة ... أحيا بأدبه ذكر الطغرائي ، وخلد شعوره ،
وعين منزلته بين الشعراء والأدباء المعاصرين له أو قبل عصره جاهلي أو إسلامي وأعاد في
علاقاتنا بالأدب العربي ومختاراته كثيرة جداً ، هي انتقاد أديب ، لا يستطيع إيرادها أو

(١) الفيت الذي نسجم (الفيت للمعجم) في شرح لامية همجم من م الطبعة الأزهرية المصرية سنة
١٣٠٠ م وهذه الطبعة خالصة من التحقيق والتدقيق ومثابرة طبعة الطبعة الوطنية في الاسكندرية سنة

١٢٩٠ هـ .

(٢) الفيت الذي نسجم من ١١ .

جمعها غير أمثاله ثم يوضح ما في المقامات أو يتناول التعليق على ديوان لا نستغني عنه فان
السبق كان نصيب من كان سابقاً في مجال الأدب والفن شأن الحائزين على المسلم الوافر
والحظ العظيم .

تطرق للمعروض والأوزان ونقل عن العلامة عيسى الدين محمد بن ساعد الأنصاري انه
لا يبعد أن يكون الخليل أخذ عروضه من اليونان وتبسط في ذكر نادر عليه ، وتعرض
لنقد والبلاغة والنحو ... وفي كل هذا كانت مادته خصبة ، ومباحثه ظلية مرغوباً فيها
وتعد بحق إجمالاً لتاريخ الأدب العربي ومطالب نافعة اتخذ الاستطراد فيها وسيلة للترويج
عن النفس لا ليعمل قارئ الشرح ، ولا يضجره استعراض أدباء المعصور ، وأحياناً يذكر
ما يسمى احتراضاً ربما كان السبب في بقاء هذا الكتاب متداولاً .

هذه المجموعة لم تكن في ظاهرها أدباً معاصراً إلا أنها تكشف عن قدرة هذا الأديب
السكامل بل تزيد أحياناً العلاقة العالمية بالأدب ، ينقد الشعراء والأدباء عند تسرب الخلل ،
وظهور الزلل ... ويزيد على نفسه الأدبي الخاص بالانحطاط وانسجامها والمعاني واتصالها
وصفوتها ...

نرى هذا الأثر الخليل تناول النقد الأدبي واللغوي والنحوي والبياني ولم يقتصر على
المنظوم وما فيه من صنعة أدبية ، بل تناول المنشور وما فيه من مزايا ، فكأنه استوعب
وجوه الأدب ، وذكر غرره لأدبائنا وشعرائنا كما أورد نماذج من شعره وفي عمله هذا
يبدى أدب المعاصرين واضحاً ويعين مكانتهم بوجه لائق ومن تعرض لهم :

١ - الشيخ صفى الدين بن سرايا الحلبي .

٢ - الشيخ محمد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهير الأربلي الحنفي

وذكر له أبياتاً (١) .

(١) كتاب الفيت الذي السج ج ١ ص ١٥٧ .

النقد الأدبي ومصادره

- ٣ - الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ... ذكر له من الشعر الشيء الكثير وذكر له كتاب حسن التوسل .
 - ٤ - الشيخ أثير الدين أبو حيان ، من العلماء وشاعر أيضاً .
 - ٥ - جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة ^(١) .
 - ٦ - ابن دانيال الموصللي .
 - ٧ - شرف الدين علي بن جبارة .
- ولم يترك علاقته بعلماء اللغة ، ولا بالأدباء الآخرين فذكر في خنلال مباحثه بيتي الحريري :

ميم سمة تحمد آثارها واشكر لمن أعطى ولو سميحه
والمكر مهما استطعت لآثاته لتقتني السؤدد والمكرمه

وذكر نموذجاً من هذا القبيل وإن لصاغاني مجادة في معارضة البيتين ^(٢) ولأبي البيان بيا بن محمد بن محفوظ الدمشقي العالم اللغوي شيخ الطريقة البيانية المتوفي بدمشق في غرة ربيع الأول سنة ٥٥١ هـ - ١١٥٦ م قصيدة نظمها على هذا النمط ثم شرحها وكان الدافع له على ذلك تحمير الحريري البصري ومبالغته في الدعوى حيث جاء في المقامة الحلبية :

« فقال له : انشد البيتين المطرفين ، الماشتهرين الطرفين ، اللذين اسكننا كل نافر ، وأميناً ان يمزرا بنات ، فقال له اسمع لا وفير سمك ، ولا هزم جمعك . وانشد من غير طلبت ولا تربت البيتين الميسر كورين » وكأنه أراد أن يلفت الأنظار إلى أن الأدب بأجمعه ثروة الأمة ، ولا ينبغي أن يكون مقصوراً على عهد من عهوده ، فلا يترك أديب ، ولا يهمل الشؤون الأدبية وإن الروح الأدبية ذا الصنعة هو صاحب التقدير

(١) كتاب الفيت الذي أنجزه ج ٢ ص ١٣ .

(٢) المصدر نفسه ج ٩ ص ١٤٩ .

للمعروف الأدبية دون التحليل العلمي ، فلا يزاحم الأدباء في الحكم والممارسة حقها .
وتفضل هذه المجموعة بألوان أدبها وتاريخها وإن كان أمثالها من شروح لامية
العرب وغيرها لا تخلو من فوائد إلا أن فوائد هذه حجة واختيارها بالغ حدة ، بل أن
ثقافة صاحبها وقدرته الأدبية جعلت لها هذه المكانة ، فلم يترك مناسبة إلا أورد لها ما شاء
أن يورد من أدب متصل فكان الأدب ملوع إرادته كما تخزون في حافظته يختار منه
ما شاء متى شاء .

وهذه المجموعة اكتسبت رواجاً ومكانة ، ورغب فيها الأدباء ، فكانت من خير
التقنيات الأدبية وصارت واسطة للاتصال بالموضوع الأدبي . وفي الموصل عدة نسخ منها
نسخة في الخزانة الحسينية كتبت سنة ٨٧٣ هـ وفي خزانة يحيى باشا نسخة كتبت سنة
١٢٠٨ هـ ^(١) وفي دار الكتب الوطنية في طهران نسخة كتبت سنة ٨٦٨ هـ ^(٢) .

وفي خزانة المتحف العراقي نسخة نفيسة كاملة فيها تذهيب وتلوين ، كتبها عمر ابن
ابن محمد المغربي سنة ١٠١٧ هـ وأخرى نفيسة وقديمة كتبت في حياة مؤلفها تقع في جزئين
ضمن مجلد واحد ونسخ أخرى ^(٣) .

ومنه نسخة خزائنية وأخرى ناقصة في خزانة الأوقاف العامة ببغداد ونسخة كتبت
سنة ٩٨٢ هـ في خزانة الأزهر مع نسخ أخرى ^(٤) . واختصره جماعة من العلماء منهم :

١ - كمال الدين أبو البقاء محمد بن موسى الدميري المصري ، ولد سنة ٧٤٢ هـ - ١٣٤١ م
وتوفي سنة ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م . أنه في أربعة أيام سنة ٧٦٩ هـ منه نسخة في خزانة مجلس

(١) مخطوطات الموصل ص ١٤١ و ٢٢٩ .

(٢) مجلة المخطوطات العربية ج ٣ ص ٢١ .

(٣) مجلة - سورج ١٤ ص ١٢٦ من مقال للأستاذ كوركيس مواد .

(٤) المسكشاف ص ١٦٥ وفهرس خزانة الأزهر ج ٥ ص ١٩٦ .

النقد الأدبي ومصادره

الأمة الايراني بخط محمد بن ابي بكر السنودي من تلامذة المترجم مؤرخة سنة ٨٠٥ هـ وعليه اجازة بخط المؤلف ^(١) . ونسخة أخرى كتبت سنة ١٢٤٥ هـ .

٢ - جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي المولود ليلة النصف من شهر شعبان سنة ٨٦٩ هـ - ١٤٦٥ م والمتوفي بالهند ليلة العشرين من شهر شعبان سنة ٩٣٠ هـ - ١٥٢٣ م ومماه (نشر العلم في شرح لامية العجم) أوله : الحمد لله الكريم المنان المنعم بالايحباد والاحسان ...

واقصر فيه على ما يتعلق بشرح القصيدة وحل غريب لغاتها وتوضيح معانيها وكان يظن أن المقصود أمر علمي وأنه يجب أن يقتصر على الحاجة ، فلا يتجاوزها في حين ان تكثير الأمثلة والاستطرادات خير ممارسة وتمارين على الأدب للتمكن والتضلع فيه . وهذا الاختصار أزال صفوتها وأحبط أمل مؤلفها وغايته من وضعها وقد أخل بالكثير مما أرادته الصفدي وحذف منها ما عده فضولاً ولكنه لم يدرك المغزى بل أهمله وأضاع الغرض والقصد العظيم الذي قصد ، ومما كان غليظ من الانعساف أن تقتصر على بعض ما فيه دون بعض .

منه نسخ خطية في دار الكتب المصرية . وطبع في المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣٠٩ هـ و ١٣٢٠ هـ ^(٢) وفي المطبعة الكستلية سنة ١٢٨٣ هـ و ١٢٩٣ هـ ضمن مجموعة وعندني مخطوطة منه . ومنه نسخة ضمن مجموعة في خزانة السيد الزيد بن صالح حاكم تطوان ^(٣) ونسخة في خزانة المتحف العراقي مؤرخة في ١٩ ربيع الأول سنة ١٢١٥ هـ . ورد عليه الدماميني في كتابه زول الغيث وسيأتي بحثه .

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ٣ ص ٤٤ .

(٢) فهرس دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٤١٤ .

(٣) مجلة معهد المخطوطات العربية ج ١ ص ١٨٢ .

٧- نصرة الشاعر على المثل السائر :

تأليف الصلاح الصفدي منه نسخة في خزانة المرحوم الأستاذ أحمد تيمور باتشا وهذا الكتاب ولد حركة فكرية تجاه كل من المثل السسائر والملك الدائر وسبق ان ذكرنا المؤلفات المتعلقة بهذين الكتابين من نقد وتأيد فلا نعيد القول ثانية ..

٨- غير العبر :

تأليف جمال الدين أبي بكر محمد بن محمد المعروف بابن نباتة المصري ولد بالقاهرة سنة ٦٨٦ هـ - ١٢٨٧ م وتوفي سنة ٧٦٨ هـ - ١٣٦٦ م الكاتب الشاعر . وهذا الكتاب في مخترعاته وما سرق منها ويشير فيه الى سرقات الصفدي منه (١) .

٩- الخبز في سرقات ابن مخنف :

تأليف شمس الدين محمد بن حسن النواجي المصري . ولد سنة ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م وتوفي سنة ٨٥٩ هـ - ١٤٥٤ م . وابن حجة هو تقي الدين أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي المولود بحجة سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٥ م والمتوفى سنة ٨٣٧ هـ - ١٤٣٣ م . منها نسختان في خزانة الأزهر (٢) .

١٠- نزول الفيت :

التبعية الأدبي حرّ والآراء فيه تابعة للمواهب وكل أديب يدقق الأدب حسب اتجاهه ومقدار علمه ... والأمل معقود في أن ينال التحميم حقه واختلاف وجهات النظر فيما يتطلبه الأدب في أصوله ومزاياه وتقده ، فينال حظه من تراثنا الأدبي في الدرجة الأولى ، ولا نهمل الاستفادة من آداب الأمم لتتسع آفاق الثقافة الأدبية وهذا جل ما نهدف وغاية

(١) حدة البارون ج ٦ ص ١٦١ .

(٢) فهرس خزانة الأزهر ج ٤ ص ٦٩ .

النقد الأدبي ومصادره

ما ينبغي ، فيؤدي الى حركة فكرية من طريق التاريخ الأدبي ونقده .

وكتاب « نزول الغيث » تأليف بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر الخزومي الدمامي العالم النحوي . فرغ منه في ١٩ شهر ربيع الأول سنة ٧٩٥ هـ وكانت ولادته بالاسكندرية سنة ٧٣٣ هـ - ١٢٦١ م ووفاته في شعبان سنة ٨٢٧ هـ - ١٤٢٤ م . تناول كتاب (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم) للشيخ صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي فأوسع القول فيه واتحدى لنقده وناقش ، وطرق فيه مطالب غريبة في مادتها العلمية والأدبية بالرغم من ضيق مباحته ، إلا ان فوائده جمة وعلمه وافر وسقى كتابه « نزول الغيث » لأنه أنزل مباحث الصفدي الى الخفيض ، وأوقعه من اعتراضاته الأدبية في الطويل العريض ، حسب تعبيره ثم أطال في تسمية لامية العرب وما يقابلها من لامية العجم ثم علق على بحث مهم في العروض يدل على تمكنه منه ^(١) ونقد ابن حجاج في ان شعر الوري كان صحيحاً قبل أن يخلق الخليل بن أحمد ، وغلط الصفدي في الزخاف وأخذ عليه في قوله :

اصالة الرأي صانتي عن الخطل وحلية الفضل زانتي لدى العطل
ان تاء التأنيث الساكنة في صانتي فاعل ، ولم يجعلها علامة التأنيث ، فقال : إن هذا قول بعض النحاة إلا أنه على خلاف رأي الأكثرين المعمول عليهم ، وكرر القول فيها عند الكلام على قوله :

إن العلى حدثتني وهي صادقة فيما تحدث أن العز في الذقل
فبين الأستاذ الصفدي أنها (علامة التأنيث) ولم يجعلها فاعلاً بل قال : إن الفاعل ضمير مستتر فلم يجعل هذا مصححاً فيه لما ذكر سهواً أو عمداً لا بداء الآراء ، فاستعمل

(١) نقد في العروض (جواهر الجور) ثم شرحه بكتابه (معدن الجواهر) .

تاء التأنيث الساكنة فاعلاً في حين أن الصفدي كان قوله الأخير مصروفاً إلى أنها علامة تأنيث وصاحبنا أصر في محاولة أن يبدى خلافاً ، فكانت هذه المحاولة فاشلة .

ثم أورد عليه ما اقترحه في (بيت البحتري) في توجيه النظم إلى نوع من أنواع البديع ورجح أن تبدل بعض ألفاظه بغيرها ليظهر أثر الصنعة الأدبية فأبدى الدماميني أن هذا تابع لرغبة المتأخرين ، وإن البلاغة مراعاة مقتضى الحال لما كان أيام البحتري فكان صواباً ولنقده هذا قيمته الأدبية ولا تزال ترى كثيرين ساروا على طريقة الصفدي ، ولم يعبأوا بالزمان وأدبه الشائع في حينه ، والأدب القديم ووجوه استعماله فإن أيام العماد الأصمهاني والقاضي الناضل ، وابن رنحية السكاكي غير أيام الجاحظ وابن المقفع وأمثالهما في أدب العصر الذي كانوا فيه والفروق بينه وبين عصر أولئك ، ومن بعدهم أمثال ابن خبيب وابن عرشاه ، والصفدي نفسه ولعل الاستيلاء والإفاعة مما أوقعنا في الغلط .

وهكذا تكلم في حسن التعليل المسعى عند بعضهم (بالتذييل المثالي) وناقش المؤلف فيه وضرب الأمثلة الموضحة ، فكانت خير ما يستشهد به وتدلل على غزارة علم ومما ذكره الصفدي أن الجمع لا يوصف إلا بما يوصف به المفرد من الجمع بالمفرد ومثله المثنى أو كما قال الدماميني من أنه إذا وصف المثنى أو الجمع بشيء فلا بد أن يكون مفرد الصنعة صالحاً لأن يوصف به مفرد المثنى أو الجمع ، نأخلف الواحد عن الآخر في الوجهة التطبيقية فقد ذكر الصفدي ذلك بمناسبة البيت :

ولا أهاب الصنح البيض تسعدي بالبح من خلل الأستار والكال

وأورد الآية « وأخر متشابهات » ومضى على هذا المنوال وكان الصفدي اشترط عبثية الألفاظ ، وأنها أمر مهم في البلاغة فعارضه المؤلف في محمل استعمال الغريب والوحشي المتوعر مع التسليم بما ذكر ، وهكذا يتبين محل استعمال (لا) النافية

للجنس ، وذكر مذاهب النحويين في وجوه نحوية عديدة ، وأورد اختلافهم فيها والمفروض ان الأديب مستكمل المدة فيها وغلط نده في (ناء عن الأهل) وان أصله (نائي) ولم يكن كما ذكر من مثل جاء وشاء ... والمسألة صرفية ، ويظهر أن القول قول الناقد وان الحق معه دون الصنفدي إذ لا ضرورة الى تعديلات بعيدة .

وغلطه في مسائل نحوية وصرفية عديدة وهي من اختصاصه وأبدى تقصيره ، وأكد أن توجيهه لم يكن في محله من هذه المسائل ... وذكر من النحويين شمس الدين الأصفهاني والتاج التبريزي وأورد شرحها على الكافية . وغلطه في اللغة في معنى (سائر) مبيناً ان الجوهرى اذا انفرد لا يقبل قوله ما لم يؤيده آخر ، وهذا ما نقوله دائماً من ان الصحاح والقاموس قد جرت عليها تصحيحات واستدراكات ونقد فأهملنا ذلك ، وجدنا على كتاب بعينه .

والملاحظ أنه تحامل تحاملاً منكراً في مواطن مثل قوله : « لو استحيى هذا الرجل ما سطر بقامه في الكتب هذه الفضائح » ويريد الأدب المكشوف وقوله « هــكـذا يكون الأدباء العارفون بلغة العرب لمعنى الحقيقة والجاز ... ؟ » اهـ في محل الاستهزاء ، وقوله : « وهذه سقطة لا يغسل دفس عارها البحر » اهـ .

ولا حاجة بنا الى ايراد كل ما قال ، كما أنه ليس من العوالب الاعتذار له وقد قيل قديماً « مناظر ك نظيرك » فلم يكن فلفظ فيه وجه والمرء لا يكون مصوناً من غلط ، ولا يؤخذ بهذا العنف مما لا نعتقد بصحة ما قال الدماميني أو ما قال نده وكل أحد يؤخذ من أقواله ويرد في مثل هذه المباحث .

ولعل السب والشتم من بعض المعاصرين مقتبس من أمثال هذا ، وإلا فلا نستطيع ان نعد منهم ذلك طبيعة ولا يصح بوجه ان نقول : إن النهج الأدبي يقتضي السب ، والأدب بمعناه العام يمنع قول ما هو خلاف الأدب .

عباس المرزوي

ويهمنا التنبيه على بعض ما وجد من نقص أو غلط تقطع بصحته منها كان منشؤه ،
والملاحظ أنه أراد أن يظهر قدرته ، فاتخذ ذلك وسيلة ولكنه لم يلتفت الى قيمة كتاب
الصفدي النفيس في الأدب العربي وتاريخه ، والنقد ومكانته ، فلا شك أنه كان أكثر
صلة بالأدب ومرآياه من الناقده ، فجاء التجامل عليه منتقداً بل لو لم تكن له إلا معرفة
العلاقة التاريخية لكفاه فضلاً للدلالة على ادبه الغزير ، وفضله الكبير ، ومقدار علمه
الوافر وهذا ما لا يقتضيه واجب الذمة في النقد وربما كان مبناه الاعتقاد بصحة ما ذهب
اليه المؤلف الذي توجه عليه النقد وفي هذا نكران للسكينة الأدبية فمن الضروري النظر
اليها كالنظر الى تلك بمقياس متساو بل أكثر ...

وهبنا علمنا أن له أخطاء أو أغلاطاً فهذه لا تخل بمكانته ولا تؤدي الى التقليل من
شأنه كما اننا لا ننكر فضل الناقده ، ويلاحظ هنا : أن النقد متوجه على ما يخص الأغلاط
النحوية والصرفية واللغوية دون النقد الأدبي كما هو الشأن فيه أيام العصور العباسية ومن
ثم روعي هذا النقد وحده دون غيره واستمر في حين أن النقد الأدبي اكتفى فيه بما جاء
في كتب البلاغة .

ونزول الغيث منه نسخة ناقصة الأول بخط المؤلف ضمن مجموعة في خزانة الدكتور
داود الجلي وجاء في مخطوطات الموصل (وبعد ختام الكتاب تأتي صفحة بخط مغربي
جميل وإذا به خط ابن خلدون وقد قرض الكتاب بقوله : « الحمد لله وقفت على هذا
الكتاب ، روضة المنتاب ، وروضة المجتنب ، وشفاء الجاهل والمرتاب ، والكفيل لغريم
القوائد بالرضى والاعتاب وإذا البحر يعب عبابه ، والتفتيح الصريح قد تمخض لبابه ،
والفخر ناعمة العلمية قد تظاهرت اسبابه ، وروض المعارف ذو الظل الوارف قد استجبت
غبابه ، وطور السكال تفكر الانساني ، والعلم انساني ، قد انفتح باب ، وما لساحب هذه
الأردان والسابق في هذا الميدان ، ان لا يكون له بالفخر يدان ، ويشمخ بأنف بني

النقد الأدبي ومصادره

عبد المذان ، فبيد في جو السكال بمنظاره . . . كتبه بحبه العارف بكاله عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي وفقه الله واعاته على الانصاف والاعتراف بمنه وجوده « ويظهر الورقة تقريض آخر لأحمد بن محمد السبتي المالكي وبخطه أيضاً ثم يأتي تقريض ثالث آخره ناقص (١) .

وعندي نسخة من هذا الكتاب مؤرخة في ١٨ من شهر رمضان سنة ٨٧٨ هـ بخط عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد المخزومي السبتي وعليها اعتمدت في بحوثي .
هــ ما أمكن بيانه في النقد الأدبي وتاريخه وذكر مصادره وما جرى أخيراً على الاستاذ الصفدي من نقد وقع من الاستاذ الدمايني . ولم يقف الأمر عند هذا الاستاذ بل تناوله آخرون فكان تقدم قاسماً ومنهم أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يحيى التلمساني المعروف بابن أبي حجلة صاحب التصانيف العديدة . ولد سنة ٧٢٥ هـ - ١٢٣٤ م وتوفي في سلخ ذي القعدة سنة ٧٧٦ هـ - ١٢٧٥ م . قال في نقد الصفدي :

إن ابن أبيك لم تزل سرقاته تأتي بكل قيحة وقبيح
نسب المعاني في التسميع لنفسه جهلاً فراح كلامه في الريح
وامثال هذا يدل على حنق سراء من ابن نباتة أو من الدمايني أو من غيرهما .
والانظار تختلف وقد تكون من محب مفرط أو من عدو مبغض . . .

عباس المزالي

(١) بخطوط الموصلي من ٢٧٨ قد كتبه داود الجاني المتوفي في الموصلي بتاريخ ٢٩ من سنة ١٩٦٠

ومنه نسخ في دار الكتب المصرية القومس ج ٣ من ٤١٠ .

البحث العالمي عن العرب المسلمين

انصب معظم بحوث المحدثين في تأريخ العرب على الناحيتين السياسية والأدبية . أما النواحي الأخرى من نواحي الحياة ، ولا سيما الناحية العلمية ، فلم تحظ إلا بعناية قليلة ، مع أنها ليست بأقل خطورة منهما من الناحية السياسية أو الناحية الأدبية لأمة ما . ولهذا كان علمنا بالبحث العلمي وباشتغال العرب المسلمين بالعلوم ضئيلاً ساذجاً ، وأكثره من النوع العام الذي لا يستند الى دراسات نقد وتحليل ومقارنات ومقابلات مع الأصول القديمة لجاء فجاً ناقصاً ، لا يقدم مادة في تأريخ تطور العلم ، ولا رأياً في درجة تقدمه . ومقدار صفائه عند العرب المسلمين .

وحيثما أقول : العلم ، أقصد ما يقال له « Science » في الإنكليزية من أصل كلمة « Scientia » اللاتينية و « Wissenschaft » في الألمانية . ولهذا ان أتحدث هنا إلا عن الموضوعات التي يدخلها أبناء هذا اليوم في هذا الإطار ، كالكيمياء والصيدلة والفلاحة والرياضيات والفلك وأمثال ذلك . وسأحصر كلامي هنا في التحدث عن الكيمياء والفلاحة

هذا ، ولا بد لي ، قبل الدخول في الموضوع ، من الإشارة الى أن من أهم أسباب جهلنا بتأريخ تطور العلم وتطور بحوثه عند العرب المسلمين هو قلة المطبوع من كتب العلوم العربية القديمة ، وسقم أكثر المطبوع من حيث التحقيق والإخراج وكثرة الخطأ فيه . والنصراف أكثر المحققين والناشرين للخطوط عن تحقيق المخطوطات العلمية والحرفية وميلهم الى تحقيق الكتب التاريخية والأدبية ، وهي كتب يكتب لها البيع

البحث العلمي عند العرب المسلمين

والانتشار بسهولة ، فبقي معظم كتب العلم مخطوطاً مختبئاً في زوايا المكتبات لا يعرف عنه إلا القليل .

وهذا مما حرمننا الوقوف على الحركة العلمية عند العرب ووقوفاً صحيحاً واضحاً . وللتغلب على هذه المشكلات وأمثالها لابد من قيام المؤسسات الثقافية الرسمية وشبه الرسمية في الأقطار العربية من بحث المخطوطات العلمية بما لها من قدرة مادية وعلمية ومعنوية ، واستناد ذلك كله الى أعضائها العلماء أو الى العلماء المتخصصين بتحقيق المخطوطات والعلماء المتخصصين في المادة التي تخصها المخطوطة بدراستها من النواحي اللغوية والاختصاصية وتحقيقتها تحقيقاً علمياً مع دراسة تحليل ونقد ، ليكون إخراج الكتاب كاملاً دقيقاً للمؤرخين والباحثين والمطالعين ، وبذلك يكون في وسع المؤرخ الاستناد الى مثل هذه المراجع في ابداء رأيه في الحركة العلمية عند العرب المسلمين .

ولما كان التراث العربي العلمي نتاج جهود علماء جميع الأقطار العربية والإسلامية ، وكان ذلك يحتاج الى وضع خطة موحدة بين المؤسسات العلمية والثقافية في نشر المخطوطات وتحقيقتها تحقيقاً علمياً دقيقاً صحيحاً ، فمن الواجب مراجعة دائرة نشر المخطوطات في الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية عند إقدام أية جهة حكومية في البلاد العربية على نشر مخطوط ، للاستئناس برأيها في هذا الموضوع ، ولا إبلاغ الجهات المعنية بنشر المخطوطات في البلاد العربية أو الأجنبية بذلك ، لتكون على علم وبينه من الأمر ولوضع خطة علمية موحدة على أساس توزيع العمل ، بقيام كل قطر عربي ينشر ما يخصه نشرأ علمياً دقيقاً ، وبذلك تتوحد الجهود العلمية والثقافية العربية في هذا المضمار .

والمطبوع الموجود بين أيدينا من تأريخ تطور المعرفة عند المسلمين ، وابتداء استغلالهم بها في جميع حقولها وأبوابها من علم وأدب وفن وصناعة ، يرينا أن المعنيين بتدوين تأريخ العلوم والآداب والفنون والصناعة كانوا قلائل ، وأنهم لم يتوسعوا في البحث ولم يكتبوا فيه بسعة واحاطة ، وإن هذا الموضوع لم يكن قد خطر ببالهم إلا بعد مدة من اشتغال

المسلمين بالكتابة والتأليف . فلما شرعوا في التدوين لم يجدوا أمامهم مادة كافية ، ولم يصل الى مسامعهم غير هذا القليل المبدون ، وأكثرت مما يحتاج الى نقد وغرابة وتمحيص . وقد أخذ المتأخرون منهم ما وجدوه أمامهم مما قد دون قبلهم ، فسجدوا كما هم ، ولم يعبوا أنفسهم بالبحث والاستقصاء لإيجاد شيء جديد يضاف الى ما جاء به القدماء .

ولا تجد هذا التقصير في موضوع تدوين العلوم أو الفن أو الصناعة وحده ، بل تجد ذلك حتى في تدوين منشأ العلوم العربية والعلوم الشرعية أيضاً . فأتت اذا رجعت الى كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو من أقدم المراجع المؤلفة في هذا الموضوع ، لا تجد فيه شيئاً ضافياً واضحاً عن كيفية نشوء العلوم العربية وعن مبلغ صلتها بالحركة العلمية عند الجاهليين ، ولا تجد فيه كيفية اعتناء أبي الأسود الدؤلي مثلاً الى وضع قواعد النحو وكيفية تطور النحو ونموه من يوم ظهره الى ساحة وصوله وتدوينه في كتاب سيبويه . ولا تجد فيه كذلك تقدماً لكيفية ظهور علم العروض وسائر العلوم اللسانية والشرعية عند المسلمين .

والواقع أن فهم الناس لتأريخ في ذلك العهد لم يكن على النحو الذي نفهمه عنه نحن في الزمن الحاضر . فقد كان التأريخ في ذلك الوقت تأريخ حوادث ووقائع ، انصرف الى أعمال الخلفاء والملوك والرجال الذين لهم أثر ظاهر في الحياة . أما تأريخ التدوين وكيفية تطور المعرفة وربط بعضها ببعض وارتباط العلماء المتأخرين بالمتقدمين وما أوجدته النوايا من آراء واختراعات ، فلم يكن موضوعاً مهماً بالقياس الى تلك الأيام ، إلى أن ظهرت الحاجة اليه ، فكان ما فقد كثيراً ، وكان الضائع غزيراً . وقد سبب ذلك لأمثالنا الجهل بتأريخ نشوء المعرفة وتطورها بصورة عامة في العصور الأولى للإسلام .

ونحن إذا ما أردنا التحدث عن العلوم ، فلا بد لنا من الابتداء بعلم كان وما زال له صداه في حياة الإنسان وفي تطوره ، هو علم الكيمياء . وهو علم اختلطت به في ذلك

البحث العلمي عند العرب المسلمين

العهد السعيدة بالبحث ، والخيال بالعلم . فأجتمع السحر بالتجربة ، واتصل الطمع بالحصول على الثروة والمال بالبحث العلمي المجرد ، بقياساً على ذلك أميماً ، إلى أن تغلبت التجارب العلمية فيه على السعيدة ، وفازت المعرفة العلمية على الآراء الخيالية البالية ، فتقي هذا العلم من الشوائب ، وحسار علماء بل عموماً استقبلت منه على النحو المعروف في العهد الحاضر .
وستظهر منه غروع جديدة في المستقبل بالطبع .

وعلم الكيمياء في ذلك العهد علم يرتاده نالهود طمعاً في الحصول على الذهب والمال في الغالب ، وقبلما حصل به غير هؤلاء . وهو ذو أصول شرقية وغربية ، تغلبت على أصوله الشرقية الطلسمات والسحر والتماوير ، وتغلبت على أصوله الغربية النزعة إلى التجربة واستخدام الآلات والأدوات والنار والخواصن و « الفلزات » لتحويل المعادن الخسيسة إلى هذا المعدن النفيس الذهب . محبوب للقلوب . وُعِدَّت الكتب المؤلفة فيه ، من الكتب الثمينة الغالية . كما يُعَدُّ المشتغلون به الكيمياء صنعة ذات أخطار وذات أسرار لا يجوز إفشاؤها ولا البوح بها إلا لخاصة الخاصة .

والحديث عن مبدأ هذا العلم عند العرب حديث غير ممكن في الزمن الحاضر ، لسبب واحد بسيط ، هو عدم وجود مادة في أيدينا تمكننا من الوقوف على كيفية نشوئه وظهوره عند الجاهليين والاسلاميين . ولكننا إذا كنا في هذا الجمل بكيفية ظهور الكيمياء عند العرب وبأبطالها ورجالها في تلك الأيام ، فإننا نستطيع أن نأتي بخلاصة موجزة عن رجال اسلاميين ، ذكر في كتاب الفهرست وغيره أنهم كانوا ممن اشتغلوا بالكيمياء ، وبالصنعة كما يدعون عليها أيضاً .

وبعد ، فإن الحديث عن الكيمياء يدفعنا إلى الابتداء بالتحدث عن ثلاثة أعلام يرتبط كل واحد منهم بهذا العلم ، هـ : خالد بن يزيد بن معاوية ، وجعفر الصادق ، وجابر بن

حيات

أما الأول ، فهو أبو هاشم خالد ابن الخليفة يزيد الأول ثاني الخلفاء الأمويين ، وحفيد معاوية مؤسس الدولة الأموية . فهو من أسرة شريفة حاكمة ، ومن بيت قديم من بيوتات مكة ، عرف بمناقبه لبني هاشم في الجاهلية وفي الاسلام . وهو أول من ورد اسمه من العرب المسلمين مقروناً بهذا البحث . وقد نسبت اليه بحوث مدونة وغير مدونة فيه ، بقيت منها تنف واقتباسات في بطون الكتب ، وأشعار في الصنعة يذكر راووها أنها مما نظمه هذا الأمير العالم في علم الكيمياء وفيما يتعلق به .

أما سيرته فكل ما نعرفه منها أنه عاش في كنف والده زهاء عشرين عاماً ، وعاش حتى سنة (٨٥) للهجرة (٧٠٤ م)^(١) ، وأنه لم ينل الخلافة بعد وفاة أخيه معاوية الذي كان لا يكبره في السن إلا ببضع سنين والذي لم يتمكن من الحكم إلا أياماً معدودات بلغت أربعين في رواية ، أو ستين في رواية أخرى^(٢) . توفي بعد ما فأتت الخلافة « مروان بن الحكم » ، ثم ابنه من بعده وفاة « عبد الملك » . ولم تعطف على خالد ولم تمل اليه .

ويظهر من الروايات عن وفاة « معاوية بن يزيد بن معاوية » ، أنه كان هو السبب في حرمان أخيه وبقيّة اخوته وأهل بيته من السفينيين من الخلافة ، إذ رفض أن يهد بها إلى أحد منهم حينما حضرته الوفاة ، قائلاً : « والله ، ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقار وزرّها ، وتتعجلون أنتم حلاوتها ، وأتعجل مرارتها ؟ اللهم ، إني بريء منها ، متخل عنها ! اللهم ، إني لا أجد نفعاً كأهل الشورى ، فأجعلها إليهم ينصبون من يرونه أهلاً لها » . وهذا مما أثار غضب أمه وأهله عليه وسبب حرمان بني سفينان منها ، وانتقال الخلافة منهم إلى

(١) علم الطائفة : تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، (١٩١١) ، (ص ١٢٢) ،

Brockelmann Supl . I. S. 106.

(٢) مروج الذهب (٢٠/٣) ، ذكر أيام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم .

آل مروان، ومنهم خالد بن يزيد^(١).

ويظهر من بعض الأخبار أن صلات خالد بن يزيد بالخليفة مروان بن الحسك لم تكن على ما يرام، وذلك لاعتقاده أن مرواناً قد اغتصب حقه في الملك، وأنه أخذه منه ظملاً. وفي بعض الأخبار ما يفيد وقوع ملاقات بين الاثنين، وأن ذلك دنا إلى تأثر أم خالد من زوجها مروان فوضعت مرفقة على وجهه وقعدت عليها هي وجوارها حتى مات^(٢). ولم يرو المؤرخون شيئاً كثيراً عن صلاته بالخليفة عبد الملك بن مروان إلا ما ذكره من أن عبد الملك أرسل إليه حين فكسّر في ضرب العملة في بلاد المسلمين، وتحويلها من دنانير رومية إلى دنانير عربية، يسأله رأيه في ذلك، فأشار عليه أن يضرب العملة، ويمنع التعامل بدنانير الروم^(٣). وهو خير يتعارض مع أخبار أخرى أوردتها أهل الأخبار عن ابتداء ضرب العرب للدنانير في العصر الأموي. وهي أقدم منه عهداً لورودها في كتب هي أقدم من الكتب التي أشارت إلى تصحيح خالد لعبد الملك في أمر تعريب الدنانير^(٤). وإلا ما ذكره من قصته مع عبد الملك في شأن أخيه عبد الله بن يزيد بن معاوية والوليد بن عبد الملك، وكان يعيب به ويحتقره ويظهر من تنابها القصة أن صلاته بالخليفة لم تكن على ما يرام^(٥).

وقد كان خالد كما يبدو من بعض ما أوردته أهل الأخبار عنه معجباً بنفسه، معتدّاً بأهل بيته، على الرغم من خسارته الملك وذهاب الخلافة منه. وقد أدت ذلك إلى وقوعه في

(١) صريح الذهب ٢٠/٣ هـ ذكر أهام معاوية بن يزيد بن معاوية هـ.

(٢) الأمان (١١/١٦ هـ وما بعدها).

(٣) Karabacek, S. 15. f.

Ruska, S. 11. (٤)

(٥) ابن خلدون (١١٧/٥ هـ وما بعدها).

«شاكسات مع بعض الناس ، مثل الحجاج ، وإلى تطاولهم عليه بالقول»^(١) . ولعلمهم كانوا يندفعون في ذلك بالحاء من مروان ومن ابنه عبد الملك ، للحط من منزلته ، وإبعاده عن كل تفكير في استعادة الخلافة من آل مروان .

وإذا كان خالد قد أخفق في نيل الخلافة أيام أخيه الضعيف وأيام مروان الطامع في السن ، فقد كان من غير الممكن بالنسبة إليه استلابها من «عبد الملك» ذي الشخصية القوية والبأس الشديد . والظاهر أن خالدًا كانت كأخيه ضعيف الإرادة لم تتوفر فيه الصفات التي يجب أن تتوفر في شخص يريد استرجاع ملك ضائع منه مسلوب ، لم يكن في إمكانه تكوين جماعة تلتف حوله لمساعدته في استرجاع حقه في ملك أبيه ، ولم تكن لديه المؤهلات التي يجب أن تتوفر فيمن يريد الحكم والزمامة ، ولهذا قبيع في بيته مفضلاً الانزواء على الاصطدام بآل مروان ، معزياً نفسه بالاشتغال بتنظيم الشعر وقراءة الكتب القديمة ، ولا سيما كتب الكيمياء والطب ، وملازمة المشتغلين بها ، وملازمة بعض أصدقائه الخلق ، حتى وافته منيته وهو على هذه الحال .

قال فيه محمد بن اسحاق بن النديم صاحب كتاب الفهرست : «الذي عني باخراج كتب القدماء في الصناعة خالد بن يزيد بن معاوية . وكان خطيباً شاعراً ، فصيحاً حازماً ذا رأي . وهو أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء . وكان جواداً ، يقال إنه قيل له : لقد فعلت أكثر شغلك في طلب الصناعة ، فقال خالد : ما أطلب بذلك إلا أن أغني أصحابي وإخواني . إني طمعت في الخلافة ، فاختزلت دوني ، فلم أجد منها عوضاً إلا أن أبلغ آخر هذه الصناعة ، فلا أحوج أحداً عرفني يوماً أو عرفته إلى أن يقف بباب السلطان رغبة أو رهبة . ويقال ، والله أعلم إنه صبح له عمل الصناعة»^(٢) .

(١) الأمان (١٦/٨٦) .

(٢) الفهرست (ص ٩٧) ، طبعة القاهرة .

ومن يدري ؟ فلعلة كان يرى في الكيمياء المخرج المؤدي الى استرجاع الخلافة ، والسبيل المؤدي اليها ، بما كان في هذه الصنعة من أسرار اذا وقف الانسان عليها صار في إمكانه تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، والذهب هو السكفيل بالحصول على كل شيء في هذا الكون ، وفي جملة ذلك الخلافة . فسينفق منه على الناس ، وبذلك يمتلكهم ، ويجعلهم في جابه في استرجاع الخلافة من مغتصبها عبد الملك بن مروان .

وذكر بعض أهل الأخبار أن خالد بن يزيد « هو الذي وضع خبر السفياني ، وكبره ، وأراد أن يكون للناس فيه طمع حين غلبه مروان بن الحكم على الملك ، وتزوج أمه ^(١) » . وهناك من يشك في صحة هذه الرواية ، ويرى أن خبر السفياني خبر ورد بطرق متعددة ومن رواية مختلفين ^(٢) .

ولا ندري بالطبع كم كلفت هذه الصنعة خالد بن يزيد من مال . ولكننا نستطيع أن نقول على كل حال إنها كلفته كثيراً ، وإنه ظل يعمل جاداً ما شاء الله في هذه الصنعة طمعاً في الوصول الى هدفه المنشود ، وإنه كان كلما تراءى له شبح شيء يراق لونه يشبه لون الذهب زاد أمله في الحصول عليه . ونحن نعرف أن هذا الأمل أذل من كثير من الناس ، وذهب بعقل بعض منهم ، حين خاطبوا في الحصول على الثروة والمال والتحكم في المعادن الخسيسة ، تحكم علاء الدين في خاتمه أو في المصباح السحري المنسوب اليه .

والواقع أن اعتقاد القدماء أن في إمكان المتفرس بعلم الكيمياء التوصل الى سر تحويل المعادن الخسيسة الى معدن نفيس ، هو الذي حمل أكثر الكيمياءيين على دراسة هذه الصنعة والانصراف اليها ، حتى في هذا العهد فانا نجد بعض الناس يقبلون على مطالعة الكتب الكيمائية القديمة ، ويدرسونها ليل نهار ، ويعملون بما يرد فيها من توجيهات للتوصل الى ذلك السر : سر تحويل القصدير والمعادن الرخيصة الى إكسير النور .

(١) الأغاني (٨٠/١٦) .

(٢) المصدر نفسه .

وقد ذكر ابن النديم حكاية أخرى عن خالد ، فقال : « كان خالد بن يزيد بن معاوية يسمي حكيم آل مروان ، وكان فاضلاً في نفسه ، وله همة ومحنة للعلوم ، خطر بباله الصنعة ، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر ، وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقيبطي إلى العربي . وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة » (١) .

فالذين نقلوا الكتب من اليونانية والقيبطية إلى العربية ، هم كما ذكر ابن النديم جماعة من الأجانب الأجاجم ، ممن كانوا بمصر ، كانوا قد اتقنوا العربية وتحدثوا فيها ، كما كانوا قد اتقنوا الصنعة والعلوم الأخرى وتخصصوا فيها . ولم يذكر ابن النديم اسم أحد من هؤلاء النقلة إلا اسم رجل واحد سماه « اصطفن القديم » . وقال فيه : إنه نقل له كتب الصنعة . ويعني بها كتب الكيمياء . وإذا كان يكون « اصطفن القديم » أقدم رجل ورد اسمه على وجه التأكيد وترجم الكتب العلمية من اللغات إلى اللسان العربي (٢) .

ولكن من هذا الفيلسوف اليوناني المتقن للعربية الفصيح بها « اصطفن القديم » ؟ إن علمنا بسيرته جد قليل . لم يرو ابن النديم من خبره ما يوضح سيرته وعمله . لم يذكر متى ولد ومتى توفي ، ولم يلق بـ « القديم » ، وأين عاش ، وما آثاره ومؤلفاته إن كانت له آثار ومؤلفات وكيف كانت صلاته بخالد بن يزيد ؟ لقد أشار ابن النديم في أثناء كلامه على « أسماء الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة » إلى رجل سماه اصطفن ، وقد ذكره بعد خالد بن يزيد في الترتيب ، وقبل اسم رجل آخر سماه « حربي » ، وقد ورد اسم « حربي »

(١) الفهرست (ص ٣٢٥) ، نقل هذه الفهرات كتاب جاد ، صاحب كشف المكنون عن أسامي الكتب

والفنون دون أن يشير إلى الفهرست ، وأبعد الجزء الثالث من مائة وثلوك ، الصفحة (٩٠) .

(٢) الفهرست (ص ٣٢) ، أسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي ، كشف المكنون (٩٧/٣) ،

« غيبة فلوكس » ،

هذا قبل اسم جابر بن حيان^(١) . فهل أراد ابن النديم بـ « اصطنع » هذا « اصطنع القديم » ؟

وورود اسم اصطنع بعد اسم خالد بن يزيد ، يدل بالطبع أنه كان من المعاصرين له ، ولما كان هذا الرجل من أصحاب هذه الصنعة ، فلا يستبعد أن يكون هو الذي دعاه ابن النديم بـ « اصطنع القديم » . وقد ذكر ابن النديم بعد انتهاءه من الكلام على خالد بن يزيد وفي أثناء حديثه عن « أسماء الكتب التي ألفها الحكماء » اسم كتاب في الصنعة دعاه « كتاب اصطنع »^(٢) . لكنه لم يذكر شيئاً عن هذا الكتاب وموضوعاته وعنوانه الحقيقي . فهل يعد هذا الكتاب من صنعة اصطنع المعاصر لخالد بن يزيد ؟ قد يجوز أن يكون من مؤلفاته أو من منقولاته . لكنني لا أستطيع أن أقول ذلك جازماً ، فهناك جملة مؤلفين عرفوا بـ « اصطنع » أو « اصطنعان » ، ولهذا أرى التريث والتروي في إبداء رأيي فاطع في نسبة هذا الكتاب .

وقد ورد في بعض رسائل الكيمياء المنسوبة الى خالد بن يزيد أن خالداً راجع كثيراً من كتب الكيمياء كما راجع رجال الصنعة ، ولكنه لم يتمكن من فهم الصنعة والوقوف على أسرار تلك الكتب ، حتى اهتدى الى رجل نصراني اسمه « أستفانس الراهب » ، فزاره ، واتصل به ، وكنتم أمره عنه ، ولم يبع له باسمه ، الى أن تعلم الصنعة منه ، ونال منه « معاني الفوز » ، فكشف له عنده عن حقيقته^(٣) . فمن هذا الراهب المشتغل بالصنعة والكيمياء ؟

لقد ذكر ابن النديم ، في أثناء كلامه على علماء الصنعة والكيمياء ، اسم رجل دعاه

(١) القهرست (ص ١٦٢) .

(٢) القهرست (ص ١٩٨) .

(٣) H. E. Stapleton and R. F. Aze, an alchemical Compilation of the thirteenth Century, A. D. Memoirs, AS. Soc, Bengal, 1910, Vol., III, No. 2 P. 86, Ruska, S. 10

« اصطفى الراهب » ، فقال إنه « كان بالموصل في عمر يقال له ميخائيل ، وكان يحكى عنه أنه عمل الكيمياء . فلما مات ، ظهرت كتبه بالموصل ، فرأيت منه شيئاً . وهي : كتاب الرشد ، كتاب ما حدثنا ، الباب الأعظم ، كتاب الأدعية والقرابين التي تستعمل قبل صناعة الكيمياء ، كتاب الاختيار النجومي للصناعة ، كتاب التعليقات ، كتاب الأوقات والأزمنة » (١) .

ولم يذكر ابن النديم الزمن الذي عاش فيه هذا الراهب ، ولهذا فليس في وسعنا أن نزعم أنه هو الشخص الذي تعلم منه خالد صناعة الكيمياء . هذا ، وذكر ابن النديم رجلاً آخر قال إنه « من القلاصة أهل الصناعة الذين شهروا بها ، وألّفوا فيها كتباً » . وقد دعاه « اسطافانوس الرومي » . وذكر أنه كان من أهل الاسكندرية ، وله من الكتب على ما ذكر في بعض رسائله ألف كتاب ورسالة ، ولكل كتاب ورسالة اسم يسمى بها (٢) . ولكنه لم يذكر أيضاً زمن هذا المؤلف الفيلسوف الكيمياءوي ، ولهذا فليس في استطاعتنا أن نتحدث عن وجود صلة له بخالد بن يزيد .

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى احتمال أن يكون « اسطافانوس » أو « اصطفى الراهب » المذكور هو « استافانوس Steplannus » أحد الباحثين في الكيمياء والطب في أيام القيصر « هرقل Herakleios » . وله بحوث في الموضوعين المذكورين وشروح للكتب المتقدمة التي وضعها علماء اليونان (٣) . أما أنا فأرى صعوبة تصور ذلك ، لفارق الزمن بين الاثنين ، ووجوب تخيل عمر طويل للعالم اليوناني ليكون في الامكان اتصال خالد بن يزيد به .

(١) القهرست (ص ١٠٦) .

(٢) القهرست (ص ١١٦) .

(٣) Ruska. Arabische Alchemisten, S. 50 ff (٤) .

ويفهم مما ذكره ابن النديم عن خالد بن يزيد أن خالداً كان قد ألف عدة كتب ورسائل في الصنعة ، وأنه كان قد نظم شعراً كثيراً في هذا المعنى . وقال إنه رأى منه نحو خمس مئة ورقة ، وأنه رثى من كتبه : كتاب الحرات ، وكتاب الصحيفة الكبير ، وكتاب الصحيفة الصغير ، وكتاب وصيته إلى ابنه في الصنعة ^(١) . وذكر صاحب كتاب كشف الظنون كتاباً سماه « سر البديع في فلك ركن المنيع في علم الكاف » ، زعم أنه لخالد ، ويظهر أنه وقف عليه كما يفهم ذلك من قوله : « أوله اعلم أيها الأخ الخ ... » ^(٢) كما أنه ذكر له كتاباً آخر سماه « فردوس المسكة في علم الكيمياء » ، وقال في وصفه : إنه « منظومة في قوافي مختلفة ، وعدد أبياتها أثنان وثلاث مئة وخمسة عشر بيتاً ، وإن أوله :

الحمد لله الواحد المزد الذي له الصخر والمجد . الخ :

يا طلب لمناجسة الكيمياء منطقاً حتماً بغير خفاء ^(٣) »

ويظهر أنه من هذا الكتاب كان نقل الأبيات التي نجدها في كتب الصنعة ، وأنه هو كتاب « الفردوس » الذي أشار إليه الجليلي كما سنرى فيما بعد .

وقد نسب صاحب كشف الظنون له كتاباً آخر دعاه « كتاب الرحمة » ، وصفه فقال إنه يشتمل على أربعة فصول في معرفة الحجر وفي الأوزان وفي التدبير وفي الخواص ^(٤) . وأشار صاحب كشف الظنون في باب الميم إلى مقالة لخالد بن يزيد في الكيمياء ، قال فيها إنها رسالة غريبة في هذا الشأن ^(٥) ، ولم يذكر من أمرها شيئاً .

(١) الفهرست (ص ١٧٧ وما بعدها) .

(٢) كشف الظنون (١١٢/٢) .

(٣) كذا وردت كتب الظنون (١١٢/١) .

(٤) ولخالد بن يزيد كتاب الرحمة أيضاً ، يشتمل على أربعة فصول في معرفة الحجر ، في الأوزان ،

في التدبير ، في الخواص ، كشف الظنون (١١٢/٢) .

(٥) كذا في الظنون (١١٢/١) .

وقد ورد في بعض المؤلفات أن أحد وزراء مصر وجد سنة ٤٣٥ هـ في خزانة الكتب بالقاهرة كرة تمثل السماء مصنوعة من النحاس من عمل بطليموس ، وقد كتب عليها : « حملت هذه الكرة من الأمير خاله بن يزيد بن معاوية ^(١) » .

وقد ذكر « الجلكي » ، عز الدين أيمن بن علي بن أيمن ^(٢) ، في كتابه « غاية السرور في شرح ديوان الشذور » أن خالداً « كان مشغولاً بالحكمة والفلسفة في حياة جده معاوية ، واستمر على ذلك مدة أيام أبيه ، وطلب له خلافة بعد موت أبيه ، فأمتنع ووُلي الخلافة أخوه معاوية ومحب خالد مسلمة بن عبد الملك بن مروان . وتجهز معه إلى بلاد الروم ، وحضر حصار القسطنطينية إلى أن فتحت صلحاً ، وظفر منها بكتب كثيرة من كتب اليونان . واشتغل في حدائقه سنة على الراهب مريانس . كان في دير خارج دمشق وبأشر عنده العمل بعد العلم مدة عشر سنين من خلافة جده معاوية . وتم وصوله واتصاله في خلافة أبيه يزيد » .

وذكر أيضاً أن خالداً لما توفي ، « كان سبباً لضعف شوكة بني أمية » ، وأخذ حلقهم من بعده في النقص ، مع أنه عمل بدمشق طلبات كثيرة في الجامع الأموي وحول الجامع وفي سور دمشق وبعضها باق إلى الآن ، تعسده الله بالرحمة والرضوان . وبسببه جلبت الكتب من بلاد الروم إلى الشام الجليلة الأولى في الفلسفة والحكمة والطب والهندسة والنجوم والحيل والأعمال وجرّ الانتقال وغير ذلك . وصنف هو كتباً كثيرة في عدة علوم ، وأعلى

(١) تاريخ المسكاه لابن القملي (ص ١١٠) طاعة أوربة ، ، فالينو علم الفلك : تأريخه عند العرب في القرون الوسطى (١٢٧) .

(٢) الجلكي : علي بن محمد بن أيمن الجلكي ، عز الدين ، ، التوفيق بعد سنة ٧٤٢ للهجرة ، ، الأعلام (١٠٧/٥) ، هدية المعارف (٢٤٣/١) ، القرينة (٢٥٥/١) ، (٢٩٩/٣) ، (٢٩٩/٤) ،

Brockelmann. II, 158, Suppl., 427. f. II, 171, 1035, III, 597.

وزأوج لطيف الماء إن كنت عالماً بلين هواء كامن في المناطق (١)
وفي أثناء استشهاده « العراقي » بأقوال الحكماء في كيفية الابتداء ، قبل تسمي العمل
الأول وتسمى العمل الثاني ، أورد بيتاً لخالد بن يزيد هو :

أول هذا العلم تكليس الحجر بحر نارٍ دونها نار سقر (٢)

ثم أورد له شعراً في قافية الهمزة ، ذكره في الفصل الرابع في الاستشهاد على كيفية
الابتداء في القسم الأول من العمل الأول ، وهذا مطلعته :

يا باحثاً عن صنعة البراء ودقيق ما صنعوا من الأشياء

ميز ، فديتك ، ما أقول ، ولا تكن كالجاهل الجوتال في عيباء (٣)

وأورد له أشعاراً أخرى في المواضع الباقية من الكتاب ، كلها على هذا النمط من
تعليم الصنعة وشرحها وفي كيفية العمل بها (٤) .

وأورد « العراقي » نبذاً من أجوبة رجل من أصحاب الصنعة اسمه « مريانس » عن
أسئلة وجهها إليه خالد بن يزيد ، يظهر منها أن مريانس كان مرجعاً في علم الكيمياء يرجع
خالد إليه ، وأنه كان على صلة وثيقة بالأمير الأموي . وفي جملة ما أوردته جوابه عن سؤال
خالد في موضوع « اكسير الحرة » و « الاكسير الأحمر » ، فقال : « وقد قال سائر
الحكماء : إنه ينمو بلا نهاية ، ويريد في صيفه بلا نهاية ، ولهذا قالوا : إنه المثقال منه
يلاً ما بين الخافقين ، ولهذا قال مريانس الحكيم خالد بن يزيد : أعلم ، أيها الأمير ، أنه
يزيد بلا نهاية كمية وصيفاً » (٥) .

(١) كتاب العلم المكتسب في زراعة الذهب (ص ٣٤) ، طبعة باريس ١٩٢٣ .

(٢) المصدر نفسه (ص ٣٦) .

(٣) كذلك (ص ٣٦ وما بعدها) .

(٤) كذلك (الصفحات ٣٤٠ ، وما بعدها ، ٤٧ ، ٤٩ وما بعدها) .

(٥) كتاب المكتسب (ص ٣٧) .

وفي الفصل الذي عقده « العراقي » على وحدة الماهية المتقوم منها صورة الأكسجين وتعريفها ، اقتبس أجوبة لهذا الحكميم عن أسئلة سأها خالد ، فقال : « وقال مريانس لخالد بن يزيد : أما ما سألت عنه من الأصل أمن شيء واحد أم من أشياء شتى ؟ فإن ذلك شيء واحد وجوهر واحد ونوع واحد ، ومنه وبه ، لا يزداد عليه ولا ينقص منه » ^(١) . وأورد « العراقي » سؤالاً لخالد في موضوع العلاج الثاني وجهه لأستاذه « مريانس » ، وذلك في « الفصل الثاني : في الاستشهاد من أقوال الحكماء على القسم الثاني من الفصل الثاني » . وأورد معه جواب « مريانس » عليه ^(٢) . وهو آخر ما أورده هذا المؤلف من مقتبسات في الكيمياء لهماذين الرجلين .

والأسئلة والأجوبة المذكورة تشير الى وجود مراسلات وصلة بين خالد و « مريانس » وتشير الى أن خالداً كان يرجع اليه في هذا الموضوع ، وأنه كان في جملة من تعلم منهم علم هذه الصنعة . ونجد في كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان إشارة اليه في ترجمته لخالد بن يزيد . فقد ذكر المؤلف أن خالداً « أخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس الراهب الرومي ، وله فيها ثلاث رسائل . تضمنت إحداهن ما جرى له مع « مريانس المذكور » وصورة تعلمه منه ، والرموز التي أشار إليها » ^(٣) . فيظهر من إشارة ابن خلكان الى هذا الرجل أنه كان من رجال الدين ، وأنه كان راهباً ، وأنه كان من الروم . وقد أشار كاتب جلي الى وقوفه على رسالة في الصنعة والكيمياء ، قال إنها رسالة عظيمة في هذا الشأن ، ودعاها « مقالة مريانس الراهب » في الكيمياء . ولم يتحدث بشيء عن مضامينها . وذكر بعدها أنه كان لخالد بن يزيد مقالة مماثلة في الكيمياء ^(٤) .

(١) المصدر نفسه (ص ٢٨ وما بعدها) .

(٢) المصدر للكتيب (ص ٤٨ وما بعدها) .

(٣) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٤٩/٥ وما بعدها ، طبعة ميس البابي الحلبي .

(٤) كشف الظنون (١/٥٣) .

وذكر في بعض الكتب رجل آخر قيل إن خالداً أخذ منه العلم . وذلك هو يحيى النحوي المعروف بالطريق ، وكان من الدارسين للفلسفة والطب ومن المؤلفين . وقد ذكرت أن خالداً أخذ الطب منه ^(١) .

ويحيى النحوي المعروف بـ « Joannes Grammaticus » عند الغربيين وبـ « Joannes Philoponus » كذلك هو من رجال القرن السادس للميلاد ^(٢) . وقد ألف وكتب باليونانية ، ونقل بعض مؤلفاته إلى العربية . وقد ذكر ابن النديم في الفهرست وسمى مؤلفاته . وقد توفي خالد بن يزيد سنة ٨٥ للهجرة (٧٠٤ م) ، فلا يمكن أن يكون ممن أخذ العلم عن « يحيى النحوي » ومن اتصل به . ولا يمكن أن يكون « يحيى » من أدرك الفتح الإسلامي لمصر ، وبلغ أيام عمرو بن العاص . كما ذهبت إلى ذلك بعض الموارد العربية ^(٣) . وقد أخطأت هذه الموارد في تعيين الشخص ، ولم تصب في اختيار الرجل الصحيح ، وذهب الأب لويس شيخو إلى أن هذا الرجل المقدمود هو « يوحنا النحوي أو النحوي » أسقف « نحو » ، وهو صاحب كتاب في التأريخ ألفه في اليونانية ، ضاع أصله ، وبقيت ترجمته بالحبشية . وقد تعرض فيه لوصف فتح العرب لمصر ، وقد كان بمصر أيام عبدالعزیز ابن مروان ^(٤) . وأن الأمر بالنسبة للمؤلفين العرب . فظنوا أن « يحيى النحوي » هو « يحيى النحوي » المؤلف المشهور ^(٥) . ويحتمل في نظري أن يكون هو الشخص الذي

(١) كتاب تنبيه مروان الحسكة ، لاهور ١٣٠١ هـ (١٩١٤ م) ، تأريخ حكماء الاسلام ، لعلمه نديم الهمداني (تحقيق محمد كرد علي) (ص ٤٠) .

(٢) لويس شيخو اليسوعي : كتاب المخطوطات العربية لسكنية النصرانية ، بيروت ١٩٢١ (ص ١٣) الشرق : المجلد السادس عشر (١٩١٣) (ص ٤٧ وما بعدها) .

(٣) الفهرست (ص ٢٥٤) طبعه أوربة ، ص ٣٥٦ ، طبعة مصر ، الشرق : المجلد السادس عشر (١٩١٣) (ص ٤٧ وما بعدها) ، ابن الفظلي (ص ٣٠١) ، تأريخ ابن العدي (ص ١٢٥) .

(٤) الشرق : المجلد ١٦ (١٩١٣) (ص ٥٢ وما بعدها) .

(٥) المصدر المذكور .

أشار إليه « البيهقي » ، ويحتمل أن يكون غيره ، كأن يكون شخصاً آخر اشتهر في ذلك العهد باسم « يحيى » أي « يوحنا » ، وقد عرف ببصوته في الطب والكيمياء . وظن الأخباريون خطأ أنه « يحيى النحوي » ، وقد وقع أهل الأخبار في كثير من أمثال هذه الأغلاط من جرّاء التشابه في الأسماء .

وإذا استثنينا الأشعار والمقتبسات التي ذكرتها ، المنسوبة إلى « خالد » ، وبعض الرسائل المشورة باللاتينية ، فإنا لا نملك حتى الآن أثراً مطبوعاً في أي علم من العلوم الثلاثة : الكيمياء والطب والنجوم التي اشتهر وعرف بها . كذلك لا نملك اليوم ترجمة ما لكتاب من الكتب التي ذكر العلماء أن المترجمين كانوا قد ترجموها له تلبيةً لطلبه . ولو حصل العلماء على أحدها لكانت من أقدم الكتب المعربة في العلوم عند العرب ولا شك . إن اشتغال خالد بطلب الكيمياء لم يقابل بالرضا في المجتمع في ذلك العهد . فلم يكن من المناسب في نظره اشتغال العربي الشريف بأمثال هذه الصنعة التي لا تليق إلا بالهجناء والعامة والموالي . ولذلك عثر بأشغاله بها وعيب عليها كالذي ذكره من أن محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص اختص يوماً مع خالد ، وذلك بسبب قول خالد له : « ما يقدم علينا أحد من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة » . فظن محمد أنه يعرض به ، فقال له : « وما يمنعهم من ذلك وقد قدم قوم من أهل المدينة على النواضح ، فشكحوا أمك وسلبوك ملكك ، وفرغوك لطلب الحديث وقراءة الكتب وعمل الكيمياء الذي لا تقدر عليه ^(١) » . وكالذي ذكره « الأصماني » مؤلف الأغاني عنه قوله : « وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء ، فأفنى بذلك عمره ، وأسقط نفسه ^(٢) » .

(١) الأغاني (١٦٦ / ٥٦)

(٢) المصدر نفسه (ص ٥٤)

وقد شك ابن خلدون في اشتغال خالد بن يزيد بالكيمياء ، وخطأ من يزعم أن خالد بن يزيد كان من رجال الكيمياء ، بل ذهب إلى القول بوجود خالد آخر غيره ، ليوفق بين رأيه هذا في نفي الصناعة عن خالد ، والأخبار المتواترة عن اشتغاله في الكيمياء ، وحجة ابن خلدون في النفي أن « خالداً من الجيل العربي والبدعوة إليه أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة . فكيف بصناعة غريبة المنحى ، مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمرجتها . وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيين والطلّاء ، لم تظهر بعد ولم تترجم . اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد (؟) آخر من أهل المدارك الصناعية تشبه باسمه ، فممكن ^(١) » .

وحجة ابن خلدون هذه ، لا تقوم على دليل تأريخي مقبول مقنع في نفي الكيمياء والعلوم الأخرى عن خالد ، وقد قامت ورسخت لدى ابن خلدون من نظريته التي هيمنت عليه ، من أن العرب كانوا قوماً أعراباً ، والأعرابي - حسب رأيه - بدائي بطبعه يكره العلم والصناعة . ولهذا لم يقل إليها عند ظهور دولة المسلمين إلا الأناجيم والموالي . أما العرب اغلص - حسب رأيه أيضاً - فقد انصرفوا بحكم طبيعتهم وغيريتهم إلى الملك والسلطان . وهي نظرية لا مجال لمناقشتها في هذا المكان : لا تقوم بالطبع إلا على رأي لم ينبعث عن تتبع وتحليل للتأريخ ، وإنما عن ملاحظات عامة سورت لهؤلاء تلك الصورة ، فحاول تفسير تأريخ العرب بموجبها ، وبحسب هذا الرأي .

وبعد ، فقد رأينا أن من الصعب التثبت من مقدار احاطة خالد بالكيمياء ومن هذا المنسوب إليه شعراً أو نثراً في هذه الصناعة ^(٢) . ولكن شيئاً منها جداً يمكن استخراجُه من هذا المروي عنه ، وهو مهم بالنسبة لهذا اليوم ، هو اشتغال خالد نفسه بصورة عملية

(١) انظر مقدمة ابن خلدون : ٤٤٤ ، طبعة بولاق .

(٢) راجع : كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي ، تحرير الدكتور عبد الحليم النجسار ،

(٢٦٢/١ وما بعدها) .

في صناعة الكيمياء وإجراء تجارب فيها ، وتجهيزه الأدوات والمواد اللازمة للاشتغال ، على أمل تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة . وهذا العمل هو عمل مخبري ، تجري فيه تجارب للتوصل إلى الغاية التي وضعها صاحب هذه التجارب في ذهنه عنها ، وهو عمل يستحق عليه كل تقدير . ونحن نأسف ، لأننا لا نملك شيئاً مدوناً يروي لنا بصورة تفصيلية أعمال خالد في الصناعة وكيفية اشتغاله للتوصل على رأيه إلى صناعة إكسير الذهب ، وهو غاية خالد من كل هذه الصناعة

نعم شيء آخر نستخلصه من ذلك ، هو أن أميراً عربياً كان قد أمر بترجمة الكتب في العلوم وبنقلها من اليونانية إلى العربية قبل بدء الترجمة في عهد دولة بني العباس بأمد طويل . وأن حركة التعريب والترجمة كانت قد بدأت في الواقع قبل أيام الدولة العباسية ، ولكن الأيام لم تبق من المعربات شيئاً ، كما أنها قضت على أكثر معالم التأريخ في عهد الأمويين ، وقد يكون ذلك بسبب سبب سياسي . ومن هنا صار جهلنا بأكثر نواحي تأريخ تلك الأيام . أما الرجل الثاني الذي يرد اسمه مقروناً بالكيمياء وعلوم أخرى عديدة أكثرها في الكشف عن الأسرار والمفاتيح ، فهو جعفر الصادق الإمام السادس عند أكثر فرق الشيعة المتوفى سنة « ١٠٨ » للهجرة . وهو ابن الإمام محمد الباقر المنسوب إليه كتاب في تفسير القرآن ، ذكر ابن النديم أنه رواية أبي الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية^(١) .

وأسم الإمام الصادق من أشهر الأئمة الاثني عشر وروداً في الكتب وفي الحركة العلمية في الإسلام . ورواية الحديث والفقه عند الشيعة إليه ترجع في الغالب وعنده

(١) فهرست (ص ٥٠) ، تسمية الكتب المصنفة في تفسير القرآن ، المعارف (١١٠) ، تأريخ كزهد (٢٠٥) ، روضة الأئمة (١١٠) ، سفينة الأولياء (٢٥) ، تأريخ الأدب العربي لبروكمان (٢٠٩/١) .

تقف . وله عدد كبير من الرواة ، تتلمذوا عليه . وأخذوا العلم منه ، ولهم في الجدل والكلام شهرة ، ولهم بحوث ومؤلفات في علوم أخرى . منهم جابر بن حيان الذي ذكر ابن خلكان أنه كان من تلامذة جعفر الصادق ، وأب له كتاباً يشتمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق ، وهي خمس مئة رسالة ^(١) .

وقد رجع أكثر المشتغلين (في صناعة الكيمياء والسيمايا والجفر والقال والجفر وعلم الرمل وعلم الاختلاج ^(٢)) وأمثالها من الصناعات القائمة على نظرية هتك الحجب والأستار وكشف المغيبات) علمهم بالصناعات المذكورة إلى الإمام الصادق . فتجدهم يشيرون في رسائلهم إليه ، وينسبون وقوفه على تلك الأسرار . ونحن لا نكاد نجد في ذلك شخصاً بنفس اسم أو اسماء .

وقد وصلت إلينا أسماء رسائل وكتب منسوبة إلى جعفر الصادق لم يثر اليها ابن النديم ولا غيره من قدماء أهل التأريخ والأخبار . ومن بينها كتاب نشره المستشرق « رسكا » Julius Ruska ، بعنوان « كتاب رسالة جعفر الصادق في علم الصناعة والحجر المكرم » ، نشره بطريقة « الحفر » مشفوعاً بترجمته بالألمانية ^(٣) . وقد افتحه بعد البسملة بقوله : « رسالة الوصايا والفصول لسيدنا الإمام جعفر الصادق لولده رضي الله عنه » ، مما يدل على أن عنوان الكتاب الأصلي هو هذا العنوان .

(١) وفيات الأعيان (١٧٦/٢) وما بعدها ، طبعة مجي البابي .

(٢) علم الاختلاج : وهو من فروع علم الفراسة . قال المولى أبو الحبر : هو علم باحث عن كيفية دلاء اختلاج أعضاء الإنسان من الرأس إلى القدم على الأحوال التي ستقع عليه وأحواله ونفسه والفرص مناسه طاهر كشف القشون (١٩٣/١) ، اختلاج الأعضاء ، تاريخ الأدب العربي (٢٦٠/١) ،

Diels. Zur lit. des Gliederzuckens, 1908. S. 58. ff.

Julius Ruska, Arabische alchemisten, (a) Far alsadiq der sechste Insani, (٢)

H, Heidelberg 1924

البحث العلمي عند العرب المسلمين

لكن لغة الكتاب وأسلوب إنشائه وطريقة عرضه تدل على أنه من الكتب المتأخرة، وأن صاحبه ممن عاشوا بعد الصادق بأمد طويل. وفي الكتاب نفسه دليل على تأنيده نسبته إلى الصادق، إذ ورد في الصفحة (١٦) من المخطوطة اسم ذي النون المصري، ونص ذلك: «وقد كان ذو النون رحمه الله وقف على هذا التدبير وعمله، لا شك في ذلك. وكان زاهداً عابداً. وكان له تلامذة كثيرة وأتباع من الزهاد والعباد غير قليل. وكان يقويت بأقواتهم ويجزي عليهم مما أفاء الله عليه من هذا العلم»^(١). وكانت وفاة ذي النون في سنة ٢٤٩ للهجرة (٨٦٤ م)، أي بعد وفاة الإمام جعفر الصادق بحوالي قرن^(٢).

وذكر الخواجه خليفة في كشف الظنون كتاباً له: هي كتاب تقسيم الرؤيا^(٣)، والجامعة في الجفر^(٤)، وكتاب في علم الحروف والأسماء دعاه خافية جعفر الصادق^(٥)، وآخر في التفسير على طريقة أهل التصوف، استفاد منه بعض المفسرين مثل أبي العباس بن عطاء الذي قيل أنه أخذ عن جعفر^(٦)، ورسائل لم يذكر عنها شيئاً دعاه رسائل جعفر الصادق^(٧).

وقد ذكر بروكلمان كتاباً أخرى منسوبة إليه، مثل كتاب مصباح الشريعة ومفتاح

(١) الصفحة (١٦ وما بعدها).

(٢) الفهرست (٥٠٣ وما بعدها)، تاريخ ابن خلدون (٢٧١/٥ وما بعدها).

Brockelmann, I, 198, Suppl., I, S. 553.

(٣) كشف الظنون (٢٩١/٢).

(٤) المصدر نفسه (٥٨١/٢)، وكتاب الجفر الاسم جعفر الصادق، كشف الظنون (٧٠/٥).

(٥) خافية في علم الحروف... وعلام جعفر الصادق بن عبد الله المرثي سنة ١١٨. ذكر البساطي أنه جعل فيه الباب التكبير، كشف الظنون (٥٢/٢، ١٢٨).

(٦) كذلك (٧٩/٢)، (١١١/٦).

(٧) كشف الظنون (٢٠٩/٢).

التحقيق ، وكتاب التفسير رواية ذي النون المصري ، ورواية محمد بن إبراهيم بن جعفر النعمان القزويني سنة (٢٢٨ هـ) من تلامذة السكيني ، وكتاب هياكل النور وتوجد نسخة منه في المكتبة الأهلية ببغداد ، وكتاب منافع سور القرآن وتوجد نسخة منه في « كوتا » وأخرى في « الغاتيكان » ، وكتاب بحر الأنساب (١) .

وذكر ابن النديم رسالة دعاها كتاب الهداية ، قال أن بعض الناس ينسبونها إلى الإمام الصادق ، وهذا محال . وهي رسالة لا يعرف مؤلفها (٢) . وهناك رسائل وكتب أخرى تنسب إليه ، وهي لا يمكن أن تكون منه .

والحديث عن سيرة جعفر الصادق ، وعن أسمائه تلامذته ، ومن أخذ منه ، وعن المؤلفات والأحاديث المنسوبة إليه ، يخرجنا عن صلب موضوعنا هذا ، وهو البحث العلمي عند العرب ، ونحن لا نستطيع أن نتحدث عنه هنا إلا بالمقدار الذي يتسع له حبود هذا الموضوع . ولهذا أجتري بهذا القدر ، وقد أبحث فيه في فرصة أخرى .

ولا بد لي هنا من أن أشير إلى إمام آخر من أئمة الشيعة الاثني عشر ، قيل إن له مؤلفاً في العلوم ، هو الإمام علي بن موسى الرضا ، معاصر الخليفة المأمون ، والمتوفى بخراسان من إيران المعروفة الآن باسم مشهد . فقد نسب له مؤلف في الطب أسمه الرسالة الذهبية في الطب ، ومنه نسخة في خزانة كتب الأحمديّة بتونس كما جاء ذلك في مجلة معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية (٣) .

وأما جابر بن حيسان ، فانه أبو موسى أو أبو عبد الله كما في بعض المراجع جابر بن

(١) Brockelmann, Supp., I, P. 104, تاريخ الأدب العربي (١/٢٦٠) .

(٢) لم يرد (الصفحة ١١١) ، وكتاب الهداية ، تاريخ الأدب العربي (١/٢٦٠) .

بحر الأنوار (٢/١٢) .

(٣) م. ٥/١ ج ١/٢٦٦ .

حيان بن عبد الله المعروف بالكوفي وبالصوفي . وهو من الشخصيات الغريبة التي تحدث الناس عنها كثيراً . وقد تحدث عنه ابن النديم فقال : « واختلف الناس في أمره ، فقالت الشيعة إنه من كبارهم وأحد الأيواب ، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق ، رضي الله عنه ، وكان من أهل الكوفة . وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم وأنه في المنطق والفلسفة مصنفات ، وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره وأن أمره كان مكتوماً ، وزعموا أنه كان يتنقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفاً من السلطان على نفسه . وقيل إنه كان في جملة البرامكة ومنقطعاً إليها ومتحققاً بجعفر ابن يحيى ، فمن زعم هذا قال إنه عني بسيد جعفر هو البرمكي ، وقالت الشيعة إنما عني جعفر الصادق ، وحدثني بعض الثقات ممن تعاطى الصنعة أنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب ، وقال لي هذا الرجل : إن جابراً كان أكثر مقامه بالكوفة ، وبها كان يدبر الإكسير لئلا يهواها . ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هاون ذهب فيه نحو مئتي رطل ، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب ذلك فيه كان دار جابر بن حيان ، فانه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط . وموضع قد بُني للجل والعقد . هذا في أيام عز الدولة بن معز الدولة . وقال لي أبو اسبكتكين دستاردار : انه هو الذي خرج ليتسلم ذلك ، وقال جماعة من أهل العلم وأكابر الورافين : إن هذا الرجل ، يعني جابراً ، لا أصل له ولا حقيقة .

وبعضهم قال إنه ما صنف وإن كان له حقيقة إلا كتاب الرحمة ، وإن هذه المصنفات صنفها الناس ونحلوه إياها ، وأنا أقول إن رجلاً فاضلاً يجلس ويتعب فيصنف كتاباً يحتوي على ألفي ورقة ، يتعب فريحته وفكره بإخراجه ، ويتعب يده وجسمه بنسخه ، ثم ينحله لغيره ، إما موجوداً وإما معدوماً ، ضرب من الجهل . وإن ذلك لا يستمر على أحد ، ولا يدخل تحته من تحلى ساعة واحدة بالعلم . وأي فائدة في هذا ، وأي فائدة ؟ والرجل له

حقيقة ، وأمره أظهر وأشهر ، وتصنيفاته أعظم وأكثر ، ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة ، أنا أوردتها في مواضعها ، وكتب في معاني شتى من العلوم ، وقد ذكرتها في مواضعها من الكتاب . وقد قيل إن أصله من خراسان . والرازي يقول في كتبه المؤلفة في الصنعة : قال أستاذنا أبو موسى جابر بن حيان ^(١) .

وقد اختلف أهل الأخبار في نسبته : فنسبه بعضهم إلى الأزدي ، ونسبه بعضهم إلى طوس ، فقال عنه الطوسي ، وجعله بعضهم من طرسوس ، فقال الطرسوسي ، وجعله أحدهم من حران فقال عنه الحراني ، وجعل أصله من الصابئة ، وذكر أنه كان صابئياً ثم أسلم ، وتزهد وتصف . كما نسبته بعضهم إلى الكوفة . فقال عنه جابر بن حيان الكوفي ^(٢) . ولم يشتر أحد إلى سنة ولادته . أما سنة وفاته ، فهو موضع شك . وقد ذكر في بعض الروايات أنها كانت سنة مئتين للهجرة في بعض المآرد ^(٣) . وذكر في رواية أخرى أنها كانت قبلها ، وأنها كانت سنة ١٦٠ هـ ^(٤) . وذكر أنه أخذ العلم عن خالد بن يزيد وعن جعفر الصادق ^(٥) .

وذكر ابن النديم نقلاً عن بعض النقات ممن تعاطى الصنعة أن جابراً كان أكثر مقامه

(١) التمهيد (ص ٢٩٩ وما بعدها) .

(٢) جابر بن حيان الطرسوسي ، الطرسوسي سنة ١٦٠ هـ ، كشف الظنون .

(٣) (٣٤/٤) ، كتاب الذرات الذهبية في تراجم لأئمة الأئمة عشر عند الإمامية ، تأليف شمس الدين محمد بن

عزولون ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، (مطبع دار صادر) بيروت ١٩٥٥ (الطبعة ٤٤) .

Ency. Of Islam. I, P. 987.

(٤) الأعلام (٩١/٤) .

(٥) كشف الظنون (٣٤/٤ ، ٣٥ ، ٣٦) ، ومواضع أخرى .

(٦) جابر بن حيان الصوفي من تلامذة خالد ، كشف الظنون (٢٤٠/٤) .

Ency. Of Islam, I, P. 987

بالكوفة ، وأنه كان ينزل في شارع باب الشام في درب يعرف بدرب الذهب ، « وبها كان يدبر الأكسير لصحة هائما ، ولما أصيب بالكوفة الأزج الذي وجد فيه هلوذا ذهب فيه نحو مئتي رطل ، ذكر هذا الرجل أن الموضع الذي أصيب فيه ذلك كان دار جابر بن حيسان ، فإنه لم يصب في ذلك الأزج غير الهاون فقط ، وموضع قد بنى للخل والعقد ، هذا في أيام عز الدولة بن معز الدولة . وقال في أبو إسبكتكين دستاردار : أنه هو الذي خرج ليتسلم ذلك » (١) .

ومعارفنا عن جابر جند قليلة ومشوشة . وليس هذا شأننا وحدها في القرن العشرين ، بل هو كذلك شأن من تقدم علينا بمئات من السنين . وقد أوردت لك نص ما كتبه ابن التديم عنه ، وما ذكره من شك بعض المعاصرين لابن التديم ، وبعض المتقدمين عليه في وجود جابر ، وفي صحة نسبة تلك الرسائل والكتب إليه ما ذكره منها وما لم يذكره ، وكيف أنه خالفهم في ذلك وسفه رأيهم في انكار وجود ذلك الرجل . وإذا كان هذا حال الناس في أمر جابر في ذلك العهد ، فكيف يكون حالنا ونحن اليوم في القرن العشرين ؟ أما التقاء جابر بخالد بن يزيد ، فذلك أمر لا يمكن وقوعه ، فقد كان جابر من المنقطعين للبرامكة ومن المتصلين بهم ولا سيما جعفر بن يحيى البرمكي . وقد ألف جملة مؤلفات لهم ، رسمها باسمهم ، وقد توفي خالد بن يزيد حوالي سنة أربع وثمانين للهجرة في أكثر الروايات . وفي سنة تسعين للهجرة في أبعد الروايات (٢) . وقد اشتهر أمر البرامكة في أيام الرشيد ، فلو فرضنا أن عمر جابر كان قد بلغ المئة عام ، وأنه أدرك أيام خالد بن يزيد بالفعل ، فيجب أن يكون طفلاً عند ذلك ، ولا يعقل لطفل أخذ العلم عن خالد وهو في هذا العمر .

وأما اتصاله بجعفر الصادق وأخذ العلم منه ، ففي الكتب المنسوبة إلى جابر اشارات

(١) الفهرست (ص ١٩٩) .

(٢) الأعلام (٣٤٦/٢) .

عديدة إلى ذلك . وقد ذكر ذلك أيضاً كثير من المؤرخين من الشيعة ومن غيرهم . وعند المشتغلون بالصناعة وهوارة السبعياء والثلثينات والعلوم التفسيرية جابر الطائفة الموصلة بين رجال هذه العلوم وجعفر الصادق الذي يعدّ المراجع الأكبر والأهم فيها . فإذا ذكرناه قائلوا عن جابر عن جعفر الصادق أو جابر تلميذ جعفر الصادق . وهو في هذه الشهرة أشهر تلميذ من التلاميذ المنسوبين إلى الإمام (١)

ومن أمثلة الإشارات إلى جعفر الصادق الواردة في الكتب التفسيرية إلى جابر ، والتي تؤكد معاصرته له ولرجلين آخرين أخذ جابر العلم عنهما ، هذه العبارات في « كتاب أسطقس الأس الثالت » ، وهي « ... ولكن لو كان يتفق له أن يكون في زمان مثل زماننا ، فيخرج له من الفضلاء مثل من خرج في زماننا نحن مثل سيدي جعفر بن محمد ومثل معني حربي وأذن الحمار المنطقي ... » (٢) . وهذه العبارة في : « كتاب الرحمة الصغير » : « قال جابر ابن حيّان : قال لي سيدي جعفر : يا جابر : فقلت : لبيك يا سيدي . فقال : هذه الكتب التي صنعتها جميعها وذكرت فيها الدفعة وفصولها فصولاً وذكرت فيها من المذاهب وآراء الناس ، وذكرت الأبواب وخصصت لكل كتاب منها بعمل ... » (٣) . والعبارة الواردة في : « كتاب المقابلة والمثالة » ، وهي : « اني لما صنعت كتابنا المقابلة التي يكفي به (٤) وفسرت فيه الكتابين وذكر الآخرة والأخبار (٥) الأربعة الذين ذكرتهم فيه ،

(١) « وله « أي جعفر الصادق » كلام في صناعة السكبياء والوجر والقال . وكان لهذه الأمور دور في جابر بن حيان الصوفي بطرسوس . وقد صنعت كتاباً يشمل على ألف ورقة تتضمن رسائل جعفر الصادق . وهي خمس مئة رسالة » ، الشذرات الذهبية (ص ٨٥) .

(٢) مصنفات في علم السكبياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي (باريس ١٩٢٨) (ص ١١) .

(٣) المصدر نفسه (ص ١١٧) .

عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال له (؟) : إقرأه علي ... (١) « ... وغير ذلك من مواضع .

وقد أفادتنا العبارات الواردة في « كتاب اسطقس الأس الثالث » فائدة كبيرة لذكرها اسمي « حربي » و « اذن الحمار المنطقي » في جملة الرجال الذين أخذ جابر العلم منهم . أما حربي فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم . ذكره مرة في المقالة العاشرة المحتوية أسماء الكيمائيين والسنعونييين من القدماء والمحدثين . ذكره بعد خالد بن يزيد واصططن وقيل اسم جابر بن حيران ، وذكره مرة أخرى في تعداد أسماء مؤلفات جابر ، وفي أثناء كلامه على المصححات التي ألفها جابر في تصحيح آراء ومقالات غيره من المتقدمين عليه والمعاصرين له . فذكر أن لجابر تصحيحاً لآراء حربي سماه كتاب مصححات حربي (٢) .

وتفيدنا أسماء بعض المؤلفات التي عزاها ابن النديم لجابر وبعض الأسماء التي وردت في فهرس ابن النديم ولها علاقة بجابر فائدة كبيرة في تعيين الزمن الذي عاش فيه جابر ، وفي تشخيص رسائله وتنبيت حقيقتها . والرسائل التي عزاها ابن النديم إليه وتفيدنا في هذا الباب ، هي : كتاب إلى جمهور الفرنجيين ، وكتاب إلى علي بن يقطين ، وكتاب إلى علي بن اسحاق البرمكي ، وكتاب تلخيص الحجارة إلى منصور بن احمد البرمكي ، وكتاب أغراض الصنعة إلى جعفر بن يحيى البرمكي (٣) .

وأشهر هؤلاء المذكورين وأعرفهم ، هو : جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي ، وزير

(١) A. Siggel, Katalog der Arabischen alchemistischen Handschriften

Deutschlands, Berlin, 1949, S. 15.

وفي المتن العربي القديس أغلاط كثيرة نحوية وصرفية وإملائية لا يمكن وقوعها من رجل معروف مثل جابر . ولا من أي مؤلف آخر عاش في ذلك العهد . وهي من أغلاط النسخ ولا شك .

(٢) الفهرست (ص ٤٠٢) .

(٣) الفهرست (ص ٤٠١) .

جواد علي

الرشيد الشهير ، والمقتول بأمره سنة ١٨٧ للهجرة ^(١) . وقد كان جابر من المتصلين به والمنقطعين اليه ، كما ذكر ذلك ابن النديم ، قال : « كان في جملة البرامكة ومنقطعاً اليها ، ومتحققاً بجعفر بن يحيى ، فمن زعم هذا قال إنه عنى بسيد جعفر هو البرمكي . وقالت الشيعة إنما عنى جعفر الصادق ^(٢) » .

وكان يحيى بن خالد البرمكي « ١٩٠ هـ » ، والد جعفر نفسه من المشتغلين بالعلوم ، كما كان من الأدباء أصحاب الأسلوب . وقد ذكره ابن النديم في جماعة الفلاسفة الذين تكلموا في الصنعة ، وجعله في جملة المؤلفين ، ولكن لم يورد له مؤلفاً . وقد أمر بتعريب عدد من المؤلفات المدونة بالهندية واليونانية والفارسية . وذكر ابن النديم بينها كتاب المجسطي ، فقال : « وأول من عنى بتفسيره وإخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ، ففسره له جماعة ، فلم يتقنه ، ولم يرض بذلك ، فندب لتفسيره أبا حسان وسلاماً صاحب بيت الحكمة ، فأتقناه واجتهدنا في تصحيحه بعد أن أحضرا النقلة المجردة ^(٣) » . وذكر ابن النديم كتاباً في المعطر قال إنه ألف ليحيى بن خالد ^(٤) .

وأما علي بن يقطين ، فكان من رجال الشيعة المنقطعين الى الامام جعفر الصادق ، ومن المؤلفين والمتولين لبعض الوظائف في عهد المنصور والمهدي . وكان ممن يوالون جعفر الصادق ويؤيدونه ويحماون اليه الأموال ، وهذا ما عرضه الى غضب الدولة والى الشك في اخلاصه للعباسيين . وقد ولد سنة « ١٢٤ هـ » وتوفي سنة (١٨٢ هـ) . وكان والده

(١) الطبري (حوادث السنة ١٨٧) ، ابن خلكان (١٠٥/١) ، البداية والنهاية

(١٠٠/١٨٩ ، ١٩١) .

(٢) الفهرست (ص ١٩٩) .

(٣) الفهرست (ص ١٩٧) .

(٤) الفهرست (ص ٢٧٤) .

(٥) ص ١٤١ .

« يقطين » من وجود الدعاة ضد الأمويين . وقد طلبه مروان فهرب ، ولم يظهر إلا عند ظهور دولة بني العباس ، فتوغل في دولتهم ، واسكنه كان كائنه يرى الإمامة في آل أبي طالب ، ويعتقد برأيهم ، وقد توفي سنة (١٨٥ هـ) أي بعد وفاة ولده علي . وقد نسب ابن النديم لعلي بن يقطين كتابين : أحدهما كتاب ما سأل عنه الصادق من أمور الملاحم ، والآخر كتاب مناظرته للشياخ بحضرة جعفر ^(١) .

وأود ، والسكلام على صلة جابر بالبرامكة ، أن أشير إلى شطحة بسيطة فيما أرى ، نكتت من السيد اسماعيل مظهر في أثناء كلامه على جابر قد تورد من يقرأ مقاله في الخطب ، فأحببت تصحيحها ، وهي قوله : « وكان صديقاً للبرامكة وزراء هارون الرشيد ، وأنه عاش رديحاً من الزمان في بلاط بغداد ^(٢) » ، وقوله : « وأنه اضطر إلى الإفشاء ببعض أسرار الصناعات (أي الكيمياء) إلى هارون الرشيد ... » ، وقوله : « وكل ما يحسن في هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم أنه توفي سنة ١٦٠ هـ ^(٣) . وحجبي خليفة أنه توفي سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ - ٧٧٧ م) ، ولكن إذا صححت رواية الجلابكي ، فلا بد من أن يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ^(٤) » .

وفي تفسير السيد اسماعيل مظهر : « وأنه عاش رديحاً من الزمان في بلاط هارون الرشيد » وهم يفهم القاري منه أن جابر بن حيان كان نازلاً في قصر هارون الرشيد وفي بلاطه ، وأنه كان على صلة وثيقة به ، وأنه أعطاه سر الصنعة . وهو كلام لم يقله أحد ، ولم يروه راور من المتقدمين . ثم إن كون جابر من المتعلقين بالبرامكة المراجعين لهم والمنقطعين اليهم ، لا يحتم كونه من المراجعين لهارون الرشيد والمنقطعين إليه ، فقد كان بعض الناس

(١) القهرست (ص ٣١١) .

(٢) تاريخ الفكر العربي ، (القاهرة ١٩٢٨) . (ص ٧٢) .

(٣) المصدر نفسه ، (ص ٧٤) .

(٤) كذلك ، (ص ٧١) . وفي النص : الجلابكي . والصحيح الجلابكي

من المراجعين لهم ، ولستهم لم يكونوا من المنقطعين الى الخليفة . ثم إنه رجل عالم ، وقد كان العلماء يضطرون الى الاتصال بأصحاب الجاه والنفوذ للحصول على مساعدتهم ومؤازرتهم ويؤلفون لهم ويذكرونهم في كتبهم رجاء مؤازرتهم ومساعدتهم في هذه الحياة . وذلك لا يعني أنه عايش في عصر ذلك العظيم ، وأنه قضى ربحاً من الزمن فيه ، وأنه عايشه عليه ، وأفضى اليه بسر الصناعة إن كان لصناعة سر .

ويظهر مما ذكره ابن النديم عن جابر من أن أكثر مقام جابر كان بالكوفة ومن نعمت بعض من ترجمه له بالكوفي أن جابراً كان قد أقام أمداً في الكوفة ، وأنه اشتغل بها في الكيمياء ومارس حرفته بها ، خاصة وأن ابن النديم قد نص على اسم المكان الذي اشتغل فيه جابر بالصناعة وأجرى تجاربه فيه بأجهزته ومعادنه لتحويل تلك المعادن الى الإكسير . أما اختفاؤه وتنقله في البلدان خوفاً من السلطان على نفسه ، كما ذكر ذلك ابن النديم ، فنحن لا ندري سبب ذلك ، ولم يشرح من كتب عنه من القدماء ذلك أيضاً ، ولم يشيروا الى اسم السلطان الذي كان يتعقبه وكان جابر يخشى منه ، هل هو المنصور أو المهدي أو الهادي أو الرشيد ؟ ولم كان ذلك ؟ ألا أنه كان من المياليين الى العلويين الداعين الى امامتهم ؟ أم لأنه كان من المواليين لإبراهيم فغضب عليه الرشيد وأمر بالقبض عليه . أم لأنه كان يدعي الصناعة والوقوف على أسرارها ، وتمسكه من تحويل المعادن الخسيسة الى ذهب ، فهو لذلك خائف من السلطان . وقد كان العلماء وأصحاب الجاه يتعقبون أمثال هؤلاء ، لما لذلك من أثر في السياسة العامة وفي عقول الخاصة والرأي العام .

وقد أشار ابن النديم الى ثلاثة أشخاص ذكر أنهم كانوا من تلامذة جابر بن حيان ، هم : الخرق ، وابن عياض المصري ، والإخيمي . أما الخرق ، فكل ما ذكر عنه ابن النديم أنه ينسب الى سكة الخرق (١) .

وأما ابن عياض المصري ، فلم يذكر ابن النديم من خبره ومن مؤلفاته شيئاً^(١) . وقد أشار إليه في موضع آخر ، في أثناء كلامه على أبي الريحاء أحمد بن محمد بن سليمان ، من الرجال المشتهرين في صناعة الكيمياء كذلك . وقد ذكر له كتاب الإفصاح والإيضاح في برانيات ، وكتاب الجامع برانيات ، وكتاب الملاغم ، وكتاب المعجونات ، وكتاب التخمير . ثم قال : « ويقال إن كتاب الإفصاح والإيضاح لابن عياض المصري تليد جابر »^(٢) .

وأما الأخيمني ، فإنه عثمان بن سريد أبو حري الأخيمني ، من الأخيم بمصر . وقد كان من المعروفين باشتغاله في صناعة الكيمياء ، وكان من المعاصرين لابن وحشية ، وله معه مناظرات ومكاتبات . وقد ذكر ابن النديم هذه الكتب له : كتاب الكبريت الأحمر ، وكتاب الإبانة ، وكتاب التصحيحات ، وكتاب صرف التوهم عن ذي النون المصري ، وكتاب آلات القدماء ، وكتاب الحل والعقد ، وكتاب التدبير ، وكتاب التصعيد والتقطير ، وكتاب الجحيم الأعظم ، وكتاب مناظرات العلماء ومفاوضاتهم^(٣) .

وهناك رجل آخر لم يشر إليه ابن النديم في جملة من أخذ العلم عن جابر ، هو : يحيى بن أحمد بكر البرمكي . وقد ذكره بروكيان استناداً إلى ما جاء في مقدمة كتابه المسمى : « سراج الظلة والرحمة في معرفة جوهر وروح وموازين وتدابير »^(٤) .

وقد نشر المستشرق « ألفريد سيكل Alfred Siggel » كتاباً من الكتب المنسوبة إلى جابر حيان ، عنوانه « كتاب السموم ودفع مضارها » ، نشر نصه العربي بطريقة

(١) الفهرست (ص ٥٠٠) .

(٢) المصدر نفسه (ص ٥٠٦) .

(٣) الفهرست (ص ٥٠٥) .

(٤) Brockelmann, Suppl., II, S. 249 .

التصوير مشفوعة بترجمة ألمانية ، ومقدمة مختصرة صغيرة في جابر بن حيان وفي النسخ العربية التي استفاد منها في ترجمته هذه ومظاهرها وأما كن وجودها ^(١) .

وهذا الكتاب في السموم وخواصها وأصنافها وكيفية استخراجها . وقد أخذ مؤلفه علمه بها من علم العلماء اليونان المتقدمين ، أمثال « هيبوقراط Hippokrates » و « جالينوس » « Galen » و « اندروماخوس Andromachos » وبعض الفلاسفة أمثال أرسطو وأفلاطون ، ومن موارد فارسية ، بدليل ورود أسماء عقاقير عرفت عند الفرس ونباتات فارسية . والغريب أنه أهمل اسم « ديسكوريدس Dioskurides » مع أنه من أشهر علماء اليونان في الصيدلة وتركيب الأدوية والسموم ، وهو نفسه صاحب مؤلف في السموم ^(٢) .

وقد ذكر المؤلف بعض الأدوية وقال إنه أشار إليها في مؤلفين له ، هما : كتاب الطب الكبير ، وكتاب في الأدوية المفردة ^(٣) .

ولم ينص ابن النديم الذي ذكر أسماء أكثر كتب جابر بن حيان على هذين الكتابين بالاسم ، ولكنه ذكر أنه ألف كتاباً عظيماً في الطب . وألف كتاباً صغيراً وكباراً نحواً من خمس مئة كتاب في هذا الموضوع كذلك ^(٤) . وقد سبق للمؤلف نفسه أن دعا كتابه في الصفحات الأولى المتقدمة بـ « الكتاب الكبير في الطب » ^(٥) ، وهو يقصد ذلك الكتاب ولا شك .

وذكر مؤلف السموم اسم مؤلف آخر له سماه « كتاب المزاج » وأشار إلى أن له

(١) راجع عنه ، المجلد الخامس من الجزء الثاني من مجلة معهد المخطوطات العربية بجمهورية العراق العربية

(الصفحة ٢٤٦) ، Brockelmann, Suppl., I, S. 225

(٢) Siggel, S. 5.

(٣) راجع (س ١٩٢ ب) .

(٤) الفهرست (س ٥٠٣) .

(٥) (س ٩٩) من النص العربي (س ١٧ من الترجمة الألمانية) .

مؤلفات عديدة أخرى ^(١) . ثم ذكر اسم كتابين آخرين له ، هما : كتاب الفلسفة ، وكتاب الخواص ^(٢) . كما ذكر كتاباً آخر أسماه كتاب الحيوان ^(٣) ، وكتاباً آخر في النبات سماه كتاب النبات ^(٤) ، وذكر أنه ألف كتاباً في الموازين ليرجع إليه الباحثون في تركيب الأدوية ، وقد سماه « كتب الموازين » ^(٥) ، وكتاباً آخر باسم كتاب الضمير ^(٦) .

هذا وقد أشار في متن هذا الكتاب إلى كتب أخرى ذكر أنه ألفها ، منها : كتاب النواميس ، وكتاب الرد على افلاطون ، وكتاب الموازين المشقة والأربعة والأربعين ^(٧) ، وكتاب الحيل الحربية والمساكن ^(٨) ، وكتاب الحشائش وكتاب الحجارة ^(٩) .

ويساعدنا فهرست ابن النديم مساعدة كبيرة في تعيين هذه الكتب ، ففیه جريدة طويلة بأسماء كتب منسوبة إلى جابر بن حيان ، وفي ضمنها أكثر الكتب المذكورة ، مثل : كتاب الخواص ، وكتاب الحيوان ، وكتاب النبات ^(١٠) ، أما الكتاب الذي سماه « كتب الموازين الأربعة والأربعين » ، فلم يرد بهذا الاسم في الفهرست ، لكننا نجد في هذه الجريدة كتابين لهما علاقة به ، هما : كتاب الميزان ، وكتاب الموازين ^(١١) . فقلعتهما

(١) « س ٧ » من النص العربي والصفحات ١٥ و (٤٤) من الترجمة الألمانية .

(٢) « س ٥٣ » من النص العربي و « س ٤٢ » من الترجمة الألمانية .

(٣) « وأوضحنا ذلك في كتاب الحيوان ، س ٤٢ » من النص العربي .

(٤) « الصفحة ٥٢ » من النص العربي .

(٥) الصفحة ٥٨ « س ٥٨ » من النص العربي و ٦٩ من الترجمة الألمانية .

(٦) « الصفحة ١٣٢ » من النص العربي و ١٤٠ من الترجمة الألمانية .

(٧) « س ١٣٤ » من النص العربي ، س ١٤٢ من النص الألماني .

(٨) « س ٣٦ » من النص العربي ، س ١٤٤ من النص الألماني .

(٩) « س ١١٥ و ١١٥ » من النص العربي ، س ١٢٣ من الترجمة الألمانية .

(١٠) الفهرست (س ٥٠) وما بعدها .

(١١) المصدر نفسه .

هذا الكتاب ، أو لعل أحدهما هو الكتاب المذكور .

أما كتاب الحجارة ، فلا نجد له ذكراً بهذا الاسم في « الفهرست » ، لكننا نجد فيه اسمي كتابين ذكرهما ، قد تكون لهما علاقة بهذا الموضع ، هما : كتاب الأحجار ، وكتاب الأحجار الثاني . ثم نجد استطراداً ورد بعد ذلك ، قد تكون له علاقة بهذا الكتاب ، هذا نصه : « ... ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر : أولى ، ثانية ، ثالثة ، رابعة ، خامسة ، سادسة ، سابعة ، ثامنة ، تاسعة ، عاشرة ، ولا أسماء لها . وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات : أولى إلى العاشرة ، وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال ، فذلك سبعون رسالة » (١) .

ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن ما سماه بـ « رسائل في الحجر » ، وهي عشر رسائل ، هو الشيء الذي قال عنه نفسه بعد كلمات ، قال : « وله في الأحجار عشر رسائل على هذا المثال » ، وأن الشيعيين المذكورين هما شيء واحد ، وهو كتاب يتضمن عشر رسائل عن الأحجار ، وأن هذه الرسائل هي قوام كتاب الحجارة المذكور في كتاب السموم .

وأما أسماء كتاب الزواميس وكتاب الرد على أفلاطون وكتاب الحيل الحربية والمكاييد وكتاب الحشائش ، فلم ترد في هذه الجريدة . ولست أستبعد وقوع « ابن النديم » عليها وذكرها لها في هذه الجريدة ، ولكن باسم آخر وبمترادف يختلف عن هذا العنوان الذي ذكره المؤلف في كتابه في السموم . ففي « الفهرست » اسم كتاب دناه « كتاب مصححات فلاطون » ، في جملة كتب نسبتها إلى المؤلف دناها مصححات ، هي : « كتاب مصححات فيثاغورس » ، كتاب مصححات سقراط ، كتاب مصححات فلاطون ، كتاب مصححات

أرسطوطاليس ، كتاب مصححات أرسنجانس ، كتاب مصححات أركاغاليس ، كتاب مصححات أمورس ، كتاب مصححات ديمقراطيس ، كتاب مصححات حربي ، كتاب مصححاتنا نحن ^(١) ، ويقصد بذلك تصحيحات آراء وأفكار هي أوهام وأغلاط في نظر المؤلف . فلهذه قسمة : « كتاب مصححات فلاطون » هذا الكتاب الذي ذكره المؤلف نفسه وسماه « كتاب في الرد على أفلاطون » .

وقد أفادنا مؤلف كتاب السموم فائدة كبيرة بذكر أسماء هذه المؤلفات وبالنصر عليها ، كما أفادنا في تكوين رأي فيه وفي البحار والموضوعات التي اشغل بها وبحث فيها . ويظهر من هذا المذكر أنه كان واسع الاطلاع ، ذا علم بالعلوم ، وأنه على طريقة ذلك العهد وأسلوب الموسوعيين شغّل نفسه وألف في معظم بحوث المعرفة الإنسانية ، وأنه كان نشيطاً جداً كما يظهر ذلك من أسماء هذه الكتب ، ومن أسماء كتب أخرى منسوبة إليه .

ومما يلاحظ على هذا الكتاب أنه خلو من ذكر اسم الإمام جعفر الصادق . وقد جرت عادة المؤلف ذكره في كتب الصنعة والكيمياء ، كما جرت عادة المشتغلين بالصنعة والكيمياء ذكره أيضاً باعتباره من المؤسسين للموضوعين ومن الواقفين على السرّ فيهما ، وأنه أخذ هذا السرّ من آباءه عن علي بن أبي طالب عن الرسول .

ولم يذكر ابن النديم اسم هذا الكتاب الذي أتحدث عنه : « كتاب السموم ودفع مضارها » ، مع أنه ذكر في جريدته المذكورة أسماء أكثر كتب جابر بن حيان . وقد أخذها كما يقول عن فهرست كبير ، زعم أنه له ، أي لجابر بن حيان ، دونت فيه جميع ما ألف في الصنعة وغيرها ، وفهرست آخر صغير يحتوي على ما ألف في الصنعة فقط . ثم لم يكتب — كما يقول ابن النديم — بذلك ، بل ذكر جملاً من كتبه رأساً « وشاهدها

الثقات فذكروها « له ^(١) . كما أورد بعض العبارات التي تدل على نقله من ذلك الفهرست ، كقوله : « قال محمد بن اسحاق ، قال جابر في كتاب فهرسته : ألقت بعد هذه الكتب ثلاثين رسالة لا أسماء لها ، ثم ألقت بعد ذلك أربع مقالات وهي ... » وقوله : « قال أبو موسى : ألقت ثلاث مئة كتاب في الفلفة » ^(٢) .

ولم يشر ابن النديم الى هذا الكتاب كذلك في أثناء كلامه على الكتب المؤلفة في السموم ، مع أنه ذكر كتباً فيها مثل كتاب السمومات لابن البطريق ، وكتاب السمومات لابن دند ، وكتاب السمومات ودفع ضررها للكندي ، وكتاب السمومات ودفع مضارها لقسطا بن لوقا ، وقد ذكر كتاباً دعاه : كتاب السمومات وتركيبها وأصولها ، لكنه لم يذكر اسم مؤلفه ، وكل ما ذكره عنه أنه يقع في نحو خمسين ورقة ^(٣) .

هذا ولا بد لي من التنويه هنا بأهمية الموازنة بين هذا الكتاب والكتب العربية الأخرى الواردة في السموم . ولكتب السموم منزلة كبيرة في البحوث العلمية عند العرب وعند القدماء عمومًا . وقد ألف اليونان والهنود والفرس فيها كتبًا ، نقلت بعضها الى العربية . وقد اهتمت بها رجال السياسة في ذلك العهد عناية خاصة ، وكانوا يستدعون العلماء المشتغلين بالسموم اليهم ، ويطلبون منهم التأليف فيها والبحث في ايجاد سموم جديدة وفي ابطال مفعول السموم ، إذ كان السم في ذلك العهد من أهم الأسلحة القتالية التي تستعمل في القضاء على الخصوم والأعداء ، وفي التخلص من المراقف المخرجة ، كسلاح في أيدي عدو يعلم أنه سيقضى عليه حتمًا ، وسيمثل به شرّ تمثيل ، ويتفنن في تعذيبه قبل أن يلحقه بالعالم الثاني ، تشفيًا منه ، وتنفيذًا للمواظف النشيمة التي تستولي على بعض النفوس .

(١) الفهرست (ص ٥٠٠) .

(٢) الفهرست (ص ٥٠٢) وما بعدها .

(٣) الفهرست (ص ١١٠) .

البحث العلمي عند العرب المسلمين

وهناك آلاف من الضحايا السياسيين ، قضى عليهم بدس السم لهم في طعامهم أو شربائهم من حيث لا يعلمون .

هذا وقد نشر أحد المستشرقين ، وهو « أرگت يحيى هولميارد Frig John Holmyard » في سنة ١٩٢٨ م مجموعة من المصنفات المنسوبة الى « جابر » في الكيمياء تحتوي على رسائل يقع بعضها في جملة أوراق ، نشرت في كتاب واحد بهذه العناوين : كتاب البيان ، وكتاب الحبر ، وكتاب النور ، وكتاب الايضاح ، وكتاب أسطقس الأس الأول على رأي الفلاسفة ، وكتاب أسطقس الأس الثاني ، وكتاب أسطقس الأس الثالث ، وكتاب تفسير الأسطقس ، وكتاب التجريد ، وكتاب المنفعة ، وكتاب الرحمة الصغير ، وكتاب الملك (١) .

وكتاب البيان ، هو ثماني صفحات من صفحات هذا الكتاب الحاوي على الرسائل المذكورة . وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم (٢) . وكتاب الحبر ٢٨ صفحة . وكتاب النور ثلاث صفحات ، وكتاب الايضاح ثماني صفحات ، وكتاب أسطقس الأس الأول ، ست عشرة صفحة ، وكتاب أسطقس الأس الثاني ، ثماني عشرة صفحة . فأما كتاب أسطقس الأس الثالث ، أربع عشرة صفحة ، وكتاب الأسطقس عشر صفحات ، وكتاب التجريد ست عشرة صفحة ، وكتاب المنفعة صفحتان ، وكتاب الرحمة الصغير إحدى عشرة صفحة ، وكتاب الملك اثنتا عشرة صفحة .

ونرى من هذا التعداد أن ما قيل له كتاب ، هو في الواقع رسالة ، وأن تلك الكتب هي رسائل بعضها رسائل صغيرة ، لو أعيد طبعها لسكانت في حدود صفحة واحدة ليس غير . وقد جمعها أرگت يحيى هولميارد هذا ، وطبعها كلها في نحو (١٧٢) صفحة . وهي لو

(١) طبعت بمدينة (باريس) طبعة « Paul Geuthner »

(٢) ص ٩٠٠ .

طبيعت من غير غرائز جاءت أقل من هذا العدد بكثير .

وقد ورد في هذه الرسائل أسماء مؤلفات أخرى للمؤلف أحال القاري عليها ، ويظهر أن من أسلوبه في مؤلفاته الإشارة إلى أسماء كتبه ، ليحيل القاري عليها عند بحثه في موضوع قد يصعب فهمه عليه . وقد أعادنا بالطبع في طبعه هذه ، إذ أرشدنا إلى بعض مؤلفاته ، ومكننا من الوقوف عليها ومن رجوعنا إلى فهرست ابن النديم لمقارنتها بأسماء الكتب الواردة في هذا الفهرست على أنها من كتب جابر بن حيان .

ومن هذه الكتب التي وردت أسمائها في هذه الرسائل : كتاب الحيوان ، وكتاب الحجر ، وكتاب النباتات ^(١) ، وكتاب الإمامة ^(٢) ، وكتاب السبعين ^(٣) ، وكتاب الباء وتولد الجنين ^(٤) ، وكتاب المئة وأربعة وأربعين ^(٥) ، وكتاب الرحمة ^(٦) ، وكتاب الذكر والأُنثى ^(٧) ، وكتاب المنى ^(٨) ، وكتاب الحماير ، وكتاب السكال ^(٩) ، وكتاب التدابير في الحماير ^(١٠) ، وكتاب غرض الأغراض ^(١١) ، وكتاب النظم ، وكتاب الملك من الخمس مئة ، وكتاب صفة الكون ^(١٢) ، وكتاب المفرد ^(١٣) ، وكتاب الاثنين والثلاثين ^(١٤) .

(١) هو يارد : مصنفات في علم السكيباء (ص ١٢) .

(٢) المصدر نفسه (ص ٢٢) .

(٣) كذلك (ص ٢٤ ، ١١٩) .

(٤) كذلك (ص ٣٢) .

(٥) كذلك (ص ٢٦) .

(٦) المصدر نفسه (ص ٤٨) .

(٧) كذلك (ص ٨٤) .

(٨) كذلك (ص ٨٥) .

(٩) د (ص ١٠٤) .

(١٠) د (ص ١٠٥) .

(١١) د (ص ١١٧) .

(١٢) د (ص ١١٩) .

(١٣) د (ص ١٢٥) .

(١٤) د (ص ١٢٥) .

أما كتاب الحيوان ، فقد ورد اسمه في كتاب السموم ، وذكره ابن النديم كما قلت .
وأما كتاب الحجر ، فيظهر أنه الكتاب الذي ورد ذكره في كتاب السموم باسم كتاب
الحجارة الذي تحدث عنه من قبل . وأما كتاب النبات ، فقد تحدث عنه كذلك ، وقد
ورد اسمه في كتاب السموم . وأما كتاب الامامة ، فلم يرد له ذكر في كتاب السموم ولا في
فهرست ابن النديم ، ولم يشر اليه « بروكلمن » كذلك ^(١) . وأما كتاب السبعين ، فالظاهر
أنه كان رسائل يبلغ عددها سبعين رسالة ، أطلق على كل رسالة منها عنوان : كتاب ،
ويضم ذلك صراحة من هذه الجمل الواردة في فهرست ابن النديم : « وله بعد ذلك سبعون
كتاباً ، منها : كتاب اللاهوت ، كتاب الباب ، كتاب الثلاثين كلمة ، كتاب المني ، كتاب
الهدى ، كتاب الصفات ، كتاب العشرة ، كتاب النعوت ، كتاب العهد ، كتاب السبعة ،
كتاب الحى ، كتاب الحكمة ، كتاب البلاغة ، كتاب المشاكلة ، كتاب خمسة عشر ،
كتاب الكفو ، كتاب الاحاطة ، كتاب الراوق ، كتاب القبة ، كتاب الضبط ، كتاب
الاشجار ، كتاب المواهب ، كتاب المخنقة ، كتاب الاكليل ، كتاب الخلاص ، كتاب
الوجيه ، كتاب الرغبة ، كتاب الخلقة ، كتاب الهياة ، كتاب الروضة ، كتاب الناصع ،
كتاب النقد ، كتاب الطاهر ، كتاب ليلة ، كتاب المنافع ، كتاب اللعبة ، كتاب المصادر ،
كتاب الجمع . فهذه أربعون كتاباً من السبعين كتاباً . ثم يتلو ذلك رسائل في الحجر : أولى ،
ثانية ، ثالثة ، رابعة ، خامسة ، سادسة ، سابعة ، ثامنة ، تاسعة ، عاشرة ، ولا أسماء لها .
وله بعد ذلك عشر رسائل في النبات : أولى الى العاشرة . وله في الاحجار عشر رسائل
على هذا المثال . فذلك سبعون رسالة . » ^(٢) . وقد أشار الحاج خليفة في كشف الظنون

(١) Brockelmann, Suppl., I, S. 427. ff.

(٢) الفهرست (ص ١٠٠ وما بعدها) .

الى كتاب الجار سماه « كتاب السبعين في الصنعة »^(١) ، والظاهر أنه يقصد هذه الرسائل السبعين .

وأما كتاب « الباء وتولد الجنين » ، فلم يرد له ذكر في فهرست ابن النديم ولا لدى « بروكلمن » . وهو كما يظهر من عنوانه ومن ورود اسمه في موضوع طبي حياتي ، في النطقة وفي تولد الجنين وفي الفرق بين الطبيعتين ، طبيعة الرجل وطبيعة الأنثى^(٢) .

وأما كتاب « المائة وأربعة وأربعين » ، فالظاهر أنه على نمط كتاب السبعين ، مجموعة رسائل وأبواب دعيت كل رسالة بكتاب ، يبلغ مجموعها (١٤٤) رسالة ، ولكل رسالة عنوان قائم بذاته . وتكون كلها مجموعة تبحث في « الطعوم » ، وذلك كما يظهر من عبارة المؤلف في « كتاب الطبخ » حيث يقول : « وقد توسعنا في ذكرها في سائر كتبنا . فنخذ الألوان من السبعين ، والأرايح من كتبنا في الكيفيات ، والطعوم من كتبنا من المائة وأربعة وأربعين خاصة . فإننا قد استقصينا كلاً من ذلك بحسب ثبوتته في موضعه الخاص به من كتبنا »^(٣) . ولم أجد في الفهرست إشارة الى هذا الكتاب . أو مجموعة تدعى : المائة وأربعة وأربعين .

وأما كتاب المنى ، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم^(٤) . وأما كتاب الحماز ، فلم يذكره ابن النديم بهذا العنوان ، بل ذكر ثلاثة كتب في عناوينها لفظة واحدة زائدة على هذا العنوان . هي : كتاب الحماز الكبير ، وكتاب الحماز الصغير ، وكتاب فضلات الحماز^(٥) . فلا أدري أي كتاب من هذه الكتب الثلاثة قد يكون ذلك الكتاب المذكور .

(١) كشف الظنون (٩٣/٥) .

(٢) ونسكلمنا في كتبنا العلمية والطبية وفي كتاب الباء وتولد الجنين . وقلنا : إن الأنثى أرشد من الذكر ، والله الذي أكرمنا بآثاره وبهذا من الأنثى . (ص ٣٢) من هوليارد .

(٣) هوليارد (ص ٢٦) .

(٤) (ص ٥٠١) .

(٥) (ص ٥٠٠ وما بعدها) .

البحث العلمي عند العرب المسلمين

ونفهم من فهرست ابن النديم أن صاحب كتاب الخائز كان قد ألف كتاباً مطولاً في الخائز، ثم عاد فاختصره وعنوانه بـ «كتاب الخائز الصغير»، ليكون مرجعاً قريباً من الراغبين في البحث في الخائز. أما كتابه الآخر «فضلات الخائز»، فيجوز أن يكون جزءاً أصغراً من كتاب الخائز الكبير، ويجوز أن يكون كتاباً مستقلاً وضعه في الفضلات المتولدة من الخائز.

وقد أشار بروكلمان إلى كتاب آخر في هذا الموضوع دعاه «كتاب واحد الخائز»^(١). لا أدري أكان أحد هذه الكتب المذكورة، دخل على عنوانه بعض التحريف، أم كان كتاباً آخر ألفه في هذا الموضوع.

وأما كتاب التداير في الخائز، فلم يذكره ابن النديم. ولكنه ذكر كتابين قد يكون لأحدهما أو لسكهما صلة به، اسم أحدهما «كتاب التداير الرائية»، واسم الآخر «كتاب التداير». وقد وضع ابن النديم بعد اسم الكتاب الثاني كلمة «آخر»^(٢) بمعنى أنه هذا الكتاب الثاني، هو كتاب آخر يختلف في بحثه عن ذلك الكتاب. ففعل لأحد الكتابين المذكورين علاقة بكتاب التداير في الخائز. وقد أورد بروكلمان اسم كتاب دعاه: «كتاب التداير»^(٣). قد يكون هو هذا الكتاب الذي بحث عنه، وقد يكون الكتاب الآخر الذي أشار إليه صاحب الفهرست، وذلك إذا كان كتاباً آخر لا علاقة له بذلك الكتاب.

وأما كتاب غرض الأغراض، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم، ولكن بهذه الصورة: «عرض الأغراض»^(٤). وهذا الفرق الذي نراه في العناوين نشأ من تصحيف

(١) Brockelmann, Suppl., I, S. 428.

(٢) الفهرست (ص ٥٠٠).

(٣) Brockelmann, Suppl., I, S. 428, Asaf., III, 57S.

(٤) ص ٥٠١.

النسب الخ .

وأما كتاب النظم ، فقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم ^(١) . وأما كتاب الميزان المفرد ، فلم يرد بهذا العنوان في فهرست ابن النديم ، وإنما ذكر ابن النديم كتاباً آخر سماه كتاب الميزان ، قد تكون له صلة بهذا الكتاب ^(٢) . وأما كتاب حفة السكون ، فلم يذكره ابن النديم . ولم يذكر ابن النديم اسم كتاب الاثنين والثلاثين كذلك . والظاهر أن هذا الكتاب هو مجموعة رسائل على النمط الذي رأيناه ، يبلغ عددها اثنين وثلاثين ، فأطلق عليها هذا العنوان .

وأما كتاب الخواص الكبير ، فقد أشار إليه « الحاج خليفة » ، في أثناء كلامه على كتاب السر الرباني في علم الميزان لعلي بيك الرومي ، فقال إن هذا المؤلف قد استعان بكتاب الخواص الكبير لجابر ، وإنه أراد اظهار هذا السر سر الميزان ، الذي لم يشر إليه غير بليسان ^(٣) . وقال في موضع آخر إنه « إحدى وسبعون مقالة » ، أوله : الحمد لله كما هو أهله ومستحقه الكريم ... الخ بحث فيه في خواص الأشياء المتعلقة بالسكافه ^(٤) .

هذا ، وقد نقل « سيكل Alfred Siggel » في فهرست المخطوطات الكيميائية العربية المحفوظة في خزائن الكتب الألمانية ، نفياً من صفحات كتاب منسوب إلى جابر ، اسمه كتاب المقابلة والمهالة ، وقد وردت فيها أسماء كتب أخرى للمؤلف ، منها : كتاب السر المكنون ، وكتاب الحاصل ، وكتاب النظم . وفيها أيضاً قوله : « إلى لما صنعت كتابنا المقابلة التي يكفي به (؟) ، وفسرت فيه الكتابين وذكر الأخرى والأخبار الأربعة (؟) الذين ذكرتهم فيه ، عرضته على سيدي جعفر بن محمد عليه السلام ، فقال له (؟) : اقرأه علي .

(١) الفهرست (ص ٥٠١) .

(٢) ص ٥٠٢ .

(٣) كشف الظنون (٥٩٢/٢) .

(٤) المصدر نفسه (٨٢/٥) .

فلما قرأته عليه ، قال لي : ما ظننت بك يا جابر أن تسمح لنفسك بهذا (٢) الساحة في كشف الحكمة المصونة والعلم الإلهي ... » (١)

هذا ، وقد ذكر بروكمن كتاباً منسوباً الى جابر سماه « كتاب في الطلسم ونحورات الكواكب للمائلة والمقابلة » (٢) ، قد تكون له علاقة بهذا الكتاب . فقد وردت في هذه النصف هذه العبارات : « ... إنا قد وغينا بما قد ودعنا في كتابنا الذي سميناه بكتاب المقابلة ، وذلك أنا قد قلنا في غير موضع إن موضع الميزان والطلسمات واستخدام العلويات إنما هو على المقابلة والمائلة ... نظرت الى ذلك من أي قسم من أقسام الطبائع هي .. » (٣) ، وهذه الكلمات بعض الصلة بالموضوع .

وقد أورد بروكمن أسماء عدد من الكتب المنسوبة الى جابر بن حيان ، وسمى بعض خزائن الكتب التي قد توجد فيها (٤) . وبعض هذه الكتب مذكور في فهرست ابن النديم ، وبعضه غير مذكور . ولهذا فان قائمة بروكمن وأسماء الكتب التي فيها والواردة في ثنايا الكتب والرسائل المنسوبة الى جابر بن حيان ، تزيد في عدد الكتب التي ذكرها ابن النديم ، وتزيد في علمنا نحن بهذه الكتب العديدة والثروة العلمية القيمة المنسوبة الى جابر ابن حيان .

وقد أشار أبو القاسم محمد بن أحمد العراقي السماوي ، من رجال القرن السابع للهجرة على ما يظن (٥) ومن المشتغلين بالكيمياء أيضاً ، الى كتاب لجابر اسمه « كتاب الروضة » ،

Alfred Siggel, Katalog der Arabischen Alchemistischen Handschriften (١)
Deutschlands, 1949, S. 15.

Brockelmann, Suppl., I, S. 429, Num. 61, (٢)

(٣) ص ١٠

Brockelmann, Suppl., I, S. 426, ff, (٤)

Holmyard, Kīsh al 'ilm al-muktasab fi Zira'at adh-dhab, P. 5. (٥)

وهو في الكيمياء على ما يظهر ، لنقله منه فقرات في « باب التكليس »^(١) ، وذكر كتاباً آخر اسمه « كتاب الابدال من الخمس مئة » ، ونقل منه أيضاً^(٢) . والظاهر أن هذا الكتاب هو في الفلسفة ، وفي أمور في الصناعة وفي غيرها مما لها علاقة بالفلسفة كما يتضح ذلك من الكتاب المنسوب الى جابر المتضمن مؤلفاته ، وقد ورد فيه : « ثم ألقت بعد ذلك خمس مئة كتاب ، تقصاً على الفلاسفة »^(٣) .

ووردت في « كتاب حرة الغواص وكنز الاختصاص في علم الخواص » للجلدي أسماء بعض كتب أفاد من النقل منها ، نسبها الى جابر ، هي : الرسائل الجابرية في الخواص والموازنين ، وكتاب المقاصد ، وكتاب التجميع ، وكتاب روضة الفلاسفة^(٤) . ونقل المؤلف في كتابه المسمى « كتاب انوار الدرر في إيضاح الحجر » من كتاب آخر نسبته الى جابر بن حيان ، هو « كتاب الإطيان »^(٥) .

وقد استند ايدير بن علي الجلي في كتابه البرهان في أسرار علم الميزان ، وهو كتاب يقول فيه الحاج خليفة إنه كتاب كبير يقع في أربعة أجزاء كبار ، الى « كتاب جابر في الاجساد » ، وحل فيه غالب كتاب الموازين لجابر ، كما استعان بكتاب « بليناس » في الأجساد الأربعة^(٦) ، وذكر له كتاباً آخر اسمه « روح الأرواح في الإكسير »^(٧) .

(١) المصدر نفسه (س ٢٩) .

(٢) كذوق (س ٤٦) .

(٣) فهرست (س ٥٠٣) .

(٤) روضة الفلاسفة لجابر المذكور ، اعني نسخة الكيمياء وعمل الإكسير .

A. Siggel, Kata. Arab. Alch., S. 74. ff.

(٥) س ٢٢ ، ٢٨ ، A. Siggel, S. 84.

(٦) كشف الظنون (٤٨/٢) .

(٧) المصدر نفسه : ١٨٢/٢ .

وقد وردت نقول في « كتاب الكثر في فلك الرمز » ، وهو من السكتب المحفوظة في خزانة السكتب البروسية في برلين من كتب جابر . وقد رجع مؤلفه ، وهو مجهول عندنا لم يرد اسمه في السكتب ، الى جملة كتب من كتب جابر ، منها كتاب عماد « العلم المخزون والمعروف » (١) .

وورد في « كتاب الفتوحات الغيبية في تدبير الأرواح الحكيمة » ، مؤلف مجهول يظن أنه عبيد الكريم بن يحيى بن عثمان المراكشي ، ذكر كتاب من كتب جابر اسمه : « كتاب الصافي من الخمس مئة » ، ويظهر أنه من هذه المجموعة المعروفة بالخمسة مئة كتاب التي أشرت إليها فيما سلف . وقد اقتبس منه في الفصول التي عقدها في « المركبات » (٢) .
وورد في « كتاب الجواهر النضير في صناعة الإكسير » لمحمد بن عبيد الله الطغراني ، ذكر لكتابين من السكتب المنسوبة الى جابر ، هما : كتاب المجردات ، وكتاب الكشف (٣) .

وقد كانت لجابر بحوث في الفلك والأسطرلاب . ذكر محمد بن سعيد السرقسطي المعروف بأبن المشاط الأسطرلابي الأندلسي « أنه رأى لجابر بن حيّان بمدينة مصر تأليفاً في عمل الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لها » (٤) . وقد ذكر ابن النديم أسماء كتب له في علم الهيئة والفلك وفي شرح المجسطي وغير ذلك من العلوم .
وذكر الحاج خليفة في كشف الظنون كتباً أخرى لجابر ، هي كتاب علل المعادن ، وقال إن أوله : « الحمد لله الذي خلق الأشياء من قدره الخ » ، وكتاب العلم المخزون في

A. Siggel, Kat. S. 95. (١)

A. Siggel, Kat., S. 100, f. (٢)

A. Siggel, Kata., S. 144. (٣)

(٤) ابن الفطحي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء (ص ١١١) .

الصنعة^(١) . وكتاب الاحراق ، وقال : إن أوله « الحمد لله القاسم على كل نفس بما كسبت .. »^(٢) و « كتاب الخالص في الكيمياء » للشيخ جابر بن حيان الطرسوسي ، وقيل الطوسي امام علم الكيمياء المتوفى سنة ١٦٠ ، ذكر فيه أسرار الصنعة^(٣) . وكتاب الشعر^(٤) ، وقد ورد اسمه في فهرست ابن النديم^(٥) ، و « كتاب الصافي من الخمس مئة » وقال : أن أوله « الحمد لله الجباري بالاحسان المتفضل بالفقران » ، وهو ورقة كما يقول الحاج خليفة^(٦) ، وهناك رسائل على هذا النحو يُحال من أسمائها أنها كتب ، وهي ورقة أو جملة أوراق .

وقد يكون كتاب العهد المبتدأ بهذه الجملة : « هذا كتاب العهد اليكم يا بني الأكارم ... » ، من هذا القبيل . فقد أشار الحاج خليفة الى أنه مختصر^(٧) . وأما كتاب القمر في الصنعة ، فهو من جملة المئة والاثني عشر كتاباً ، وقد أشار الحاج خليفة اليه كذلك^(٨) . وأما كتاب المعادن . فالظاهر أنه كتاب على المعادن الذي مر ذكره ، وذلك كما يفهم من إشاره الحاج خليفة اليه ، وهو في علم المعادن وأسمائها^(٩) .

(١) كشف الظنون (٢٤٦/٤) وما بعدها .

(٢) المصدر نفسه (٣٤/٥) .

(٣) المصدر نفسه (٧٩/٥) .

(٤) كتاب الشعر لجابر بن حيان القيلسوف الطوسي المتوفى سنة ١٦٠ ، كشف الظنون

(١٠١/٥) .

(٥) الفهرست (ص ٥٠٠) .

(٦) كشف الظنون (١٠٩/٥) .

(٧) كشف الظنون (١٢٠/٥) .

(٨) المصدر نفسه (١٢٧/٥) .

(٩) كذلك (١٠٢/٥) .

ونسب الحاج الخليفة كتاباً آخر الى جابر اسمه : كتاب النخب ، وقال إنه في مجلدين ^(١) .
وأما كتاب منافع الحجر ، فهو من المختصرات ، وقد ذكر الحاج خليفة أن جابراً قد أودع
فيه أسراراً كثيرة من الصنعة ^(٢) . وذكر له كتاباً آخر اسمه مهج النفوس ، ولم يذكر
شيئاً عنه ^(٣) . وكتاباً آخر أيضاً اسمه نهاية الأدب ^(٤) .

ولتكوين رأي صحيح صادق في علم جابر ومصادره ، وفي حقيقة هذه الكتب
والرسائل المنسوبة اليه ، لا بد من الرجوع الى المتبقي منها من مخطوط أو مطبوع وإلى
المقتبسات من كتبه في الكتب الأخرى ، لدراستها دراسة علمية عميقة ، وتحليلها تحليلاً
يؤدي الى معرفة العناصر التي كونت هذه الكتب والرسائل ، والزمن الذي دونت فيه ،
وذلك يحتاج بالطبع الى وقت طويل يقضى في استيعاب موضوعاتها ودرس أساليب
التعبير عن الموضوعات العلمية في ذلك العهد وفي المصطلحات التي كانت شائعة أيام جابر .
وفي مقارنات بالسكتب المؤلفة في هذا الباب .

وبين هذه المؤلفات ما ورد اسمه في فهرست ابن النديم كما رأينا ، أو في موارد قديمة
أخرى ، ولهذا لا نستطيع الشك في وجودها في أيام من أشار إليها أو في أيام سابقة لأيامهم .
ويمكن التأكد منها أيضاً بمقابلتها أو بمقابلة نتف منها ، إن كانت قد فقدت ولم يبق منها
غير نتف ، بالمقتبسات منها في مؤلفات آخرين . وسترينا هذه الطريقة بالطبع درجة
التطابق والتوافق أو الاختلاف . وهي طريقة تساعدنا ولا شك في تعيين الأصل ، وصحة
النسبة الى المؤلف . وستوصلنا الى معرفة أقدم مورد أشار الى الأثر ، والزمن الذي تنتمي
عنده أقوال الرواة .

(١) كشف الظنون (١٦٣/٥) .

(٢) المصدر نفسه (١١٠/٦) .

(٣) كذلك (٢٧٣/٦) .

(٤) كذلك (٣٦٦/٦) .

ونظراً إلى ما في بعض هذه الكتب والرسائل من مصطلحات وتعابير تشعر أن صاحبها من المعتقدين بالإمامة ، وأنه على رأي الإسماعيلية الباطنية ، لاستعماله مصطلحاتهم وتعابيرهم وآرائهم في بعض هذه الرسائل ، لذلك وجب مطابقتها ومقارنتها بما ورد منها في رسائل اخوان الصفاء وفي كتب الباطنيين ، والرجوع إلى تواريخ ابتداء ظهور تلك المصطلحات لتتوصل بذلك إلى أصل هذه المؤلفات المنسوبة إلى جابر ، وللوقوف على مذهب جابر إن صح أنها له ، أو وقت وضعها عليه ونسبتها إليه ، إن ظهر أنها لا يمكن أن تكون من الأيام التي عاش فيها جابر ، لوجود موانع تاريخية تمنعنا من الأخذ بنسبة هذه الآثار إليه . ولا بد كذلك من الرجوع إلى الشروح التي وضعها العلماء ولا سيما المتقدمين منهم على كتب جابر ، مثل شرح أبو قران النديبيني على كتاب الرحمة ، وأبو قران من أصحاب صناعة الكيمياء ، وهو ممن يشير إليه أهل هذه الصناعة ويقدمونه ويقضونه (١) . وشرح ابن أبي العزاقر ، وهو أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني على كتاب الرحمة (٢) . والشلمغاني من الشخصيات المعروفة المشهورة في تاريخ الشيعة . وقد اتهم بالزندقة وبالاختيال وبأمور أخرى نخرجنا سردها هنا من صلب هذا الموضوع .

وشرح « محمد بن منكيشين » كتاب الرحمة في الكيمياء ، شرحه ليسهل على طلابه الوقوف عليه وفهمه و « رحمة على الطلاب المخدوعين وتقرباً إلى الله تعالى به . وشرح منه أصول الصنعة التي لا غناء من الطالبين عنها » (٣) .

والحديث في الكيمياء يجرنا إلى الحديث في موضوعات أخرى لها صلة شديدة بالكيمياء ، بل هي في الواقع فروع من هذا العلم ، مثل السموم وعمل الصيدنة « الصيدلة » وصناعة

(١) المهرست (ص ٥٠٥) .

(٢) المصدر نفسه (ص ٧٠٠) .

(٣) كشف القاتون (٨٦ / ٥) .

الطور وكتب الصنعة بصورة عامة .

وصناعة الكيمياء في نظر علماء ذلك العهد ، هي صنعة الذهب والفضة من غير معادنها ^(١) . ويقصدون بذلك صنع الذهب والفضة من معادن أخرى خبيثة ذات ثمن بخس ، أنحس من ثمن المعدنين ، وذلك بتحويل خصائص المعادن الخبيثة بالطرق الكيميائية الى خصائص الذهب أو الفضة ، ومتى تغيرت هذه الخواص واكتسب المعدن الخبيث خواص جديدة هي خصائص معدن الذهب أو الفضة صار ذلك المعدن ذهباً أو فضة بحسب نوع التحويل .

والكيمياء في نظر أولئك العلماء ، علم قديم جداً ، ينسب بعضهم الى موسى وهارون فيذكرون أن الله أوحى بسر هذه الصناعة اليها ، فتعلماه منه . وذلك لما رأى الله أن قارون ، وكان يتولى لها ، كبر وتجبّر لما كثر عنده الذهب والفضة وكثر الكنوز ، وسطا بما عنده من الأموال ، فعاقبه الله بدعاء موسى . ويذكرون أيضاً أن هذه الصنعة كانت معروفة قبل " هرمس " بألف سنين ، وأن " هرمس " كان عند بعضهم أول من تكلم بنى علم الصنعة .

— للبحث صلة —

جواد علي

مؤلف جهمرة أشعار العرب

في آثار المسلمين من عرب وغيرهم كتب بأرعة متقنة التأليف والتصنيف ، جليلة الفوائد كثيرة التداول ، قد استبهمت سير مؤلفيها ، وندرت أخبارهم أو عدمت من نسخ أحيانا ، وبدلت أسماءهم في نسخ أحيانا أخرى ، ومن الكتب التي غمضت سير مؤلفيها « جهمرة أشعار العرب » وقد طبع هذا الكتاب الجليل غير مرة وكتب عليه « تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي » .

ومعرفة سيرة هذا المؤلف المجيد وعصره وموطنه ضرورية في دراسة تاريخ الأدب العربي فضلا عن دراسة الأدب العربي نفسه ، وقد تعتمد دراسة الشعر العربي خاصة على العلم بذلك ألا ترى أن الأديب الكبير مدظي صادق الرافعي - رحمه الله - قد اعتمد على وفاة أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي هذا في كلامه على « حقيقة القصائد المعلقة ودرس شعرائها » في كتابه النافع « تاريخ آداب العرب » ؟ فهو يقول ، في خبر مروي مشهوره أن عبد الملك بن مروان طرح شعر أربعة من أصحاب المعلقة وأثبت مكانهم أربعة : « فيكون خبر طرح عبد الملك وإثباته موضوعاً ، خصوصاً وقد أغفله أبو زيد بن أبي الخطاب القرشي صاحب الجهمرة المتوفى سنة ١٧٠ هـ » ^(١) ثم يقول : « وأول اختيار مدون عند العرب القصائد المعروفة بالمعلقة اختارها حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٥ ثم جهمرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي المتوفى سنة ١٧٠ » ^(٢) ، وقال أيضاً : « وفي

(١) تاريخ آداب العرب ١ ج ٣ ص ١٨٥ .

(٢) المرجع المذكور ٢ : ٣٦١ .

مؤلف جبهة أشعار العرب

الجبهة عن المفضل (هو المفضل بن محمد الغني كان عالماً بالشعر ...) بعد أن ذكر أصحاب السموط قال ... » (١) .

فقد اعتمد - رحمه الله - على تاريخ وفاته الذي ظنه سنة (١٧٠ هـ) وقال أقوالاً يتطرق على بعضها الشك إن لم تثبت صحة لتاريخ الوفاة المقدم ذكره ، وكأنه - رحمه الله - كان يعد ذلك التاريخ مشروطاً من إثبات صحة . ومن مأمته يؤتى الحذر ، فالكتاب سألني جبهة أشعار العرب - يدل على أنه ألف بعد تاريخ الوفاة المظنون مؤلفه أي بعد سنة (١٧٠) وسيأتي بيان ذلك مبرهنات فيما عقده من البحث .

من أين أتى تاريخ الوفاة هذا وكيف جرى تحقيقه ؟ لا أعلم منه إلا أنه كان شائعاً بين مؤرخي الآداب العربية ومفهرسي الكتب العربية المطبوعة ، ولقد جاء في معجم المطبوعات العربية والمعربة ، تأليف الأديب يوسف إليان سركيس (٢) ما هذا نصه « أبو زيد القرشي : أبو زيد محمد بن أبي الخطاب المتوفى في حدود سنة ١٧٠ له [جبهة أشعار العرب] طبع [باعتناء سعيد عمون اللبناني ، وفي صدر الكتاب مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء ، وفي الشعر والشعراء وأقدمهم ، وغير ذلك] بمطبعة [بولاق ١١ ١٣٠٨ ص ١٩٥ : وطبع بالمطبعة الخيرية ١٣٣١ ص ٣٨٤ . وطبع موسوماً بنيل الأرب في قصائد العرب ، وفيه ذكر المعلقات التسع والأربعين ، مقسمة إلى سبعة أقسام ، كل قسم سبع قصائد ملقبات بلقب مخصوص لها ، [طبع في مصر ، بمطبعة الرأي العام دون تاريخ ص ١٢١ » .

فهذا الأديب المعروف المجهود في البحث عن تراجم المؤلفين لم يذكر مرجعاً تاريخياً يكون مظنةً لخبر من أخبار أبي زيد القرشي مؤلف الكتاب المقدم ذكره ، لأنه لم يجد

(١) المذكور ص ١٩٠ .

(٢) ج ١ ص ٢١٢ سنة ١٩٢٨ بمطبعة سركيس بالقاهرة .

شيئاً من ذلك ، ونقل من كتاب آخر لم يذكر تاريخ وفاته المثلثون . وقال جرجي زيدان : « ابن أبي الخطاب ، صاحب جمهرة أشعار العرب ، اسمه أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته ولكن يظهر أنه تبع في أواسط القرن الثالث للهجرة ، وإنما عهدنا إلى ذكره لأنه جمع خيرة أشعار الجاهلية وصدر الإسلام في كتاب سماه (جمهرة أشعار العرب) في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا عن ^(١) طبقات الشعراء في الجزء الأول (ص ٧٤) والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ وفي صدره مقدمة ^(٢) انتقادية ^(٣) ... » .

قلت : وقد طبع بمصر سنة (١٣٣٠ هـ) بالمطبعة الخيرية لأصحابها السيد عمر حسين الخشاب وولده ، وكتب على الطبعة « الطبعة الأولى » والدعوى باطله ، فقد نقلنا آنفاً أنه طبع بمصر سنة (١٣٠٨) أي قبل طبعة الخشاب بأربعين وعشرين سنة قرية . ثم طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٥ هـ ... ١٩٢٦ م مفسولاً بين الشعر وشرحه الأصلي ، مضافاً إلى الشرح شيء من الإيضاح . وجاء في صدر الكتاب « غني بضمها وشرحها أحد أفاضل العلماء » .

وقال الأستاذ كارول بروكان المستشرق الألماني في الكلام على « مصادر معرفة الشعر الجاهلي » : « وربما كانت المجموعة الرابعة وهي جمهرة أشعار العرب قد جمعت في أواخر المائة الثالثة للهجرة وهي مجموعة سباعية تشتمل على سبعة أقسام أولها المعلقة السبع ، وتحمل الأقسام الستة الباقية حتى من العناوين المختارة وهي المجموعات ، المنتقيات المذهبات ، المراثي ، المشروبات ، الملحقات ، وعلى حين يشتمل القسم الأخير على قصائد

(١) السواب على « نقل » الكلام على الموضوع لا منه ، وإنما يشتمل « عن » مع القفل نكلم عند إراءة النيابة ، وكان يقال « نكلم لوكيل عن موكله على الدعوى عند القاضي » .

(٢) نقل يوسف الباز من كبار هذه العترة في كتابه السابق ذكره .

(٣) تاريخ أدب اللغة العربية ٢ : ١٠٩ ، ١١٠ هـ ، مطبعة الهلال سنة ١٩١١ .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

لشعراء العصر الأموي، غريب، غلب في اللغة - سداسم الأخرى قصائد لشعراء الجاهليين، وسبقت ذلك كله مقدمة في الجرازات واختلاف العلماء في تفضيل بعض مشاهير الشعراء، ويسمى جامعها (أبازيد القرشي) وقيل إنه سند رواية أبي زيد هذا وهو «المفضل» كان في المرتبة السادسة من سلسلة الخليفة عمر بن الخطاب، وإذن فلا بد أن حياته كانت في أواخر القرن الثالث الهجري، على أن كلا الرجلين أبي زيد والمفضل مجهول بالكلية فيما عدا ذلك، ويبدو لنا أن تسميتهما موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه المفضل، ولكن لما كان كتاب الجمهرة معروفاً لابن رشيق (٣٩٠ - ٤٥٦/١٠٠٠ - ١٠٦٤) فقد يكون تم تأليفه في ملتي القرنين الثالث والرابع للهجرة (١) .

هذا قول الأستاذ بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، الذي نشر طبعته الأولى في مدينة (فايمر) بألمانية سنة ١٨٩٨ ثم نشر له ذيلاً أعظم من الرأس والجسد سنة ١٩٣٧ ثم نشر جزءاً في تاريخ الأدب العربي الحديث سنة ١٩٤٢، ثم أعاد طبع الكتاب الأول بعد تصحيحه وتهذيبه والحذف منه والتغيير والزيادة والتجديد سنة ١٩٤٣ وسنة ١٩٤٩، وقد مزج ناقله إلى العربية الدكتور الفاضل عبد الحليم النجار بين الكتاب الأصلي وملحقاته مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق متناول للموضوعات (٢) .

ولذلك لم نعلم ما الذي كان كلام المستشرق الفاضل على جمهرة أشعار العرب «في طبعة كتابه الأولى، لأننا لا نعرف اللغة الألمانية، فرأيه هذا الذي نقلناه هو رأيه الأخير كما

(١) تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية الدكتور عبد الحليم النجار، ج ١ من ٢، وقد أعيدت
الدكتور الفاضل نشر بروكلمان لكتاب الأولى بيرلين سنة ١٩٩١ - ١٩٠٢ ذكر ذلك كتابه «مواد في
تجديد كتابه» الأدب العربي، بالترجمة من ١٣٩ : ١٤٠ .

(٢) راجع في ذلك كله كلمة الترجمة من ١٣ - ١٤ .

يفهم من كلام المترجم القاضل ، غير أن ناقلاً من كتابه ومعتسداً عليه وهو حوار الماشرق الفرنسي يقول : « إن جمهرة أشعار العرب ، مثلثون اسم جامعها ، غير أنها مذكورة في كتاب ابن رشيقي في القرن الحادي عشر ، وقد طبعت ببولاق ^(١) » .

وكشفت في القاهرة سنة ١٩٢٣ وفي أثناءها أخرج الدكتور أحمد زكي أبو شادي ديوانه « الينبوع » وكانت طائفة من الأدباء تنعى عليه تبسطة في استعمال مجازات جديدة مع أن باب المجاز في العربية مفتوح دائماً ، على شريطة سلامة الذوق في الجواز الى ساحة المجاز ، فرجاني أن اكتب فصلاً في « التعابير الجديدة » التي استعملها ، فكتبت ونشره هو في آخر الينبوع « ص ١٦٢ » . وقد جاء في الكلام على المعنى العام للفعل « حاط » قولي ص ١٧٢ ، ١٧٣ — : « ولكن نقه اللغة يثبت أن (تحوط) بمعنى (تحف) مطلقاً ، ذكر ذلك أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في جمهرة أشعار العرب (ص ١٤٦) وسأل أعرابي أحد الناس قال : ما فعل عمر بن الخطاب الذي كان يحفظ العرب ويحوطها (الكامل ١ : ٩٨) أي يحفظها ^(٢) . وعلقت في الحاشية على اسم أبي زيد القرشي ما هذا نصه « إن هذا المؤلف العظيم قد جمع للعرب أحسن جمهرة من أشعار شعرائهم ولكن مؤرخي الآداب العربية ولا سيما المتأخرين | منهم | لم يوفقوا لترجمته ولا لتعيين عصره وقرنه ، فخرجي زيدان ، قال عنه : ولكن يظهر أنه ينبع في أواسط القرن الثالث للهجرة (تاريخ آداب اللغة العربية ١ : ١٠٩) وهذا خطأ لا شبهة فيه غانا بعد البحث المستوفي والتعري المستقصى علمنا أنه من أهل القرن الخامس للهجرة ، ونحن أول من وقف على ذلك ، وتقصيله أن المؤلف المذكور (أبو زيد القرشي) أشار الى كتاب الصحاح للجوهري

(١) الأدب العربي ، ص ١١ ، من النسخة الفرنسية .

(٢) قال في شرح قول لبيد : تحفوفة وسنت البراع بطنها عذرة أي عذرة من جميع جوانبهم .

بمعنى العير تحفوفة بالخوخة .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وذلك عند شرحه لقعيدة الفرزدق في قوله «أومأنا»^(١) ، فهذا يثبت أنه [أي المؤلف] أدرك القرن الرابع ، ثم إنه روى كثيراً عن المنضل بن مسعر المتوفى في أواسط القرن الخامس للهجرة ، كما في الجزء السابع من معجم الأدباء لياقوت الحموي ، وروى عن المؤلف ابن رشيقي القيرواني المتوفى سنة ٤٥٦ قال [أي ابن رشيقي] : (وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السسط (كذا) امرؤ القيس وزهير والنابغة والأعشى وعمرو بن كلثوم وطرفة . (١ : ٦٠ من العمدة طبعة الخانجي ، ونقل هذا الكلام السيوطي في المازهر . قلت هذا القول قبل سبع وعشرين سنة واطالع عليه الأستاذ بروكلمان فلم يستحسنه ، ولما أعاد طبع كتابه مصححاً على حسب تحقيقه ، منقحاً على وفق تدقيقه ، الحق بكلامه السابق على الجمهرة ما هذا نص ترجمته في الحاشية « وقد ظن مصطفى جواد في حواشي الينبوع لأبي شادي ١٧٣ أن الجمهرة صُنفت في زمن متأخر من ذلك ، لأن مؤلفها نقل عن صحاح الجوهري في (ص ١٦٥ س ٢٥ من طبعة بولاق ١٣٠٨) ولكن هذا النقل لا يوجد إلا في حاشية على الكتاب ولعلها مما زيد أخيراً ، كما قال : إن المؤلف ينقل كثيراً عن الفضل بن مسعر الذي يذكر ياقوت في الارشاد ٧ ، ١٧١ أنه توفي سنة ٤٤٣ هـ / ١٠٥١ لمسكنه لم يثبت أين وجد ذلك ولعله فان أن الفضل الحنسي الذي جعله المؤلف سنداً له هو الفضل بن مسعر » .

أقول : إن ما يرد في حواشي الكتب الخطية لا يعني دائماً أنه مزيد عليه بل يحتمل أحد أمرين : الاستدراك أو الزيادة ، فلماذا مال الأستاذ بروكلمان إلى استرجاع زيادة ذكر

(١) قال الفرزدق :

تري الناس ما سرنا يسرون خلفنا
وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وجاء في جمهرة أشعار العرب — ص ٢٢٨ — وروى : وإن نحن أومأنا ، يعني أومأنا ، من الصحاح .

الصحيح « في حاشية جهرة أشعار العرب ؟ ثم إن الكتاب أعني جهرة أشعار العرب لم
لم يقتصر على ذكر كتاب الجوهري بل ذكر كتاب خاله أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم
النصارابي المتوفى في حدود سنة (٢٧٠ هـ ^(١)) قال في شرح قول متمم بن نويرة
اليربوعي :

فعيني جودي بالدمسوع لما لك إذا أودت الريح الكنيف المربعاً

« الكنيف : حظيرة تجعل للابل ، من ديوان الأدب ^(٢) » .

وديوان الأدب هو للنصارابي المذكور وهو كتاب مشهور وأثره نسخته ، منقول منه
كثير في كتب اللغة والأدب ، إن الاجتهاد في البحث عن مؤلفي الكتب المستبعدة سيرهم
خير من التترع الى الإنكار ، والتسرع إلى الاتهام بالتزوير كما فعل الأستاذ بروكلمان ، في
قوله : « على أن كلا الرجلين أبي زيد والمغذلي مجهول بالكلية فيما عدا ذلك ويبدو لنا
أن تسميتهما موضوعة على اسمي كل من أبي زيد الأنصاري النحوي المشهور وشيخه
المفضل » كما نقلناه آنفاً « ص ١٧٨ ص ٥ » .

إن الأستاذ بروكلمان كان يتسرع الى إنكار سير الأدباء الذين لم يستطع الوقوف على
سيرهم ، فنحن إذا تجاوزنا نهاية التعليق الذي نقلناه ونظرنا في الصفحة التي تليها وهي
الصفحة السابعة والسبعون ، نلقيه يقول : « ٣ ب و جمع معنصف مجهول فيما عدا ذلك يسمى
محمد بن المبارك بن ميمون ، مجموعة تحتوي على ألف قصيدة (وذلك في بعدد ستة
٥٨٨ - ١١٩٢ / ٨٩ - ٩٣) وجعل عنوان هذه المجموعة (منتخبي الطلب من أشعار العرب) .
(أنظر إقليد الخزانة ١٢٠) وقد بقيت ثلاثة من الأقسام العشرة لهذه المجموعة في لالي
١٩٤١ وفي القاهرة ، الثاني ٣ : ٣٨٩ - ٩١ وأنظر أيضاً ٣ : ٤٩٤ ... » .

(١) معجم الأدباء ١ : ٢٦ ، والفتحة ١٩١ د .

(٢) جهرة أشعار العرب ص ٢٨٢ طبعة النسخة المطبوعة سنة ١٢٤٠ هـ .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

والحقيقة أن الرجل غير مجهول فيما عدا ذلك ، قال جمال الدين محمد بن سعيد ابن الديباني : « محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون أبو غالب الكاتب ، شيخ متصرف ، قد قرأ شيئاً من الأدب وقال الشعر ، وسمع الحديث من القاضي أبي الفضل محمد بن عمر الأرموي والشريف ^(١) (كذا) أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصاري ، وأبي الفضل ابن ناصر وأبي بكر بن الزاغوني وحدث بشيء من مسموعاته ، ورأيت ولم أسمع منه ، بلغني أن مولده في سابع عشرين محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وتوفي في يوم الجمعة تاسع عشرين جمادى الآخرة من سنة سبع وتسعين وخمسمائة ، ودفن بالمشهد بمقابر قريش رحمه الله وإيانا وجميع المسلمين ... » ^(٢) .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٥٩٧ : « وفي ليلة التاسع من جمادى الآخرة توفي الشيخ الأديب أبو غالب محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون الكاتب بهمداد ، ودفن من الغد بمقابر قريش ، ومولده في المحرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وسمع من أبي الفضل الأرموي وابن ناصر وأبي بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني والشريف أبي المعمر المبارك بن عبد العزيز الأنصاري وغيرهم ، وحدث وقرأ الأدب وقال الشعر وكان عارفاً بشعر العرب » ^(٣) .

وقال شمس الدين الذهبي في وفيات سنة ٥٩٧ : « محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون أبو غالب الأديب الكاتب سمع أبا الفضل الأرموي وابن ناصر وأبا بكر بن الزاغوني ، وله

(١) أصل الأصل : الشيخ ، لأن الأنصاري لا يسمى « شريفاً » عندهم ، وإنما يعقب به العباسي ومعاوي كالشريف أبي تمام العباسي الشيب والشريف الرضي الشاعر ، ثم استعمل به العباسيون في أولاد الدولة العباسية ، وسيأتي وصفه بالشريف أيضاً في كتاب النكتة لوفيات النفا وهو عبيد الله بن أبي المعمر فهو يعني بن مهابنة ، مترجم في « نزهة الألباء » وفي الوعاة والنجوم الزاهرة .

(٢) ذيل تاريخ بغداد : نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٩٢٧ ، الورقة ١١٢ .

(٣) النكتة لوفيات النفا : نسخة النجوم الزاهرة ، الورقة ١٧٤ .

شعر جيد ، وكان أكثر من أشعار العرب ... توفي في جمادى الآخرة « (١) .
فهذا الرجل الكاتب الشاعر الأديب المؤلف النحيد لشعر للعرب مجهول السيرة عند
الأمثاذ بروكلمان في غير كتابه ، المعثور على ثلاثة أجزاء من عشرة أجزاء منه وهو
« منتهى الطلب من أشعار العرب » (٢) .

دراسة الكتاب التاريخي

إن حالة كتاب « جبهة أشعار العرب » في الغموض والاستبهام ، والخفاء والاستعجاب
تستوجب الدراسة التاريخية العلمية ، وهذه الدراسة تبدأ باسم المؤلف فينظر في ظاهره
وكنيته ونسبه ولقبه ، إن كان له لقب ولقب ، ثم تجتاز ذلك إلى اسم الكتاب نفسه
ومصطلحاته وعباراته ، وتقسيمه وتبويبه ، وحقيقته ، ووضوعه ، ورواته وأسانيده ، إن كان
له رواة وأسانيده ، ثم الكتب التي وردت أسماؤها فيه ، وأسماء المذكورين أو المذكورات
فيه وبيئة المؤلف أو وطنه إن وجد ذلك فيه ، وتاريخ نسجه أو تأليفه أو حادث كتب
فيه ، إن كان ذلك ، وبمسند الطريقة يعرف عصره ، وتتقرب معرفة مؤلفه ، وربما
تبلغه المعرفة .

فأبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ، لا يبدو عليه أنه اسم موضوع كما ذهب إليه
الأمثاذ بروكلمان ، لأن « زيد بن الخطاب العدوي » أخا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما من
أشهر الأسماء العربية وأحبها إلى المسلمين ، وزيد هذا كان قرشياً أيضاً لأن بني عدوي قرشيون

(١) تاريخ الإسلام - نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٨٨٢ الورقة ١٠٦ .

(٢) جاء في كشف الظنون ، طبعة وكالة المعارف الفرنسية « ١٨٥٧ » : « منتهى الطلب من أشعار
العرب ، لابن ميمون وهو كتاب يشتمل على أكثر من ألف قصيدة خلا للفاطيم وعدة ما فيه أربعون ألف
بيت . فاضاف مبرمج الطبعة هو علي بن ميمون بن الحسين الثالثي الفاطمي المتوفى سنة ٩١٧ . وقد
غيره الاسم وسده فأغصاً . وأحسب شمل الأشعار المفقودة في حوزة كتب الخزانة المرافقة سنة ١٨٨٠ .

مؤلف جهرة أشعار العرب

فاذا قلنا «زيد بن الخطاب العدوي القرشي» وجدنا ذلك مثلاً ومقتدى لأسماء كثير من المسلمين بعده أو قلنا زيد بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو مشهور وقد قتل بضربة خاطئة كما في جهرة الأنساب لابن حزم «ص ١٦٧» ... وقابلنا بينهما وبين مجموع تسمية المؤلف لجهة أشعار العرب ، دخلت ثلاثة ألفاظ من اسم المؤلف في مساواة مع اسمي المثالين المذكورين وهي «زيد» ، «الخطاب» ، «القرشي» فتأمل كيف يكون الحس التاريخي في معرفة الأسماء ؟ اعتماداً على أن أشراف العرب يميلون إلى أسماء أسلافهم اعتزازاً بها .

فأول ما يتبادر إلى الذهن من «أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي» أنه كان قرشياً عدوياً ، ولا نستطيع أن نبالغ فنقول إنه كان من ذرية زيد بن الخطاب العدوي أو من ذرية عمر بن الخطاب العدوي أخيه ، لأننا نرى بالإنجاز نسبة ، وأما تفضيله «القرشي» على العدوي فنرى أنه من ضرورات المجتمع ، كأن يكون المسمى في بلد داخل في حكم الدولة الفاطمية التي استقرت في أواسط أمرها بمصر أو دولة متشعبة أخرى ، فكان يخشى هو نفسه أو والده أن يجاهر بنسبته «العدوي» وكذلك يفعل ذوو الأنساب إذا وجدوا البيئة أو الزمان غير صالحة لأنسابهم ، جاء في الباب مختصر الأنساب لابن السمعاني :

«القرشي» ... ومن عرف بهذه النسبة من العلماء الفقيه أبو الوليد الحسان بن محمد ... بن العاص الأكبر بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الشافعي ، إمام عصره وفقيه خراسان ... توفي خامس ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فالقرن الرابع للهجرة لم يكن مناسباً لأن ينتسب هذا الإمام «أمرياً» في بلاد خراسان ، فانتسب قرشياً . وبالقرشي اشتهر «عنبسة بن عبد الواحد بن أمية بن عبد الله بن سعيد بن العاص القرشي الأموي الكوفي المحدث المشهور»^(١) وهذا لا يعني أن كل خطابي أو عنابي أو أموي

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢ : ٢٨٢ .

كان ينتسب قرشياً ، فمن ذوي هذه الأنساب من كان لنفوسهم من القوة والاعتزاز ما يبعثهم على التصريح بأنسابهم والانتساب إليها . يضاف الى ذلك أن أحاداً من الجهوي الأنساب والمعموريها أرادوا المبالغة في الصعود على معارج النسب فانسببوا قرشيين .

وكانت بلاد الشام ثم الأندلس معدن الأمويين والعمانيين لأنها كانتا مراكز دولهم ومطابخ حكمهم ، ومشايخ طوائفهم وأتباعهم فلذلك كثر فيهما منتسبون إلى « قرش » أيام النقيّة أو الحفاظ على البقيّة ، أو أيام الجبالة واستدراء الأذى واستدفاع الشر ، ومن أولئك أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر بن عبيد الله بن علي القرشي الدمشقي القاضي الحافظ المحدث المؤرخ لرجال الحديث المتوفى ببغداد سنة ٥٧٥ ، قال ابن الديلمي وابن النجار في تاريخيهما لبغداد : « عمر بن علي بن الخضر بن عبيد الله بن علي أبو المحاسن بن أبي الحسن بن أبي البركات بن أبي محمد بن أبي الحسن القرشي ، من أهل دمشق ^(١) ... » .

ومنهم أبو المعالي محمد بن أبي الحسن بن علي بن محمد بن يحيى بن علي بن عبيد العزيز بن علي بن الحسين بن محمد بن عبد الرحمن بن القاسم بن الوليد بن القاسم بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان القرشي الملقب بحبي الدين ، المعروف بابن زكي الدين الدمشقي الشافعي الفقيه المتوفى سنة ٥٩٨ هـ ^(٢) .

ومنهم عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عبيد أبو الحسن بن أبي الربيع القرشي الأموي العثماني الاشعبي الإمام النحوي ، شيخ النحويين في زمانه ، ولد سنة ٥٩٩ وتوفي سنة ٦٨٨ وقد ألف عدة كتب في علمه ^(٣) وقريبه محمد بن علي بن محمد أبي الربيع بن

(١) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيني ، نسخة دار الكتب الوطنية ، باريس ١٩٢٢ ، الورقة ١٩٦ .

والتاريخ الجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة الدار للطباعة ١٣٢٩ ، الورقة ١١٣ .

(٢) الوفيات ٢ : ١٦ : ١٥ ، دامة بلاد المغرب .

(٣) ذخيرة الوفاة ، ص ٢١٩ .

مؤلف جبهة أشعار العرب

عبيد الله بن أبي الربيع أبو عمر القرشي العتامي الأندلسي الأشبيلي النعوي المولود سنة ٦١٧ بهسبيلية ، ذكره السيوطي ولم يذكر سنة وفاته لأنه لم يجدوها (١) .

ومنهم محمد بن عائذ الدهشقي القرشي أبو أحمد صاحب كتاب الفتوح والمغازي كان يفتي بدمشق (٢) .

وبالاعتماد على ما فررت يغلب على الظن أن « أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي » كان عدوي الأصل أو أموي النسب ، فاختار النسب الأعم وترك الأخص ، كما فعل غيره ، وأنا أسترجع أن يكون عدوي الأصل من رهط عمر بن الخطاب ... رضي الله عنه ... لما سأذكره فيما يتلو الكلام هذا من التحقيق .

ولأنقل إلى رواة الكتاب وأسانيده ولاتصلهم واتصالها بمؤلف الكتاب فعندي نسخة من جبهة أشعار العرب ، من طبعة المطبعة الخيرية بالقاهرة سنة (١٣٣٠ هـ) وهذا أولها « بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب جبهة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام الذين نزل القرآن بالسنتهم واشتقت العربية من ألقاظهم واتخذت الشواهد في معاني القرآن وغريب الحديث من أشعارهم وأستدت الحكمة والآداب اليهم ، تأليف أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ... ونحن ذاكرون في كتابنا هذا ما جاءت به الأخبار المنقولة والأشعار المحفوظة عنهم وما وافق القرآن من ألقاظهم وما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعر والشعراء وما جاء عن أصحابه والتابعين من بعدهم وما وصف به كل واحد منهم وأول من قال الشعر وما حفظ عن الجن وما توفيتي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب . »

وهذه مقدمة رجل لا يطور التزوير بساحته ، لرغبته في الأخبار المنقولة والأشعار المحفوظة عنهم وما وافق القرآن من ألقاظهم وما روى عن الرسول - ص - في الشعر

(١) المرجع المذكور ص ٥٠ .

(٢) لسان الميزان ٦ : ٦٩٢ .

والشعراء ... « فأني باعث يبعثه على التزوير وغاياته البيان والتحرير لا النقص والجرح ولا الدس والتكفير ^(١) ؟! وما أنذا أذكر رواية مقدمة الكتاب وتمهيدته بالترتيب :

١ — جاء في الصفحة الثالثة « فمن ذلك ما حدثنا به المفضل بن محمد الضبي يرفعه إلى عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - ... » وورد في الحاشية « في نسخة [المفضل بن] عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الجهم بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن جده عن أبي ظبيان عن ابن عباس ... » ثم قال في الصفحة الثانية عشر : « والأخبار يا هذا لعمري تطول والشواهد تكثر غير أنها اقتصرنا من ذلك ما حكيناه في كتابنا هذا . قال محمد [بن أبي] الخطاب القرشي | : أخبرنا (أبو عبد الله المفضل بن عبد الله الجهمي) قال سألت أبي عن أول من قال الشعر فأنشدني هذه الآيات ... » .

وجاء في الكتاب - ص ١٩ - قال المفضل : وقد قالت الأشعار المعالقة وعاد وحمود « وفي الصفحة ٢٠ » أخبرنا المفضل قال أخبرني أبي عن جدي عن محمد بن اسحاق وعنه محمد بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن أبي الطفيل عامر بن واثلة قال سمعت علياً - رضي الله عنه - ... » وفي الصفحة ٢٧ « وأخبرنا المفضل عن أبيه عن جده عن محمد بن اسحاق قال : قدم قيس بن عاصم التميمي على النبي - ص - ... » . وفي الصفحة ٢٩ « وأخبرنا المفضل عن أبيه عن جده قال قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لابنه عبد الرحمن : يا بني النسب نفسك تصل رحلك ... » . وفيها أيضاً « وعنه عن أشياخه قالوا قال عمر بن الخطاب ... » . وفيها كذلك « قال المفضل : وقد روي عن الشعبي أنه قال ... » وفي الصفحة ٣٠ « قال المفضل : ولم يبق أحسن من أصحاب رسول الله - ص - إلا وقد قال الشعر ... » . وفي الصفحة ٣٢ « قال : وذكر المفضل أن لبيد بن ربيعة مرة يجلس بني نهيد بالكوفة ... » وجاء في الصفحة ٢٩ « ويشيد هذه الأحاديث عندنا في الجن وأخبارها

(١) يراجع قوله في الصفحة ١٤ « وذكر جماعة من أهل العلم ... » .

وقولها الشعر على ألسن العرب ما حدثنا به المفضل عن أبيه عن جده عن ابن اسحاق عن مجاهد وعن ابن عباس ... » . وفي الصفحة ٤١ « وأخبرني المفضل عن أبيه عن جده قال أخبرنا العلاء بن ميمون الآمدي قال : وكبت بحر الخزر ... » . وفي الصفحة ٦٣ « وأخبرنا المفضل عن علي بن طاهر الذهلي عن أبي عبيدة عن مجاهد عن الشعبي قال قال عبد الملك بن مروان ... » وجاء في الصفحة ٧٧ « وقال المفضل هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط فمن قال : إن السبع تغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه العلم والمعرفة ... » .

٢ - وجاء في الصفحة ٢٢ « قال : » وأخبرني أبو العباس الوراق الكاتب عن أبي طلحة موسى بن عبد الله الخزازي قال حدثنا بكر بن سليمان عن محمد بن اسحاق قال حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ... أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... » . وجاء في الصفحة ٢٣ « وأخبرنا أبو العباس الوراق عن أبي طلحة [موسى بن عبد الله الخزازي] عن بكر بن سليمان يرفع الحديث الى عبد الله بن مسعود قال : ... » . وفي الصفحة ٣٠ « وأخبرنا أبو العباس عن موسى بن عبد الله قال : مررت أبو عبيدة معمر بن المثنى برجل ينشد شعراً (١) ... » .

٣ - وورد في الصفحة ٢٢ « وأخبرنا محمد بن عثمان قال أخبرنا الحسن بن داود الجعفي عن ابن عائشة النيمي يرفع الحديث قال قال رسول الله - ص - اللهم من هجاني فالعنه مكان كل هجاء هجائي لهنته » وفي الصفحة ٢٣ « قال : وأخبرنا محمد بن عثمان الجعفي عن عبد الرحمن بن محمد عن الهيثم بن عدي عن مجاهد عن الشعبي قال : أتى حسان بن ثابت ... » . وفي الصفحة ٢٥ « وذكر محمد بن عثمان عن مطرف الكنتاني عن ابن دأب عن أبي هرزم

(١) وجاء في حاشية الصفحة ٣٢ « في بعض النسخ : وحدثنا أبو العباس الوراق عن أبي طلحة موسى بن عبد الله الخزازي ، قال حدثني أبو بكر بن سليمان عن محمد بن اسحاق قال حدثني هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ... أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ... » . وجاء في الصفحة ٢٧ « قال الخزازي ... » .

العنبري عن الشعبي بأسناده ... » وفي الصفحة ٥٣ « وحدثني محمد بن عثمان عن أبي مسعود عن ابن دأب قال كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ... » وفي الصفحة ٥٤ « وأخبرنا ابن عثمان عن مطرف السكتاني عن ابن دأب في حديث رفعه إلى عبد الملك بن مسلم أن عبد الملك ابن مروان ... » وفي الصفحة ٥٧ « وذكر محمد بن عثمان عن أبي علقمة عن مفلح بن سليمان عن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن زيد عن عمر بن الخطاب عن حسان بن ثابت ... » وفي الصفحة ٧٩ « وذكر محمد بن عثمان عن علي بن طاهر الهذلي قال : كنت عند عمرو بن عبيد أكتب الحديث ... » وجاء في الصفحة ٢٨ باختصار السند « قال : وأخبرنا محمد بن عثمان عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قال ... » .

٤ - وجاء في الصفحة ٢٢ « وفي مصداق ذلك ما حدثنا به سنيد بن محمد الأزدي عن ابن الأعرابي عن مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه قال قال رسول الله ... »
 - ص - ... » وفي الصفحة ٣٨٠ « وحدثنا سنيد بن حزام بن أرطاة عن أبي عبيدة قال حدثني أبو بكر المزني عن شيخ من أهل البصرة ... » . وجاء في الطبعة البولاقية
 - ص ٢٥ - « وفي نسخة : وحدثنا سنيد بن أبي عبد الله الجهمي من ولد جهم بن حذيفة عن أبي عبيدة ... » . وفي ص ٢١ « وفي بعض النسخ عنه عن الجهمي عن أبي عبد الرحمن الأنصاري ثم العجلاني ... » .

٥ - وجاء في الطبعة البولاقية - ص ٣٥ - « في نسخة : وحدثنا محمد بن أبي بكر العمري عن مسلم بن محمد البكري عن بعض البكرين قال : قيل لجرير ... » .
 هؤلاء هم الرواة الذين جاء اسم مؤلف جمهرة أشعار العرب مقروناً بأسمائهم بكلمة « حدثنا » وهو يدل باديء الرأي على لقائه لهم وأخذه عنهم مشافهة .

فأولهم « المفضل بن محمد الضبي » المزور ، لأن الحاشية المعلقة عليه تذكر أنه « المفضل ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن المحبر (كذا) بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب - رضي

مؤلف جمهرة أشعار العرب

الله عنه وسائر الأسانيد تنقض أن يكون المفضل بن محمد الضبي شيخاً للمؤلف ، لأنه توفي سنة (١٦٠ أو سنة ١٧٠ أو سنة ١٦٨) . وذلك بسبب طول سند المفضل الوارد في الجمهرة ، ويكون شيخه غير شيخ المفضل الضبي ، فقد ذكر الخطيب البغدادي أن المفضل الضبي سمع سمالك بن حرب وأبا إسحاق السبيعي وعاصم بن أبي النجود ومجاهد بن روي وسليمان الأعمش وإبراهيم بن مهاجر ومغيرة بن مقسم ^(١) ، ولم نجد أحداً منهم في رجال جمهرة أشعار العرب في أسانيد المفضل ، ولو أريد التدليس باسم المفضل الضبي في أصل التأليف لم نجد في الحاشية في نسخة أخرى هذا المفضل المجبري الآخر ، بل نحن نرى الأمر على العكس ، نرى أحد تلاميذ المفضل وهو أبو محمد بن الأعرابي داخلاً في سند مؤلف الجمهرة « ص ٢٣ » فيستبعد أن يروي الشيخ عن تلميذه في مثل هذا .

إن ورود كلمة « المجبري » في نسب هذا المفضل حملتني على أن أحسبه قبل سبع وعشرين سنة « المفضل الممري » أو المسعري لأنه كان أديباً ومؤلفاً ، قال ياقوت الحموي : « المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد أبو الحسن التنوخي ، كان فقيهاً نحويّاً أديباً ، وكان معتزلياً شيعياً مبتدعاً ، أصله من المعرة وقدم بغداد فأخذ عن علي بن عيسى الرهبي وعلي بن عبد الله الدقيقي ومحمد ابن أشرس النحوي وسمع أبا عمر بن مهدي وأخذ الفقه عن أبي الحسين القدوري الحنفي والصيمري وحدث بدمشق وناب في القضاء بها وولي قضاء بعلبك وحدث عنه الشريف النساب وصنف تاريخ النحاة وكتب الرد على الشافعي ، وكان يضع منه ، مات سنة اثنتين وقيل ٤٤٣ » ^(٢) .

وإنما حسبت « المجبري » تصحيف « المعري » مضافاً إلى المسعري لأن ياقوتاً قال « أصله

(١) تاريخ بغداد ١ : ١٢١ ، وجاء في لسان الميزان ١ : ٨١ ، أن المفضل الضبي روى عن

أبي رجاء الطماردي ، فيما قبل ، وما يظن أنه روى .

(٢) مختصر الجزء السابع من معجم الأدباء ٣ : ١٧١ .

من المعرفة « ولأنه تصحفت إلى « المغربي » من قبل ، فقد جاء في الجزء الأول من معجم الأدياء ص ٤ - ما هذا نصه « ثم ألف فيه القاضي أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المغربي (كذا) كتاباً لطيفاً نقلنا فوائد « والصواب « الممرى » ثم جاء في الجزء السادس ص ٣٢٧ - ما هذا نصه « قال القاضي أبو المحاسن بن مسعر المغربي (كذا) في كتابه : ومن قرأت عليه أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء إلى قطيعة الملحم (كذا) فسكنت أصل إليه في هذا الموضع وكان واسع العلم غزير الحفظ وكان ^(١) حياً في سنة ٤١٥ ولم تتجاوز وفاته سنة (٤٢٠) وما لقيت أحداً من البغداديين يحقق وقت وفاته فأثبتته على الحقيقة » . وقال مؤلف كشف الظنون في الكلام على طبقات النخبة : « وصنف فيه أبو المحاسن مفضل بن محمد البصري (كذا) المتوفى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة » وقال في المادة بعينها مكرراً غائلاً : « وأبو الفرج مفضل بن مسعود الشيوخى المتوفى سنة ... » ^(٢) . فالصواب « الممرى » لا البصري ، و « أبو المحاسن » و « ابن مسعر » لا أبو الفرج ولا ابن مسعود ، وذكره السيوطي في بقية الوعاة « ص ٣٩٦ » بمثل ما ذكره ياقوت وتصحفت فيها مسعر إلى « مسعر » .

فالمعري قد تصحفت على الأستاذ مر غليوث مرتين كما رأيت ، كما التبس أمره على مؤلف كشف الظنون قديماً . أما « المجبري » فقد اشتدت إليه ، فهو منسوب إلى « المجبر » وصوابه « المجبري » قال مصعب بن عبد الله الزبيري في أنساب قريش وهو يذكر أبناء عمر بن الخطاب : « وعبد الرحمن الأصغر وهو أبو المجبر وأمه أم ولد وأخته لأمه زينب بنت عمر بن الخطاب » ^(٣) . ثم قال « وأما عبد الرحمن الأصغر فهالك وترك ابناً له فسمي به ،

(١) ليس هذا من كلام ياقوت بل من كلام القاضي .

(٢) طبعة وكالة المعارف التركية ع ١١٠٧ - ١١٠٨ .

(٣) أنساب قريش ص ٤١٩ .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

فسمته حفصة بنت عمر (عبد الرحمن) ولقبته المجبر، قالت يجره الله، فولده يعرفون بني المجبر منهم عبد الرحمن بن الجبر، أمه أم ولد، روي عنه الحديث، وأم أبيه المجبر: بنت قدامة بن مظعون^(١) ...

وقال شمس الدين الذهبي: «المجبر عبد الرحمن بن المجبر واسمه عبد الرحمن، وما في المشايخ من اسمه عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن^(٢) (كذا) بن عمر بن الخطاب سواه، حدث عن سالم وعنه مائة، وابنه محمد بن عبد الرحمن بن المجبر ضعيف [يروي] عن نافع وعنه حجاج بن منال^(٣). وجاء في لباب الأنساب «المجبر... بفتح الباب عرف بهذا عبد الرحمن بن محمد (كذا) المجبر، وإعنا قيل له ذلك لأنه كان قد انكسر جبر وهو من أولاد عمر بن الخطاب — رضي الله عنه —» وقال بعد ذلك: «المجبري: يضم الميم وفتح الجيم وكسر الباء المشددة الموحدة (كذا) وفي آخرها راء، هذه النسبة إلى المجبر به عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — ...».

وعلى هذا يكون السند الأول لرواية بعض جمهرة أشعار العرب هو «حدثنا المفضل بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الجبر [بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب]». فلا يكون الإسناد والمؤلف والرواة مختلفين كما زعم الأستاذ بروكلمان، وبهذا سقط المفضل الضي من السند لامن الأقوال الأدبية، فقد يجوز أن ينسب إليه شيء منها، وكان بروكلمان يظنه مراداً ومختلفاً معاً، كما أن دعوانا أنه المفضل المعري سقطت بتحقيقنا نحن بعد سبع وعشرين سنة لا بتحقيق الأستاذ بروكلمان، وذلك بوجودنا أن المعري هو «المجبري العدوي المعري».

(١) المرجع للذكور، ص ٢٥٦.

(٢) في الحاشية ما يفيد أن نسخة أخرى لا تكرر عبد الرحمن ثانية وهو المصواب.

(٣) المشددة في أسماء الرجال، ص ٤٦٢.

وقد ذكرنا أن جمهرة أشعار العرب احتوى على ذكر الصحاح تأليف اسماعيل الجوهري وديوان الأدب تأليف خاله الفارابي وقد قارب عمر الجوهري نهاية القرن الرابع للهجرة ، وجاء في الصفحة ١٩٦ ذكر أبي تمام حبيب^(١) بن أوس الطائي المتوفى في الثلث الأول من القرن الثالث للهجرة ، وجاء في الصفحة ١٨٥ ذكر ابن قتيبة^(٢) المتوفى سنة ٢٧٦ هـ وورد في الصفحة ٣٦٣ ذكر أبي زيد الأنصاري^(٣) . ولذلك حسبنا تاريخ تأليف الكتاب في القرن الخامس للهجرة أي الزمن المبتدئ سنة (٤٠١ هـ) الممتد إلى ما قبل تأليف كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني ذلك الكتاب الذي استمد مؤلفه بعض أدبه من كتاب الجمهرة بتصريح وتوضيح . قال : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السبع^(٤) ... » وقد نقلنا ذلك استطراداً آنفاً ثم قال : وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : امرؤ القيس والنابعة وطرفة ومهلل ، قال : وقال المفضل سئل الفرزدق^(٥) ... » وقد نقل السيوطي هذا القول والظاهر أنه اقتبس من كتاب العمدة ، قال : « وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب إن أبا عبيدة ... » ثم قال : « وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو يقول : أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابعة وطرفة ومهلل ، قال : وقال المفضل : سئل الفرزدق^(٦) ... » .

ونقل قول ابن رشيق ، المنقول من الجمهرة ، عبد القادر البغدادي النحوي الأديب المشهور

(١) قال الفرشي : « قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي صاحب مالك بن حوق ... » .

(٢) جاء قوله : « قال ابن قتيبة : مدح نفسه بما يشتم به ... » .

(٣) جاء فيه : « وقال أبو زيد : الأنسي هو الأسير وهو الخائب الذي يركب منه ويخائب ... » .

(٤) العمدة في صناعة الشعر ونقد : ١ : ٦٠ ، ٦١ هـ من طبعة مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٩٠٢ .

(٥) المرجع المذكور : ١ : ٦١ ، ٦٢ هـ .

(٦) الزهر في علوم قلعة وأنواعها : ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٨ هـ من طبعة مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

قال : « وفي العمدة لابن رشيقي . وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه المرسوم بجمهرة أشعار العرب ، إن أبا عبيدة قال ^(١) ... » .

وأنت ترى أن نقل هؤلاء من كتاب الجمهرة لم يشبه الشك في وثاقه وأسانيده ورجال الأسانيد وإن كان القدوة في ذلك « ابن رشيقي » فهو من أشهر نقاد العرب ، والراجح عندنا أن أحسب الوراقين لما رأى أن المفضل بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الجبير [عبد الرحمن] بن عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي العمري ، دون المفضل بن محمد النضي شهرة في التأليف ، حذفه ووضع في مكانه « المفضل النضي » وهو المفضل عنده ، وكتب المساح على تلك النسخة التي حدث فيها ذلك التدليس ، وهذا أمر معروف من حاجة من الوراقين بحرب عليهم .

وأنا أرى أن « الجمهرة في اللغة » لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ اقتدي في تسميتها بكتاب « جمهرة النسبة أو الأنساب » لأبي محمد هشام بن محمد بن السائب السكاكي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ وأن جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ على أحد الأقوال صبت في قالب جمهرة اللغة لابن فريد . وأن جمهرة أشعار العرب سميت ^(٢) إما جمهرة اللغة للدريدي وإما جمهرة الأمثال للعسكري ، وهذه النظرة مما يساعد أيضاً على تعيين عصر المؤلف .

ومما يشيد قولنا إنه ألف في عصر الفاطميين ما ورد في كلامه بنى « البوار » كما جاء في الصفحة ١٧ قال : « وقال علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٣) ... » .

فبار أبو حكم في الوغى هتاك وأسرت الأزدلون

(١) سيرة الأدب ولب لباب لسان العرب ١ : ٨٨ طبعة دار المعصرون .

(٢) مأخوذ من « سنده سامية » قياساً أي صار سمي .

(٣) جاء في الصفحة ٢٠٠ « من أبي الطاهر غامر بن وائلة قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول : »

ثم قال في الصفحة ٢٠٥ « فأنى عمر رضي الله عنه ، فذكر له مثل ذلك فأنى علياً عليه السلام ... » وكرر ذلك في ٢٨ وقد نقضناه آنفاً .

وقال أبو بكر — رضي الله عنه ... « فقد ميز بين الاحترامين والاجلالين ، وقال في الصفحة ٣٥٥ « الخوارج : الذين خرجوا على سيدنا علي عليه السلام » . هذا ومن الأمور التي تعين على معرفة عصر المؤلف درس لغة الكتاب ^(١) وأصطلاحاته وعبارته كما قررنا في أول البحث ، فقد سمي المعلقات أولاً « السبع الطوال وهي التي سمها العرب « السموط » ثم ذكر الجمهورات والمنشقيات والمذهبات والمراثي والمشويات والملحيات « ص ٧٥ » ثم جاء في الصفحة — ص ٨٧ — ذكر ما سمي « المعلقات » . فسميت المعلقات « معلقات » ليجد اسم المعلقات في كتاب العمدة لابن رشيق المتوفى سنة ٤٥٦ هـ ، قال ناقلاً كلام محمد بن أبي الخطاب القرشي : « وقال المفضل من زعم أن في السبع الطوال التي تسمى السُمُوط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . فأسقط من أصحاب (المعلقات) عنزة والحارث بن عذرة وأثبت الأعشى والنابغة . وكانت المعلقات تسمى (المذهبات) وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القبايلي بداء الذهب وعلمت على الكعبة ، فلذلك يقال : 'مذهبة فلان إذا كانت أجود شعرد' ^(٢) ... » . وقد ذكرنا أن عبد القادر البغدادي نقل هذا القول في كتاب خزانة الأدب ^(٣) ونحن نجد فرقاً بين ما قاله ابن أبي الخطاب القرشي في جهرة وما نقله منه ابن رشيق القيرواني ، فالذي في الجمهرة « فمن قال إن السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة » ^(٤) . فليس في نص الجمهرة لفظ

(١) جاء في الصفحة ٣٧٨ : « وشيئاً من السكرت الذي يكون دجلاً ، هكذا يشك كبر السكرت من أنها مؤنثة عند العرب وهذا يدل على كون لغة الكتاب من أسنن الزمان ، كما يجوز أن يدل على أن المؤلف متأخر العصر .

(٢) العمدة ١ : ٦١ .

(٣) خزانة الأدب ١ : ٨٨ .

(٤) الجمهرة ٥ : ٧٥ .

مؤلف جمهرة أشعار العرب

« أبطل » وليس في العمدة « فقد خالف ... » الخ والظاهر ابن رشيق كان يجيز النقل بالمعنى فأدى معنى العبارة بأخرى .

وورد في وفيات سنة ٢٦١ هـ من تاريخ الطبري وفاة داود بن سليمان الجعفري فان كان والد « الحسن بن داود الجعفري » المذكور في أسانيد جمهرة أشعار العرب « ص ١٨٨ من هذه المجلة » كانت رواية المؤلف إذن عن محمد بن عثمان عن الحسن بن داود الجعفري عن داود ابن سليمان الجعفري المتوفى سنة « ٢٦١ هـ » .

وها هنا أقف من دراستي « جمهرة أشعار العرب » المطبوعة بالمطبعة الخيرية دراسة تاريخية ودراسة داخلية ، وقد قابلت بينها وبين الطبعة البولاقية لسنة ١٣٠٨ ، فألفت أخيرة مقتضية بتلك في أكثر حواشيهما فأيقنت أنها مأخوذة منها ، ولم أجد في البولاقية ما يعين على إدراك البغية في هذا البحث أكثر مما أعانت عليه الأخرى ، حتى أنني لم أجد ذكر الصحاح في الحاشية كما ادعى الأستاذ بروكلمان بل وجدته في متن الكتاب أيضاً « ص ١٦٥ » وكذلك ديوان الأدب « ص ١٤١ » ورجوت أن أستفيد من كتاب « صفوة أشعار العرب » من مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ^(١) ، المحتوية على أكثر شعر الجهرة ، التي تكاد تكون جزءاً من كتاب « منتهى الطلب من أشعار العرب » ^(٢) فلم أجد فيها من التاريخ سوى أنها نسخت سنة ٨٢٧ هـ وهو التاريخ الخارج عن نطاق البحث ، لحداثته بالنسبة الى تاريخ تأليف الجهرة ، والله تعالى الهادي الى سواء السبيل .

مصطفى حوار

(١) الرقم ٦٦٠٨ وارد وصفت في مجلة سورس ٣ مج ١٤ ج ٢ ، ص ١٣١ سنة ١٩٠٨ هـ بأنها جمهرة أشعار العرب وقد أشيرنا الى ذلك في حاشية ص ١٨٣ .

(٢) راجع تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٥ ج ١ ص ٢٧ من الترجمة العربية ، واستندرا كنا على بروكلمان في هذه المقالة ص ١٨٣ من هذا الجزء من المجلة .

وزراء السلاجقة في عصرهم

عندما دخل الكندري^(١) بغداد مدحه أبو الجوائز الواسطي وقال انه كان لطعرك ما كان الخواريون لمحمد^(٢) ، ومدحه صردر^(٣) فكان مما قال :

عمت فواضله البرية فالتقى شكر الغني ودعوة المسكين
ساس الأمور فليس تخلى رغبة من رهبة وبسالة من لين

وكانت صلة الباخري بالكندري وثيقة ، وقد أثنى الشاعر على معارف الوزير وأعلى على علمه باللغات (بما فيها التركية) والفقه والفلسفة^(٤) . وكان المنتظر أن يرثيه ويكمل نهايته المؤلمة التي أضافها لها نظام الملك وأب أرسلان ، ولكنه لم يحقق هذا الطن ، فقد كانت قصيدته هزيلة وأبياته سببا سخيفة تنبؤ عن الدوق إذ طالب السلطان بـ :

وتحك أدناه وأثنى محله وبوتاه من ملكه كنفا رجا
قضى كل مولى منكما حق عبده نقولك الدنيا وخولته العقبى^(٥)

لم يستطع شعر العصر السلجوقي أن يبي بعض مكانة الوزير ، وإن يحفظ لنا ما كان له من خطر وما كان عليه من عصامية .

(١) أبو نصر عميد الملك منصور بن محمد توفي عام ٤٥٦ هـ ينظر منه البنداري ص ٢٦ ، إن خلسكان
٢ : ١٨٨ - ١٩٢ هـ . ومن أهم الأعلام التي ورد ذكرها في هذه المقالة الجزء الأول من كتاب
العصر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، بغداد ١٩٤٨ .

(٢) النصره ص ١٢٠ .

(٣) ديوان صردر ٥٣ - ٥٦ .

(٤) الملتقط ص ١١ .

(٥) إن خلسكان ٢ : ٤٩١ .

وزراء السلاجقة في شعر عصرهم

وكان نظام الملك أعظم وزير سلجوقي ، وقد ذكر الطغرائي أصله الفارسي ، ووجهه المنير ومدح قلمه وسيفه وجيشه بين الفرات وجيحان وحروبه مع البيزنطيين فقال :

رمى بنواصمها الفرات فأقبلت مغيبة الأعطاف تلح المناكب
وغاض بها جيحان يلطم موجه ملاطمة الخصم الأله المشاغب
خميس أقاصى الشرق ترزم تحته وترنج منه أخريات المغارب

يلفهم بالرعب قبل طرادهم ويترهم بالكتب قبل الكتائب^(١)
وقال :

وماراع أهل الشام إلا اطلاعها رفاق الظبي والمقربات السلاهيـب

ولما رأها الروم أيقنت أنها سحاب لهاودق من الدم مسكوب
وما طلعت إلا وفي كل زعرة بها منير الدين الحنفي منصوب
وكم لك فيهم وقعة بعد وقعة جمعت بها الأهواء وهي أساليب
صدقهم حد الطعان فأدبروا وبرد المنى بين الجوانح مكروب
ولما أتوا مستسلمين معاذراً غدوا ولهم أهل لديك وترحيب
رأوك ، فلا في ساعة البأس سطوة عليهم ولا في صفحة العفو تقليب^(٢)
وأطرى عزمه ودهاءه :

يعزم إذا ما انساب في منهلمة من الحرب لم يرتد إلا على فصل
خفي مدب الكيد يكتم سخطه رضاه ويسقى السم في حجة النحل

(١) ديوان الطغرائي ص ١١ - وقد وردت للمغارب على : غوارب .

(٢) ديوان الطغرائي ص ١٢ - ١٨ .

ضميرم على اللهم البعيد جنانه وقور^(١) إذا القوم استظفروا من الجهل

به اعتدل الملك الذي مال ركضه ومادت غصون العيش موقرة الجمل^(٢)

وعندما خلع السلطان ملك شاه على وزيره ، وصف الطغرائي هذه الخلعة :

حيالك بما تحبو به كل زائر غدا بيتني اخلاف نائلك الجزل

وما ذاك كي تزداد عزاً وإنما أبان به عن رأيك المحكم الجدل

بمرومية نصبي العقول كأنما تخاليت منها بين قولك والفعل

رفلت بها في مثل اخلاقك التي بها عاد شعب المجد ملتئم الشمل

ومستطعم فضل العنان كأنما يلاعب عطفه سحق من النخل

إذا هزّه جن المراح توقرت بأطرافه أعباء جملك والفضل

وأبيض طاغي الحد برعد منته بخافة عزم منك أمضى من النصل

عظيم بأسرار المنون كأنما على مضربيه أنزلت آية القتل

تفيض نفوس الصيد دون غراره وتطفح عن مثليه في مدرج النمل^(٣)

والطغرائي اذ يصف نظام الملك ويتحدث عن اخلاقه وحروبه وخدمه ، انما يتحدث

عن رجل رآه عن كذب ، ولم يبتعد - حتى في مبالغاته - عن الحقيقة التاريخية .

وهو - دح نظام الملك - غير الطغرائي - شعراء كثيرون منهم : الباخريزي^(٤) وابن

(١) ديوان الطغرائي ص ١٤ .

(٢) نفسه ص ١٣ .

(٣) الأجنح ١٠٨ - ١٠٩ .

وزراء السلاجقة في شعر عصرهم

الهمسارية^(١) والأبيوردي^(٢) وشبل الدولة^(٣) وابن زكرويه الأنباري^(٤) والبندنجي^(٥)
ومحمد بن أحمد الأصهباني^(٦) ومحمد المختار الزوزي^(٧) وابن الموصلاني^(٨).

ولا نكاد نعرف من مرثيته غير قول « ختنه » شبل الدولة مقاتل :

كان الوزير نظام الملك أولئدة نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها فردّها غيرةً منه إلى الصدف^(٩)

ومن الناس من فرح لموت الوزير فردّ عليهم شديد الملك المفضل بن عبد الرزاق

(العارض في أيام ملكشاه) :

قتل الوزير فكلهم جذلاف لا تشمتوا فبراءه الحدائق

الملك بعد أبي عليّ لعبة يلعب بها النسوان والصبيان^(١٠)

وهذا ما حدث ، فقد أستولت ترکان خاتون - زوجة السلطان ملكشاه - وأخذت

البيعة لابنها محمود (وكان عمره أربع سنين وشهوراً)^(١١) .

(١) مرآة الزمان لبيد بن الجوزي .

(٢) ابن الأثير سن ١٢٧ = ديوان الأبيوردي ١٢٩ - ١٢٠ ، ٢٧٧ ، وتظهر من ٢٨ - ٣٠

- ٢٤٧ .

(٣) الحريرة ، المجلد الأول ، و ٨٠ أ ، ابن خلسكان ٢ : ٦٩ .

(٤) خريدة العراق ، المجلد الأول : ابن زكرويه .

(٥) خريدة العراق ، د . البندنجي .

(٦) الحريرة من ٢١٠ - ، المحدثون من ٤١ .

(٧) الحريرة ج ١ من ١١ .

(٨) الحريرة ج ١ من ١٩٨ - ١٤٢ .

(٩) ابن خلسكان ١ : ٢٥٧ .

(١٠) الحريرة ج ١ ، محمد . ابن ١٩ - ١٠٠ = للطبوغ من ٩٤ .

(١١) تظهر النسخة و ٧٢ أ ، ابن الأثير ١١ : ١٢٥ - من ١٨٥ (= ١٩٤ : ٩ من ط .

الاستاذة) .

ابراهيم السامرائي

ولا بد أن نعرض لهذه اللغة القريية من النصيحة بالبحث ، والتي نحن سائرون إليها في مستقبلنا القريب أو البعيد لتحديد صفاتها ويزاتها التي تتميز بها ثم نخلص من ذلك إلى البحث التاريخي لنقرر مرحلة من مراحل تاريخ العربية الطويل ، فالتاريخ المعوي من الأمور الغامضة ، ذلك أن الباحث لا يبتدي إلى المراحل التطورية في هذا التاريخ الطويل وربما انقطعت عنه حلقات أولية وضاع أثرها وبهذا فليس من الممكن رسم تاريخ محكم الحلقات لهذه اللغة ، فلقد ضاع من أصولها شيء كثير ، ومن أجل هذا فهي بدع في اللغات الحية المتطورة على قوتها واصلاتها وحيويتها وقابليتها في مسيرة الزمن وتطورده . ولقد أثر عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال : (ما انتهى اليكم عما قالت العرب إلا أقله ، ولو جاءكم وافرأ لانتهى اليكم علم وشعر كثير)^(١) .

وأنا افترض أن تكون هذه اللغة القريية من النصيحة ، والتي تكاد تخلو من أي لفظ دخيل عامي ، متخلفة من قيود الإعراب والكلمات فيها ساكنة الأواخر ، ولعل هذه المرحلة مهمة في العود إلى النصيح المعرب كما هو الحال في اللغة المكتوبة والتي ورثناها في التراث العربي ، كما هو الحال في لغة القرآن الكريم .

ولا بد أن نعرض للإعراب عرضاً تاريخياً فنقول : لقد احتفظت اللغة العربية النصيحة بظاهرة الإعراب ، وهي من صفات العربية الموهلة في القدم في حين أن سائر اللغات السامية - عدا الأكديّة - قد فقدت الإعراب منذ أقدم العصور ، وقد دل على هذا الإعراب بقايا نجدها في العبرية والحبشية^(٢) . أما في اللغة الأكديّة فقد عرفت الحركات الثلاث في البابلية في النصوص القديمة ، ثم تطورت هذه الحركات الثلاث وانتهت إلى حركتين هما الضمة للرفع والفتحة للنصب والجر ، ولم تلبث هذه المرحلة الأولية حتى تطورت إلى مرحلة الحركة

(١) ابن الأنباري ، نزهة الألباء ص ٢٢ .

(٢) Bergstraesser ، التطور المعوي ص ٧٠ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

الواحدة وهي الكسرة المائلة .

ولعل علاقة اللغة النبطية بالعربية وقرينها منها اوجد الاعراب من النبطية كما تؤيد ذلك النقوش التي عثر عليها . وقد ذهب Noldke المستشرق الألماني الى أن النبط كانوا يستعملون الضمة في حالة الرفع ، والفتحة في حالة النصب والكسرة في حالة الجر ، ولا يعقبون هذه الحركات بالنون^(١) . وعدم وضع النون بعد الحركات يشبه ما هو شائع في قسم من لهجات العربية الدارجة ، ومن ذلك ما هو مستعمل في لهجة اهل الموصل في العراق ، وفي غير الموصل كما في الاقطار العربية الاخرى .

ويرى المستشرق E. Littmann أن أواخر الكلمات في اللهجة النبطية قد يحدث فيها تغيير بحسب موضعها في الاعراب^(٢) . والاعراب أثر في اللغة العبرانية يتبينه الباحثون في حالتها المنعولة به وفي ضمير التبعية^(٣) ، على أن هذا الأثر ضئيل جداً ، فقد أوشكت تخلص لغة العهد القديم من الاعراب . غير أن علامة النصب في العبرية القديمة هي الفتحة الطويلة التي نشأ عنها حرف الهاء ، والهاء المتطرفة في هذه اللغة تشبه الألف اللينة ، ومن أجل ذلك تعامل معاملة أحرف المد ، وتظهر هذه في آخر الاسم المنصوب بترع الخافض ، كما في آخر ظرف المنصوب (ليلا)^(٤) وتعني (ليل) ، و (عتاً)^(٥) وتعني (حين) . وكما

(١) Th. Noldke, Die Semitischen Sprachen. Leipzig 1899, S. 51 f.

(٢) E. Littmann Inscriptions Leiden 1914 P. 57 ff.

(٣) وانفسون ، تاريخ اللغات السامية ص ١٢ .

(٤) نكتب الهاء في العبرية في آخر الاسم ولا نلفظ .

(٥) ربما ثابت هذه السكنة في العربية (حتى) فقد قرأ ابن مسعود (حتى - حين) في قوله تعالى (أليس الله اعلم) (يوسف ٢٤) وهي لغة هذيل التي تنهاه عمر أن يقرئ . الناس بها . أنظر الزحطري ، السكشاف ٢/٦٤ ، مطبعة الاستقامة ١٩٤٦ . وقرأه ابن مسعود من شواذ القراءات ، أنظر ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن .

تلتحق هذه العلامة الظروف، فانها تلتحق المصدر فينصب كما هو في المفعول المطلق في العربية ، ولكنها في هذه الحالة تكون متأولة بيم زائدة (للتعميم) الذي يقابل التنوين في العربية ^(١) ، مثال ذلك (يومام) وتعني (يوماً) و (حذام) وتعني (حجاًناً) ، والمتابع لشوارد النصوص في اللغة العبرية ربما وجد آثاراً تشير الى شيء يشبه الضمة والكسرة ، ولعلها بقايا لضمة وكسرة كانتا مستعملتين في العبرية القديمة .

ويعمل المحدثون — وجلهم من المستشرقين — ظاهرة الاعراب في العربية وفي سائر اللغات السامية بخلاف هذه اللغات من ادغام للكلمات أي وصل كلمة بأخرى لتتكون من الكلمتين كلمة واحدة لها معنى مركب منها كما في اللغات الآرية ^(٢) . وليس من حجة علمية تاريخية تثبت صحة هذه الدعوى ، والذي ثبت في التحقيق العلمي أن في العربية تراكيب كثيرة ، وانها استعادت من التركيب لتكثير المعاني والتباني ، وقد اعتمد البناء في العربية على التركيب بصوره المختلفة ، وكان مذهب الخليل بن احمد أن الكلمتين اذا ركبتا ولكل منهما معنى وحكم اصبحت لهما بالتركيب حكم جديد ^(٣) . وتبع الخليل في مقالته جمهور الكوفيين ومنهم الكسائي والفراء . ومن أجل ذلك فليس عدم التركيب علة في الاعراب ، وذلك لوجود التركيب والاعراب في العربية في الوقت نفسه .

ويختلف الرأي في دلالة الحركات على المعاني الاعرابية بين القدماء والمحدثين في اللغة العربية . وأول من أشار الى هذه المشكلة من القدماء هو الخليل بن احمد ، ذكر سيبويه ^(٤) أن الخليل قال : « ان الفتحة والكسرة والضمة زوائد وهن يلحقن الحروف ، ليوصل الى

(١) أنظر (التنوين في العربية) الجزء الثالث من مجلة كلية الآداب والعلوم ، ١٩٥٤ .

(٢) Carl Brockelmann. Grundriss, I. S. S.

(٣) ابن جني ، سر صناعة الاعراب — شرح السكاف — .

(٤) سيبويه ، السكتاب ٣١٥/٢ .

في تاريخ المشكلة العربية

التكلم به والبناء هو الماكن لا زيادة فيه ولعل الجدل في دلالة هذه الحركات على المعاني الاعرابية وحسب عدم دلالتها على ذلك ، دار بين قلاميذ سيبويه والكسائي فذهب جمهورهم مذهب الاول ، وذهب آخرون مذهب الثاني .

ويمثل رأيي الداهيين الى أن الحركات كان دوال على معان اعرابية ، أبو القاسم عبد الرحمن ابن اسحق الزجاجي ، فقد نقل السيوطي في الاشباه والنظائر^(١) قوله : « إن الأسماء لما كانت تعبورها المعاني وتكون فاعلة ومنفعولة ومضافة ولم يكن في صورها وابنيها ادلة على هذه المعاني ، جعلت حركات الاعراب تبين عن هذه المعاني وتدل عليها ليتسرع لهم في اللغة ما يريدون من تقديم وتأخير عند الحاجة » .

ويمثل رأيي الطائفة الأخرى قطرب أبو علي محمد بن المستنير وهو تلميذ سيبويه ، قال قطرب : إنما أعربت العرب كلامها ، لأن الأسم في حال يلزمه السكون للوقوف ، فلو جعلوا وصله بالسكون وأمكنهم التحريك ، جعلوا التحريك معاقباً للاسكان ، ليتبدل الكلام . ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك وساكن ، ولم يجعلوا بين ساكنين في حشو الكلمة ، ولا في حشوييت ولا بين احرف متحركة ، لأن في اجتماع الساكنين يبطئون في كثرة الحروف المتحركة ، ويستعجلون ، وتذهب الصلة في كلامهم ، فجعلوا الحركة عقب الاسكان^(٢) .

وفي هذا الرأي توضيح وإبانة لرأي الخليل الذي اسلفنا ذكره ومن ذهب مذهب قطرب من المحدثين الدكتور ابراهيم أنيس ، ولكنه حلاله أن يلتزم بالرأي مقصلاً فيه وكأنه أول من قال بهذا الرأي^(٣) . والوجه في هذا الرأي أن هذه الزوائد الاعرابية يلجأ اليها لامور فنية (Technique) ، وهو أن الموسيقى والانسجام يستدعيان هذه الزوائد

(١) السيوطي ، الاشباه والنظائر ١/ ٧٦ - ٧٨ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٩ .

(٣) ابراهيم أنيس ، من سرار اللغة ص ١٤٢ .

الإعرابية ، ومعنى هذا أنه ليس للحركات الإعرابية مدلول ، وإن الحركات لم تكن تحدد المعاني في أذهان العرب الأقدمين ، وهي لا تعدو أن تكون حركات يحتاج إليها في كثير من الأحيان لوصل الكلمات ببعضها ^(١) . ويرى الدكتور انيس أن « النحاة قد ابتكروا بعض ظواهر الإعراب ، وقاسوا بعض الأصول ، ورغبة منهم في الوصول إلى قواعد مطردة منسجمة » ^(٢) . ثم أنه يفترض انترافاً لا يقوم على أساس علمي تاريخي ، فيقول : « ولعلهم تأثروا بما رأود حولهم من لغات كالإيونانية ، ففيها يفرق بين حالات الاسماء التي تحصى « Cases » ويرمز لها في نهاية الاسماء برموز معينة » ^(٣) . ولقد فاته أن الإيونانية تختلف نحواً وطبيعة عن العربية ، ولم يكن راضع النحوي عارفاً أو متأثراً بالإيونانية بأي وجه من الوجوه ، والقول بالتأثر بالإيونانية في الثقافة العربية الإسلامية شائع عند الكتاب المصريين ، على مثل هذا ذهب كل من الدكتور طه حسين والأستاذ أحمد أمين والدكتور ابراهيم مذكور ^(٤) والدكتور ابراهيم سلامة ^(٥) . وقد بنى ابراهيم مذكور رأيه في تأثر النحوي العربي بمنطق أرسطو على أمور :

(١) اعتبار القياس أصلاً من أصول النحوي وتحديدته ووضعته على نحو ما حدد القياس المنطقي ثم التشابه بين ما جاء من تقسيم الكلمة عند سيدييه إلى اسم وفعل وحرف وما جاء من تقسيمها عند أرسطو إلى اسم وفعل وأداة .

(٢) ظهور النحوي السرياني في مدرسة نصيبين في القرن السادس الميلادي على مقربة من

(١) المصدر السابق ص ١٥٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٩ .

(٣) المصدر السابق ص ١٦١ .

(٤) ابراهيم مذكور ، مجلة مجمع مؤاد الأول لغة العربية ١٩٤٨ - ١٩٤٩ (منطق أرسطو نحو

والنحو العربي) .

(٥) ابراهيم سلامة ، بلاغة أرسطو بين العرب واليونان .

في تاريخ المشكلة اللغوية

النجاح العرب الأولين ، ثم ترجمة عبد الله بن المقفع لمنطق أرسطو التي تعد كما يقول بروة جديدة نقلت الى العالم الاسلامي ، ثم تلمذة بعض السريان على الخليل بن أحمد كحنين بن اسحاق الطبيب السرياني المعروف الذي كان له أثر في نقل علوم اليونان . وقرر الدكتور أن حينئذ قد عاصر الخليل وسيبويه ، وليس مذكور أول من ذهب الى هذا ، فقد قال بهذه المقالة قدماء ومحدثون .

ومن القدامى ممن ذهب الى هذا ابن أبي أصيبعة في (عيون الانباء)^(١) ونقل هذه الرواية القفطي^(٢) ، وقد ذهب الأستاذ أحمد أمين هذا المذهب من المحدثين^(٣) ، ورد هذه الأقوال يقوم على أن الخليل لم يعاصر حينئذ وفاة الخليل كانت في سنة ١٨٠ أو قبل ذلك أو بعده بقليل ، وإن ولادة حنين لم تكن قبل سنة ١٩٤ ، فلم يدرك إذاً حنين الخليل ولا رآه ، والزعم باطل من أساسه . والقول بهذا التأثير نتيجة تقليد هؤلاء المحدثين المستشرقين في أقوالهم ، فإلى مثل هذا ذهب (دي بور) في تاريخ الفلسفة في الاسلام^(٤) . ويستدل الدكتور ابراهيم أنيس بخلو اللهجات الاقليمية الحديثة من الاعراب على عدم شيوعه في اللغة العربية في مراحلها الأولى^(٥) ، على أننا لا يمكننا أن نجعل من خلو اللهجات الدارجة من الاعراب دليلاً على أن الاعراب ظاهرة لم تكن موجودة في العربية الأولى^(٦) ، وقد رأينا أن اللغات السامية جميعها كانت معربة ثم زال اعرابها في العهود التي تعاقبت على مراحلها الأولى . وقد أمثال الدكتور علي عبد الواحد وافي في الرد على

(١) ابن أبي أصيبعة ، عيون الانباء ١/ ١٨٤ .

(٢) القفطي ، اخبار العلماء باخبار الحسكة ١١٧ .

(٣) أحمد أمين ، ضحى الاسلام ١/ ٢٩٥ .

(٤) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام .

(٥) ابراهيم أنيس ، من اسرار اللغة ص ١٣٩ .

(٦) علي عبد الواحد وافي ، لغة اللغة ص ١٣ .

ابراهيم السامرائي

زميله الدكتور أنيس في كتابه « فقه اللغة » .

وقد عرض الأستاذ ابراهيم مصطفي للموضوع نفسه ، فقرر أن الحركات دوال على معان ، بل ان من أصول العربية الدلالة بالحركات على المعاني ، ثم هو يقول : « وما كان للعرب أن يلتزموا هذه الحركات ويحرصوا عليها كل الحرص ، وهي لا تعمل في تصوير المعنى شيئاً . ونحن نعلم أن العربية لغة « الايجاز » وأن العرب كانوا يتخففون ما وجدوا السبيل الى ذلك ويحذفون الكلمة اذا فهمت والجملة اذا ظهر الدليل عليها ، والاداة اذا لم تكن الحاجة مايجئ إليها . وعندنا أن الفتحة ليست علامة اعراب ، ولا دالة على شيء ، وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، فهي بمثابة السكون في لغة العامة ^(١) ، وأما الضمة فهي علم الاسناد أما الكسرة فانها علم الاضافة ^(٢) . ورأى الأستاذ ابراهيم مصطفي في دلالة الفتحة غريب ، فقد دلت المقارنات على أن الفتحة وجدت في حالة النصب في كثير من اللغات السامية ، ولم يكن هناك من سبب لفتحة « المستحبة » كما أسماها . ويرى الأستاذ Marcel Cohen أن هذه القواعد المتشعبة الدقيقة وخاصة قواعد الاعراب لم تكن مراعاة الا في اللغة الفصيحة الأدبية . أما لغة التخاطب ، فلم تكن معربة ^(٣) . وهو يستدل على ذلك بأن قواعد هذا شأنها في الشعب والدقة وصعوبة التطبيق وما تتطلبه من الانتباه وملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض ، كل هذا غير ممكن في لغة التخاطب ، وإنما هو من اختصاص اللغة الفصيحة . لغة السفر والمهذبة . أما الأستاذ (فك) المستشرق الألماني فيرى أن الحركات صفة من صفات العربية ، وسمة من أعلامها

(١) ابراهيم مصطفي ، احياء النحوي ، ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٠ — ٩٠ .

(٣) M. Cohen, Les Langues du monde عن فقه اللغة للدكتور علي عبد الواحد وآل ص ١٣٠ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

اللغوية ، والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة ^(١) . وعنده أن العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللهجات واللهجات الإقليمية في الحواضر .

وأريد الآن أن أبسط رأياً ، وهو أن العربية التي ورثناها ، والتي نعرف من أجزائها الشيء الثابت الصحيح ، لا تتعدى الإسلام في التاريخ الزمني كثيراً . ومعنى هذا أن العربية الممثلة في لغة التنزيل ، هي العربية التي نقيم عليها البحث والدرس ، وما العربية الجاهلية إلا شيء من هذه العربية الإسلامية ، ولا أريد أن أقول بنظرية الانتحال ، ففي الجاهلية أدب كثير فيه الصحيح وفيه الموضوع ، ولكن لا أستطيع أن أجعل مادة للدرس والبحث ، هذه النصوص الجاهلية التي لا نعرف عن بدايتها ونهايتها كثيراً ، وأترك هذه النصوص الإسلامية وفي مقدمتها كتاب الله . والعربية — ممثلة في القرآن — لغة عالية سلخت من تاريخها مراحل طويلة ، حتى انتهت إلى هذا الشكل من السكال . والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين وقضت بذلك على آثار اللهجات الإقليمية . وأريد أن أخلص إلى أن هذه اللغة العالية قد ثبتت من أصول اللغة وقواعدها ، وأنها التزمت الأعراب الذي لم يكن شائعاً ومستعملاً على نحو ما التزمت به نصوص القرآن وسنأتي على إثبات هذا الرأي . ومعنى هذا أن العربية في لهجاتها المتعددة لم تكن متقيدة بهذه الضوابط الثقيلة ، ولكن هذه اللغة هي التي جعلت الأعراب السمة الملائمة للعربية ، والتي أريد لها أن تكون ملازمة

والبحث في تاريخ القرآن يدلنا على الجهود التي بذلت كي تسود لغة التنزيل في وضوحها والتزامها الأعراب ، فقد ورد أن عمر بن الخطاب سمع رجلاً يقرأ (عتي حين) في قوله تعالى

(١) يوهان فلك ، العربية (ترجمة الديبلر) ص ٣ .

ابراهيم السامرائي

« ليس جنة حتى حين » ^(١) فقال : من أقرأك ؟ قال : ابن مسعود . فكتب اليه : إن الله أنزل هذا القرآن عربياً ، وأنزله بلغة قريش ، فأفري الناس بلغة قريش ، ولا تقرهم بلغة هذيل ^(٢) . وفي الأخبار أن عمر منع أن يؤخذ بقراءة جماعة من القراء .

وما استطاعت لغة القرآن والحديث أن تأتي على اللهجات الدارجة المحلية ، أو قل على العربية المستعملة السهلة ، والتي تتخفف من قيد الضوابط الثقيل . ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك بأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة أخرى يقو لها الناس ويستعملونها دون أن ينسب يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط ، وربما تعدى الأمر مسألة الإعراب إلى الألفاظ نفسها ، فقد يكون في اللفظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وأنه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب أنفسهم بغيرهم من الاقوام والاتصال حاصل في كل عصر ، فالعرب في أطراف الجزيرة قد تريباً لهم أن يتأقمو أقواماً غيرهم ، فلم تسلم بذلك سليقتهم . ومن أجل ذلك حرم على الأخذ بقراءة

تعتمد على لغة قريش ، وإلى مثل هذا كان يرمي عثمان من جمعه القرآن ليكون المسلمون مجتمعين على قراءة واحدة فينبذوا ما كان عندهم مما هو مخير لما اتفق عليه . ولا يعدم الباحث أن يجد في كتب التفسير والقراءات وكتب التريب وكتب النحو من هذا الباب شيئاً كثيراً من القراءات . ومرد ذلك أن الناس قد فطروا على أساليب في التعبير خاصة بهم ، وبذلك قرأوا . وأن طائفة كبيرة من هذه القراءات الخاصة اعتبرت من شواذ القراءات . والشواذ من القراءات هي ما خلا تلك التي انتشرت بواسطة القاريء المشهور ابن مجاهد المتوفى سنة ٣٢٢ . كقراءة ابن مسعود وقراءة أبي بن كعب واختيار الحسن البصري وامثالهم وهي تعد في باب الشواذ ^(٣) ، وقد ألف غير واحد من الأقدمين في موضوع

(١) يوسف ٢٠ .

(٢) الزمخشري ، الكشاف (٣ / ٤٦٨) .

(٣) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن (المقدمة) .

في تاريخ المشكلة اللغوية

الشواذ كالعكبري في كتابه اعراب القراءات الشاذة ، والأهوازي وابن عطية والمهدوي ولم نعرف مؤلفات هؤلاء ولم يصل إلينا منها شيء ، كما اندثر كتاب الواضع في القراءات وكتاب المحتوي للبدائي .

ومن أمثلة هذه الشواذ التي لا تدل إلا على اللهجات الدارجة أو اللهجات الاقليمية ما جاء من شواذ سورة الفاتحة :

قرأ أبو السوار الغنوي « هياك »^(١) بالهاء المكسورة في الآية الخامسة « اياك نعبد » وقد قرأ عمرو بن فايد « اياك » بالتخفيف ، وقرأ جناح بن حبيش « نستعين » بكسر النون^(٢) .

وجاء من شواذ البقرة : قراء : يحيى بن وثاب : « ولا تقر بها هذه الشجرة » بكسر التاء ، وقرأ أبو السمال « هذه الشجرة » بكسر الشين ، وقد قرئت « هذه الشريعة » بكسر الشين والياء حكاه أبو زيد^(٣) . وقراءة الشجرة بإبدال الياء من الجيم إثبات للهجة من اللهجات التي تلتزم هذا الإبدال الذي ما زال حاصلاً في لهجات القرويين في جنوبي العراق . وقد قرئ « بين المرء وزوجه » بدون همز مع تشديد الراء^(٤) .

وقرأ مسلمة بن محارب « بموطن » من قوله تعالى : « ولعمولهن أحن بردهن » بحزم التاء^(٥) ، ومعلوم أن « البعولة » جمع « بعلى » كما أن « السهولة » جمع « سهيل » . وعندى أن اختلاف القوم في صيغ الجموع ، راجع إلى اللهجات الاقليمية ، ومعنى ذلك

(١) المصدر نفسه . (شواذ سورة الفاتحة) .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه (شواذ سورة البقرة) .

(٤) المصدر السابق (شواذ سورة البقرة) .

(٥) المصدر السابق .

ابراهيم السامرائي

ان كل قبيلة الفت صيغة من صيغ الجمع لاسم معين ، في حين أن القبيلة الأخرى الفت صيغة أخرى .

وجاء في شواذ سورة المائدة قراءة بعضهم « لعباً » بكسر اللام واسكان العين في قوله تعالى : « واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً » .

وجاء في شواذ سورة الاعراف « الجُمْل » في قوله تعالى : « حتى بلغ الجمل في سم الخياط » بضم الجيم وتشديد الميم وفتحها ، وهي قراءة ابن عباس ^(١) ، ومعلوم أن صيغة (فُعْل) من صيغ جموع التكسير بضم الفاء وفتح العين وتشديد هاء ، لا يكون مفرداً إلا فاعلاً مثل « رَأَ كَم » وجمعها « رُكْع » ، في حين أن مفرد (جُمْل) هو « الجُمْل » بضم فإسكان ومعناد الجمل ^(٢) . وقد قرأ أبو السمال (الجُمْل) بفتح الجيم واسكان الميم ^(٣) .

ومن شواذ سورة طه قراءة عكرمة « اهس » ^(٤) بالسين في قوله تعالى : « اهش بها على غنمي » .

ومن شواذ سورة الأنبياء قراءة ابن عباس « حَضَب » ^(٥) بالضاد في قوله تعالى : « انكم وما تعبدون من دون الله حَصْب جهنم » ، وقرئ « حَضَب » بإسكان الصاد ، وقرئ « حِطَب » بالطاء .

(١) المصدر السابق (شواذ سورة المائدة) .

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١٠٣/٢ وانظر القاموس مادة « جمل » .

(٣) حدث في الجمل مني ٢١/٢ تصحيح مثل هذا بين دلة « الجمل » على الجمل دون الميزان المعروف

انظر : Bar Bahlül, Lexicon 500.

(٤) ابن خالويه ، مختصر في شواذ القرآن .

(٥) المصدر السابق (شواذ سورة طه) .

(٦) الزمخشري ، الكشاف ١٢٦/٢ .

في تاريخ المشكلة اللغوية

ومن شواذ سورة الحج جاء في كلمة « صلوات » إحدى عشرة قراءة ^(١) في قوله تعالى :
 « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها
 اسم الله » . والقراءات هي « صَدَّوَات » بفتحين وهي « صَلَّوَات » بضميتين على قراءة
 أبي العالية والكلبي والضعاك ، و « صَلَّوَات » بضم فإسكان على قراءة جعفر بن محمد
 وهي (صَلُون) بضم الصاد فلام فواو ونون و « صَلُوب » بالياء ، و « صَلُوت » بفتح
 فإسكان ، و « صَلَوَات » بكسر فإسكان و « صَلَّوَات » بضم الصاد واسكان اللام وثاء
 مثلثة في الآخر و « صَلَوَاتَا » ^(٢) بشاء في الآخر مع الف الاطلاق . والسكينة جمع صلاة وهي
 تعني الكنيسة والكلمة سريانية ^(٣) بخلاف ما ذهب اليه الزمخشري من أنها عبرانية ،
 وتذييل الكلمة بالالف بقصد التعريف . ولعل صيغ جموع التكسير يمكن أن ترد الى
 صيغ محدودة ، وذلك أن بعضاً منها يحصل من صيغة أخرى باستخدام المد مثلاً ، فكلمة
 « تارة » تجمع على « تير » ، ولكنها تصبح « تيار » باطلاق الفتحة ^(٤) . وهذا يدل
 على أن صيغ جموع التكسير وصيورتها على هذه الكثرة ناتجة عن اللهجات الاقليمية ، إذ
 من المعلوم أن اقليماً من الاقاليم يميل في الحركات حتى تصبح مدداً ، ومن هذه أيضاً
 « أسند » بضم الهمزة واسكان السين أو ضمها ، فإذا اشبع الضم على السين صار مسداً
 وصار الكلمة « اسود » ، ومثل هذا « احبة » و « احباء » وكثير غير ذلك .
 ويدلنا على اشارة هذه الصيغ الى موضوع الهمسات ، ما يوجد في اللغة الحبشية من

(١) ابن خالويه ، مختصر شواذ القرآن (شواذ سورة الحج) .

(٢) الزمخشري ، الكشاف ١٦٠/٣ .

(٣) القرداسي ، الباب مادة (صل) .

(٤) الجوهري ، الصحاح مادة (تير) .

ابراهيم السامرائي

صنع جموع التكسير ودلالاتها على الموضوع نفسه ^(١)

ونستطيع أن نوجز أن القراءات في القرآن تقوم على تغيير في الحركات وتغيير في الالبابة والصيغ وتغيير في الأصوات وتغيير في الألفاظ ، ومجموع هذا يدل على أن طرق التعبير الخاصة وجدت طريقها الى لغة التبريل ، ولم توجد في ذلك جهود التوحيد . والقراء يختلفون حتى في موضوع الإعراب الذي التزمه جميعهم ، فهذا يرفع ما ينصبه ذاك ، وذاك يخفض ما يرفعه هذا ^(٢) . وقد حمل هذا على أنه خطأ من كتاب الوحي ، فقد روى أبو معاوية محمد بن خازم التميمي السعدي المتوفى سنة ١٩٣ . عن هشام بن عروة بن الزبير المتوفى سنة ١٤٦ . عن أبيه عن عائشة أنها قالت : ثلاث أحرف في كتاب الله هن من خطأ الكاتب وهي قوله تعالى : « إن هذا لساحران » ^(٣) ، وفي قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون » ^(٤) ، وفي قوله تعالى : « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ، والمقسمين الصلاة والمؤتات الزكاة » ^(٥) . وقد حقق النحويون في حديث عائشة حول غلط الكاتب ، وحديث عثمان في قوله « أرى فيه لحناً » ، فاعتلوا لكل حرف منها ، واستشهدوا الشعر ، فقالوا في (أن هذا لساحران » هي لغة بلخارث بن كعب ^(٦) ، فهم يقولون : « مررت برجلان » ، و « قبضت منه درهماً » و « جلست بين يداه » و « ركبت علاه » وأنشدوا هور

(١) Dillman : Grammatik der Cethiopischen Sprache P. 537

(٢) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ١٩ .

(٣) سورة طه ٦٣ .

(٤) سورة المائدة ٦٩ .

(٥) سورة النساء ١٦٨ .

(٦) ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن ٣٦ .

الحارثي^(١) :

تزود منسبين أذناه ضربة دعته الى هابي التراب عقيم
كما اعتلوا لسائر المواضع السابقة عاة مناسبة .

وشيوع اللحن في مختلف الطبقات ، دليل على أن هذا الأعراب ثقيل لا تحمله سليقة
العرب اللغوية ، وكان ذلك في صدر الاسلام وقبل أن يتم اختلاط العرب بغيرهم ذلك
الاختلاط العظيم الذي تم في المصور المتأخرة ، ثم أتت شيوع اللحن لم تسلم منه طبقة
المتقنين ولا العلمية من القوم ولا العلماء ، فلم تسلم هشيم بن بشير محدث أهل العراق
سليقته اللغوية ، فكان يلحن في كلامه ويشير الجاحظ الى مخالفة المحدثين ما التزم من قواعد
الأعراب^(٢) .

وكان عبد الملك بن مروان يحذر أبناءه من اللحن ، وكان يقول لهم : « إن اللحن في
منطق الشريف أقبح من آثار الجذري في الوجه ، وأقبح من الشق في ثوب نفيس^(٣) » .
وشيوع اللحن في زمان عمر بن الخطاب معروف ، فقد روى أن عمر سمع أعرابياً يقرأ
قوله تعالى : « إن الله بريء من المشركين ورسوله » بجر رسوله فنبهه على الخطأ ، وكانت
ذلك سبباً في وضع النحو إن صحّت الأخبار^(٤) .

والأخبار في وضع النحو كثيرة لا مجال لذكرها هنا ، ولكنها في مجموعها تشير الى أن
اللحن في هذه الفترة المتقدمة كان شائعاً ، وشيوعه في قراءة القرآن بما عجل في وضع هذه
الضوابط النحوية للحفاظ على لغة التبريل من العبث . وشيوع اللحن دليل أيضاً على أن

(١) أبو زيد ، النوادر ، ص ٥٨ .

(٢) الجاحظ ، البيان ، ص ٥/٢ .

(٣) ابن قتيبة ، عبود الأخبار ، ص ١٥٣/٢ .

(٤) ابن الأثير ، ترمذ الألباء ، ص ٢ .

ابراهيم السامرائي

للقوم لغة يتخففون فيها من الضوابط الثقيلة وهي اللغة المستعملة وهي لغة الكثير من الناس ، ولغة التخاطب في الحياة اليومية .

على أن هذا اللغة العامة التي استعملها الناس لم تكن بعيدة عن لغة الكتابة في مادتها اللغوية ، وكأن من شرط هذه اللغة مجانية الاعراب ، وإلى هذا يشير الجاحظ في قوله : « وإن وجدتم في هذا الكتاب لحناً أو كلاماً غير معرب ، وانظروا معذراً عن جهته ، فاعلموا أننا تركنا ذلك ، لأن الاعراب ينفض هذا الباب ويخرجه عن حده إلا أن احكي كلاماً من كلام متعاقلي البضلاء واشهداء العلماء كسهل بن هرون وأشباهه . »^(١)

والمشكلة اللغوية قاعة في عصرنا الحاضر كما أسلفنا ، وذلك لأن العربية الفصيحة المكتوبة هي غير العربية المستعملة في التخاطب وغير اللهجات الدارجة التي لم ترق إلى لغة المثمنين ، وهي في مادتها نماذج متأخرة متدهورة ، وليس قيام المشكلة على هذا الوجه بمستحيل الحل . فشيوع الثقافة وتيسير المعرفة لأبناء العربية على شكل عام كفيل برفع مستوى اللغة إلى الحد الذي كانت عليه العربية في مختلف عصورها ، فلم يسلم عصر من عصور التاريخ اللغوي من ازدواج في اللغة ، وقد شاهد علماء العربية الأقدمون مثل الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي وعيسى بن عمر وغيرهم لغة عامية يستعملها جمهور الناس ، ولقد أثار عن الكسائي أنه وضع رسالة في لحن العامة . ولغة العامة غير لغة العلية فقد ذكر أبو جلال العسكري (د. العاصمي) إذا كلمته بكلام العلية سحر منك وزري طليتك : كما روى عن بعضهم أنه قال لبعض العامة : « هم كنتم تنتقلون »^(٢) البارحة ؟ فقال : « يا جلالين » . ولو قال له : « أيش كان نقلكم لسلم من سخريته . فينبغي أن يخاطب كل

(١) الجاحظ ، الذيل (طبعة الخاجري) ص ٢٣ .

(٢) أي تأكلون النقل كاللوز والجوز والفسق .

في تاريخ المشكلة اللغوية

فريق بما يعرفون^(١).

وربما كانت العامية الدارجة قريبة من الفصيحة لغة الكتابة ، وذلك بسلاسة إبتنيها
وبتخير ألفاظها الصحاح العربية ، ولكنها متحللة من ضوابط الأعراب ، فالمستكلمون بها
يلتزمون الاسكان في جميع صورها ، وهذا ما نصبو إليه في تقريب العامية من الفصحى .
وسبيل هذا كما أسلفنا نشر المعرفة بين الناس والزمان كغيل بتحقيق هذا .

إبراهيم السامرائي

(١) أبو علال العسكري كتاب الصناعة (طبعة الاستانة) ص ٢٢ .

مصطلحات في علم التربة

مقدمة

هذه مصطلحات في علم التربة ، درسها المجمع في سنته الجمعية المنتهية بانتهاء حزيران سنة ١٩٦٠ ، من الجلسة الرابعة الى آخر جلسة من جلساته . فضلاً عن الجلسات العديدة التي عقدتها لجنة فرعية الفت للنظر في قسم منها تحضيراً للبت فيها من الهيئة العامة ، والجلسة التي عقدتها لجنة أخرى موسعة لابتداء رأيها في الاستيفاضات المتعلقة بالموضوع قدمها السيد حميد نشأة معاون الاختصاصي في قسم التربة في وزارة الزراعة .

وأصل هذه المصطلحات قائمة تحوي (٣٠٢) مصطلح ، وضعها السيد حميد نشأة اسماعيل وقدمها الى مديرية البحوث والمشاريع الزراعية العامة في وزارة الزراعة لاقرارها من مؤسسة علمية رسمية ، فوسلتها المديرية الى المجمع لتدقيقها والتصرف بها بغية تعميمها بعد ذلك على منتسبيها وذوي الاختصاص في الزراعة والعلوم ذات العلاقة بها للاستفادة من استعمالها في تأليفهم وكتاباتهم . وقد قرن صاحب القائمة كل مصطلح بإيضاح وجيز قصد بسسه تفسير المراد منه .

وقد درس المجمع هذه المصطلحات بدقة وامعان . واستحضر السيد حميد نشأة اسماعيل صاحب القائمة في كثير من الجلسات لتوضيح معانيها مفصلة — كما هو ديدنه في تدقيق ما تطلبه منه السوائر الرسمية من ذلك — فأقر بعض ما ورد في القائمة بعد

مصطلحات في علم التربة

إن صرف جهداً في تدقيقه وتعديل بعض صيغه وشكالاته . ووضع للباقي مصطلحات استخراجها من عيون كتب اللغة مستعينا بالملكة العلمية والقياس اللغوي ، ومداولة الآراء بين أعضائه .

ولا بد لنا من الإشارة إلى قرار للمجمع ، سبق أن نبه إليه مراراً ، هو : أن المصطلحات التي يضعها لا تعتبر مستقرة نهائياً ، بل هي في عرفة مصطلحات مقترحة تقدم إلى الجمهور لابتداء الرأي فيها من الاختصاصيين والمعنيين خلال ستة أشهر من نشرها ، وإرسال ما عندهم من ملاحظات ليعيد المجمع النظر فيها فتصبح بعدئذ مستقرة نهائياً عنده .

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	للمصطلح الوارد
العقد الماص	ABSORBING COMPLEX	مركب الامتصاص
التعرّج المعجل	ACCELERATED EROSION	التعرية الشديدة
اشباه الحوامض	ACIDOIDS	حامضيات
التصاق	ADHESION	التلاصق
امتسك	ADSORPTION	ادمصاص
مجموعة (مجموع)	AGGREGATE	مجموعة (مجاميع)
أرض زراعية. أراض زراعية	AGRICULTURAL LAND	الأرض الزراعية

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
السعة الهوائية	AIR CAPACITY	السعة الهوائية
الجاف بالهواء	AIR DRY	التجفيف الهوائي
قلوية	ALKALI (OR SOLONETZS)	قلوية
تقلية	ALKALIZATION	عملية تكوين التربة القلوية
التربة التقنية	ALLUVIAL	تربة رسوبية نهريّة
التين	ALLUVIUM	الطين
التركيب اللاشكلي	AMORPHOUS STRUCTURE	التركيب العديم الشكل
الغراويات الحمض قاعدية	AMPHOLYTIC	غرويات امفوتيرية
الكثافة الظاهرة	APPARENT DENSITY	الكثافة الظاهريّة
ارض حية أو (صالحة للزراعة)	ARABLE	قابلة للزراعة
المناخ القاحل	ARID CLIMATE	المناخ الجاف
المتجمهرة	ASSOCIATION	اتحاد
التجهيز	AVAILABILITY	الجاهزية
لا منطقية	AZONAL	لا اقليمية
الأرض الرديئة	BADLAND	الأرض الرديئة
التسميد الخطي	BANDING FERTILIZER	نثر السماد على خطوط
قرارة التعرية	BASE LEVEL OF EROSION	المستوى القاعي
دليل المعادن القاعدية	BASE MINERAL INDEX	دليل المعادن القاعدية
التشبع القاعدي	BASE SATURATION	الاشباع القاعدي
اشباه القواعد	BASEOIDS	قاعديات

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره المصمم	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الارواء الحوضي	BASIN IRRIGATION	الري الحوضي
صخر الأديم	BED ROCK	الصخر الأصل
تسطيحة	BENCH TERRACE	مصطبة
الرمال المبلّج	BLEACHED SAND	الرمال المقصور
مكتل	BLOCKY	مكتل
تربة ركّغية	BOG SOIL	تربة المستنقعات
الارواء الشريطي	BORDER IRRIGATION (STRIP IRRIGATION)	الري الشريطي
التسطيحة الوسيعة	BROAD BASE TERRACE	مسطبة عريضة
الأرض العفراء	BROWN EARTH (BROWN FOREST SOIL)	الأرض البنية
التربة البودزولية العفراء	BROWN PODZOLIC SOIL	تربة البودزول البنية
التربة العفراء	BROWN SOIL	التربة البنية
تربة كلسية	CALCAREOUS SOIL	تربة كلسية
قشرة كلسية	CALCAREOUS CRUST	قشرة كلسية
الكالسة	CALICHE	طبقة كلسة او تراتية
تقييم (تقويم) القابلية	CAPABILITY RATING	تقويم التربة
المسامية الشعرية	CAPILLARY POROSITY	المسامية الشعرية
الماء الشعري	CAPILLARY WATER	الماء الشعري
الحاشية الشعرية	CAPILLARY FRINGE	الحاشية الشعرية
النمينة	CATENA	كتينة

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التبادل الكاتيوني	CATION EXCHANGE	التبادل الفازي
التربة المدكناه	CHERNOZEM	شرنوزم
التربة السكندرية	CHESTNUT SOIL	التربة الكستانية
الرماع	CHLOROSIS	اصفرار النبات
البوغاء	CLAY	الطين
الجزء البوغائي	CLAY FRACTION	الجزء الطيني
العقد البوغائي	CLAY COMPLEX	مركب الطين
الغراويات البوغائية	CLAY COLLOIDS	غرويات الطين
معدن البوغاء	CLAY MINERAL	المعدن الطين
صين بوغائي	CLAY PAN	طبقة طينية صلبة
ك / ن	C / N	نسبة الكربون للنيتروجين
		نسبة ك / ن
مَدْرَة	CLOD	مَدْرَة
الحث (الرمل الخشن)	COARSE SAND	رمل خشن
التماسك	COHESION	الاتحام
عمودي	COLUMNAR	اسطواناني
الترنوق	COLLUVIUM	الطمي الموضعي
المهاد الكامل	COMPLETE FERTILIZER	المهاد الكامل
العقد والعقدة والجمع عقدات	COMPLEX	—
الدُّمَان	COMPOST	مُزَوَّج

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره الخبير	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الركامية	CONCRETION	متحجر
قوام	CONSISTENCY	درجة التماسك
المناخ القاري	CONTINENTAL CLIMATE	المناخ القاري
الأنلام الحائقة	CONTOUR FURROWS	السواقي الكنتورية
الاستنفاد	CONSUMPTIVE USE (OR) EVAPOTRANSPIRATION	الاستهلاك المائي
نبات الصيانة	COVER CROP	نبات التغطية
النسبة القصوى	CRITICAL PERCENTAGE	النقطة الحرجة
فئات	CRUMB	فتات
التركيب الفتاتي	CRUMB STRUCTURE	التركيب الفتاتي
حطام	DEBRIS	حطام
درجة الانتشار	DEGREE OF DISPERSION	درجة التفريق
التردؤ	DEGRADATION	انحلال
التربة الدكناء المتردئة	DEGRADED CHERNOZEM	تربة الشرنوزم المنحطة
إمارة القواعد	DEPLETION OF BASES	إبعاد القواعد
الاسترصاص الصحراوي	DESERT PAVEMENT	الرصيف الصحراوي
الترب الصحراوية	DESERT SOILS	الترب الصحراوية
التلع الصحراوي	DESERT VARNISH	الطلاء الصحراوي
رواسب مذرورية	DETRITAL FAN	الترسبات المروحية
انتشار	DISPERSION	انتشار

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
الطبقة الشفعية	DOUBLE LAYER	الطبقة المزدوجة
بزل	DRAINAGE	صرف او بزل
بركة	DRAINAGE BASIN(WATER SHED)	حوض الصرف
تسطيحه البزل	DRAINAGE TERRACE	مسطبة الصرف
التسميد المستنطن	DRILLED FERTILIZER	التسميد الآلي الخطي
الزراعة التبرضية	DRY FARMING	الزراعة الجافة
كثبان	DUNES	كثبان
علم بيئة الاحياء	ECOLOGY	علم بيئة الاحياء
التأثير التربوي	EDAPHIC	التربة كميظ للنمو النباتي
علم تأثير التربة	EDAPHOLOGY	علم التربة كميظ للنمو النباتي
الغيث المشتف	EFFECTIVE PRECIPITATION	المنياقطات المائية الفعالة
التوصيل الكهربائي	ELECTRICAL CONDUCTIVITY	الاىصال الكهربائي
الافق السليب	ELUVIAL HORIZON	افق الساب
المكافئ بالمليون	E. P. M. (EQUIVALENT PER MILLION)	مكافئ بالمليون
التعرية	EROSION	تعرية
العنصر الجوهرى	ESSENTIAL ELEMENT	العنصر الاساسي
قابل للتبادل	EXCHANGEABLE	قابل للتعويض
الحوضة التبادلية	EXCHANGE ACIDITY	الحوضة المتبادلة
السعة التبادلية	EXCHANGE CAPACITY	السعة التبادلية
بور	FALLOW	بور

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
عائلة	FAMILY	عائلة
التربة الحمضية	FEN SOIL (LOW MOOR)	تربة عضوية منخفضة
الخصب أو (الاخصاب)	FERTILITY	خصوبة
نسبة التسميد	FERTILIZATION RATIO	نسبة التسميد
السعة الحقلية	FIELD CAPACITY	السعة الحقلية
الرطوبة الخمسة - عشرية	FIFTEEN ATMOSPHERE MOISTURE PERC- ENTAGE	رطوبة الخمسة عشر ضغطجوي
الرق	FILM WATER	الماء الرقيق
دق	FINE EARTH	التربة الناعمة
العذاب (الرمال الناعم)	FINE SAND	الرمال الناعم
الرقعة	FIRST BOTTOM	القاع الأول
تثبيت	FIXATION	تثبيت
التبقع	GLEYS	التبقع الاختزالي
المرعى	GRAZING LAND	ارض المرعى
حبيبات	GRANULES	حبيبات
حبلي	GRANULAR	حبلي
حصى	GRAVEL	حصى
الماء الممتذب	GRAVITATIONAL WATER	ماء الجذب
تربة البودزول السنابية	GRAY BROWN PODZOLIC	تربة البودزول الرمادية البنية
تربة حديدية رمادية	GRAY FERRUGINOUS SOIL	تربة حديد رمادية
البوغاء الاستوائية الرمادية	GRAY TROPICAL CLAY	الطين الاستوائي الرمادي

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التربة الغابية الرمادية	GRAY WOODED SOIL	تربة الغابات الرمادية
السماد الأخضر	GREEN MANURE	السماد الاخضر
الماء الجوفي	GROUND WATER	الماء الجوفي
التربة البذرولية الجوفية الماء	GROUND WATER PODZOL	تربة البودزول ذات الماء الجوفي
اخدود	GULLY	اخدود
التعرية الاخدودية	GULLY EROSION	التعرية الاخدودية
النباتات الملحية	HALOPHYTIC	النباتات الهالوفيتيكية
الصحن الصلب	HARD PAN	طبقة صلبة
حرارة الابتلال	HEAT OF WETTING	حرارة الابتلال
افق	HORIZON	افق او طبقة
افق (ا)	HORIZON A	افق (ا)
افق (ب)	HORIZON B	افق (ب)
افق (ج)	HORIZON C	افق (ج)
المناخ الندي	HUMID CLIMATE	المناخ الرطب
الامامة	HYDRATION	—
التحلل المائي	HYDROLYSIS	—
الصخر الناري	IGNEOUS ROCK	الصخر الناري
السلسلة الايلية	ILLITE SERIES	سلسلة المايكا المائية
الافق السكاسب	ILLUVIAL HORIZON	افق الاضافة
الخواص الموروثة	INHERITED CHARACTERISTICS	الخواص الموروثة

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
بقعة	IMMATURE	غير ناضجة
الصرف المعوق	IMPEDED DRAINAGE	الصرف المجهوس
النبات المشير	INDICATOR PLANT	النبات الكشاف
المغاض	INFILTRATION	ارتشاح
مستنطقة	INTRAZONAL	شبه اقليمية
الصحن الحديدي	IRON PAN	طبقة حديد صلبة
الحجر الحديدي	IRON STONE	الحجر الحديدي
كفاية الارواء	IRRIGATION EFFICIENCY	كفاءة الري
التعويض المتشاكل	ISOMORPHOUS REPLACEMENT	التعويض المتماثل
عائلة السكاولين	KAOLINE FAMILY	عائلة الكيولين
ارض	LAND	ارض
منظر ارض	LANDSCAPE	صقع
تصنيف الاراضي	LAND CLASSIFICATION	تصنيف الأراضي
طريقة استعمال الأرض	LAND USE PATTERN	نظام استعمال الارض
مورد الأرض	LAND SLIDE	انزلاق التربة
التربة الحمراء	LATERITE SOIL	تربة اللا ترايت
التركيب الشبكي الطبقي	LAYER-LATTICE STRUCTURE	التركيب الصفائحي الطبقي
التصويل	LEACH	غسل باطني
صحن كلس	LIME PAN	طبقة كلس صلبة
المزيجية	LOAM	مزيجية

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التفقد بالاحتراق	LOSS ON IGNITION	مفقود الاحتراق
الحد الأدنى	LOWER PLASTIC LIMIT	الحد العجيني
الاستنفاد الترييف	LUXURY CONSUMPTION	الاستهلاك الكلي
مقياس التسرب	LYSIMETER	مقياس الرشح
السكرس	MARL	مارل
نضيجة	MATURE	ناضجة
مناخ البحر المتوسط	MEDITERRANEAN CLIMATE	مناخ البحر الابيض المتوسط
التحليل الآلي	MECHANICAL ANALYSIS	التحليل الميكانيكي
هشة	MELLOW	هش
المو	NHO	وحدة الايصال الكهربائي
للتعدين	MINERALIZATION	تحرير المعادن
المخز المعدني	MINERAL RESERVE	الاحتياط المعدني
الرطوبة	MOISTURE	الرطوبة
المكافي الرطوبي	MOISTURE EQUIVALENT	المكافي الرطوبي
نسبة الرطوبة	MOISTURE PERCENTAGE	نسبة الرطوبة
الاجهاد الرطوبي	MOISTURE STRESS	ضغط ماء التربة
الشد الرطوبي	MOISTURE TENSION	الشد الرطوبي
اليزل الانبوبي	MOLE DRAINAGE	الصرف الانبوبي
قِدَّة	MONOLITH	مقطع عمودي
سلسلة المونت موريلونايت	MONTMORILLONITE SERIES	سلسلة المونت موريلونايت

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره المحرر	المصطلح الانكليزي	المصطلح البارد
النترية	NITRIFICATION	النترجة
تثبيت النيتروجين	NITROGEN FIXATION	تثبيت النيتروجين
المسامية الشعيرية	N N-CAPILLARY POROSITY	المسامية الغير شعيرية
الانزواء العادي	NORMAL SHRINKAGE	التقاصر الاعتيادي
الغاذي	NUTRIENT	المادة الغذائية
نسبة الثلث الجوي	ONE-THIRD ATMOSPHERE PERCENTAGE	النسبة المئوية لثلث ضغط جوي
رتبة	ORDER	رتبة
الضغط الحلوي	OSMOTIC PRESSURE	الضغط الاوزموزي
المادة الأم	PARENT MATERIAL	المادة الاصلية
كثافة الدقائق	PARTICLE DENSITY	الكثافة النوعية
الدرين	PEAT	مادة عضوية
تربة درينية	PEAT SOIL	تربة عضوية
التربة الحديدية الالومينية	PEDALFER	تربة الحديد والالمنيوم
تربيب التربة	PEDOGENESIS	تكوين التربة
جو التربة	PEDOSPHERE	بيئة التكوين
النفاذية	PERMEABILITY	النفاذية
طور	PHASE	شكل
مقياس الضغط	PIEZOMETER	مقياس الضغط
التربة المستوية	PLANOSOL	بلنيسول
الساكن	PLASTIC	عجيني

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التركيب الصفحي	PLATY STRUCTURE	التركيب الصفحي
تربة الحرث	PLOW SOIL	تربة الحرث
البودزول	PODZOL	تربة البودزول
البودزولة	PODZOLIZATION	البودزولة
اخفية المسام	PORE SPACES	المسامات البينية
المعدن الاولي	PRIMARY MINERAL	المعدن الرئيسي
منشوري	PRISMATIC	منشوري
التربة المرعية	PRAIRIE SOIL	البريري
النتاجية	PRODUCTIVITY	قابلية الانتاج
المقعد	PROFILE	قطاع
مسامية	POROSITY	مسامية
سداد الفاقة	POVERTY ADJUSTMENT	منطقة الفاقة الغذائية
الاستصلاح	RECLAMATION	اصلاح التربة
البودزولية الحمراء	RED PODZOLIC	البودزول الحمراء
التربة الصحراوية الشكلاء	REDISH DESERT	التربة الصحراوية الحمراء
التربة الكستانية الشكلاء	REDISH CHESTNUT SOIL	التربة الكستانية الحمراء
التربة المرعية الشكلاء	REDISH PRAIRIE SOIL	ترب البريري الحمراء
مقد الصق	REGIONAL PROFILE	القطاع النموذجي
التربة الارقية	REGOSOL	ركو سول
خرس	RELIEF	تضريس

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره النجم	المصطلح الانكليزي	المصطلح الموارد
رندزينة	RENDEZINA	رندزينة
كُضالة الانزواء	RESIDUAL SHRINKAGE	التقلص المتبقي
التربة الماكثة	RESIDUAL SOIL	تربة متبقية
التعرية المتعمية	RILL EROSION	تعرية الخطوط
جو الجذور	RIZOSPHERE	بيئة الجذور
ملحي	SALINE (OR SOLONCHAK)	التربة الملحية
الاملاح	SALINIZATION	التلحيح
رمل	SAND	رمل
القلوية - الملحية	SALINE-ALKALI	القلوية - الملحية
مستخلص الشبع	SATURATION EXTRACT	المستخلص المشبع
نسبة الشبع	SATURATION PERCENTAGE	نسبة التشبع
القاع الثاني	SECOND BOTTOM	القاع الثاني
المعدن الثانوي	SECONDARY MINERAL	المعدن الثانوي
تربة ثانوية	SECONDARY SOIL (TRANSPORTED	تربة ثانوية
شبه قاحل	SEMIARID	الشبه قاحل
سلسلة	SERIES	سلسلة
التعرية اللوحية	SHEET EROSION	التعرية الطبقيّة
الرمل المتنقل	SHIFTING SAND	الرمل المتنقل
التسميد الجانبي	SIDE DRESSING	التسميد الجانبي
نسبة السيليكا الى الاكاسيد	SILICA SESQUIOXIDE	نسبة السيليكا الى الاكاسيد
السداسية	RATIO	السداسية

المجمع العلمي العراقي

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
غرين	SILT	غرين
التركيب المنفرد للحب	SINGLE GRAIN STRUCTURE	التركيب المنفرد
نسبة الصوديوم	SODIUM PERCENTAGE	نسبة الصوديوم
زحول التربة	SOIL CREEP	زحف التربة
علم تشكل التربة	SOIL MORPHOLOGY	الخواص الظاهرية
مناخ التربة	SOIL CLIMATE	مناخ التربة
تقرير مسح التربة	SOIL SURVEY REPORT	تقرير مسح التربة
القلوية المترددة	SOLOD (SOLOTH)	القلوية المنحطة
نسبة الصوديوم الذائب	SOLUBLE SODIUM PERCENTAGE	نسبة الصوديوم الذائب
المستربة	SOLEM	سولم
التسطيحة الدرجية	STEP TERRACE	مسطبة سلمية
نقطة اللصق	STICKY POINT	نقطة اللزوجة
مطبقة	STRATIFIED	طبقة
الأزديع الشريطي	STRIP CROPPING	الزراعة الشريطية
تركيب	STRUCTURE	تركيب التربة
دليل التركيب	STRUCTURAL INDEX	دليل التركيب
التربة التحتية - التربة التحتية	SUB-SOIL	التربة الداخلية
الرتبة التحتية - الرتبة التحتية	SUB-ORDER	تحت الرتبة
مستنقع	SWAMP	مستنقع
مقياس الشد	TENSIONMETER	مقياس الشد الرطوبي

مصطلحات في علم التربة

المصطلح الذي اختاره الجرم	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
التسطيحة	TERRACE	مسطبة
التربة الوردية	TERRA ROSSA	التربة الحمراء
نسجة	TENTURE	نسيج التربة
فلاحة	TILLAGE	—
فلحية	TILTH	فلح
التربة الانتقالية	TRANSITIONAL SOIL	التربة الانتقالية
نوع	TYPE	نوع
الدقيقة الآخرة	ULTIMATE PARTICLE	القطعة النهائية
حد اللدانة الأعلى	UPPER PLASTIC LIMIT	الحد العجيني الأعلى
الأرض الموات	WASTE LAND	الأرض التالفة
الطلب المائي	— WATER REQUIREMENT	—
سطح الماء الباطن	WATER TABLE	مستوى ماء الأرض
التغدق	WATERLOGGING	التشبع المائي
المناخية	WEATHERING	عملية الهدم والبناء
نقطة الذبول	WILTING POINT	درجة الذبول
تربة البودزول الصفراء	YELLOW PODZOLIC SOIL	تربة البودزول الصفراء
منطقية	ZONAL	اقليمية

المجمع العلمي العراقي

مصطلحات في أنواع التربة

المصطلح الذي اختاره المجمع	المصطلح الانكليزي	المصطلح الوارد
رمل	SAND	رمل
رملية مزيجية	LOAMY SAND	تربة رمالية مزيجية
مزيجية رملية	SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية
مزيجية رملية ناعمة	FINE SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية ناعمة
مزيجية رملية ناعمة جداً	VERY FINE SANDY LOAM	تربة مزيجية رملية ناعمة جداً
مزيجية	LOAM	تربة مزيجية
مزيجية غرينية	SILT LOAM	تربة مزيجية غرينية
غرينية	SILTY	تربة غرينية
مزيجية بونائية	CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية
مزيجية بونائية رملية	SANDY CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية رملية
مزيجية بونائية غرينية	SILTY CLAY LOAM	تربة مزيجية طينية غرينية
بونائية رملية	SANDY CLAY	تربة طينية رملية
بونائية غرينية	SILTY CLAY	تربة طينية غرينية
بوناء	CLAY	تربة طينية

الضائع منه معجم الأدباء

- ٢ -

٢٧ - عمير الله بن علي بن نصر بن حمزة^(١) بن علي بن عمير الله أبو يسكن بن أبي

الفرج النيمي المعروف بابن المارستان :

قال الصلاح الصفدي : « هكذا كان يذكر نسبه ويوصله إلى أبي بكر الصديق - رضي - ... »

قال ياقوت : وعني بجمع تاريخ بغداد أورد في علي الخطيب وسماه كتاب (ديوان الاسلام

الاعظم) قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، وفي كل كتاب أسماء توافق أنسابها وطول في ذلك ،

وله كتاب تاريخ الحوادث ولم يتم وكتاب في الصفات وغير ذلك ... وفيه يقول أبو جعفر

| أحمد | ابن الوائق :

دع الأنساب لا تمرض نعيم فأين الهجن من ولد الصميم

لقد أصبحت في نيم دعياً كدعوى الحيمس بيصاً إلى نعيم

| تسعة |

وقال محب الدين بن النجار : « ورأيت المشايخ الثقات من أصحاب الحديث وغيرهم

ينكرون نسبه هذا ويقولون إن أباه وأمه كانا يخدمان المرحى بالمارستان ، وكان أبوه

مشهوراً بفرج تصغير (الفر ج) ، عامياً لا يفهم شيئاً وإنه سئل عن نسبه فلم يعرفه ثم انتهى

لأمه نسباً إلى قحطان وادعى لأبيه سماءاً من أبي بكر محمد بن عبد الباقي وسمعه منه ، وذلك

(١) قال الصفدي وغيره : « وجدته حمزة بالماء وسكون لليم » .

باطل ، وكانت قد طلب العلم في صباه ، وتفقّه لأحمد بن حنبل وسمع كثيراً وكتب بخطه وحصل الأصول ، ولم يتسع بذلك حتى ادعى السماع ممن لم يدركه واختلق على الكتب طباقاً بمخلوط مجهولة ، وجمع مجموعات من التواريخ وأخبار الناس من غير طرقها وظهر له (كذا) من كذبه وخشه وتموّرّد ما كان مخفياً ، وقرأ كثيراً من الطب والمنطق والفلسفة ، وكانت بينه وبين عبيد الله بن يونس صداقة ، فلما أفضت إليه الوزارة اختص به وقوي جاهه ، وبني داراً بدارب الشاكرية وسماها (دار العلم) وجعل فيها خزانة علم أوقفها على طلاب العلم ، وكانت له حلقة بجامع القصر يقرئ فيها الحديث يوم الجمعة ويحضره الناس ، ورتب ناظرًا على المارستان العضدي فلم تحمد سيرته وقبض عليه وسجن في المارستان مدة مع المجانين مسلسلاً ، وبيعت دار العلم بما فيها ثم أطلق بعد مدة وبقي يطلب الناس ، وصادف قبولاً فأتى وحاد إلى حسنته (كذا) ، وحصل كتباً كثيرة ثم ندب إلى الترسلية من الديوان إلى تقليس وخلع عليه خلعة سوداء وقمص وعمامة ومراوحة^(١) وأعطى سيفاً ومركوباً ، وتوجه إلى إيلدكز ، فأدركه أجله هناك سنة تسع وتسعين وخمسمائة . ومن شعره :

أفردتني بالهموم ذات دل ونعيم أودعت قلبي سقاماً والحشا نار الجحيم
ليس لي شغل سواها من خليل وحميم وهي داه للعافى ودواء للسقيم
شغلت قلبي بأمر مقعد فيها مقيم

... وقد بالغ ابن الديلمي في الطعن عليه وزاد في غلوّه فيه والله أعلم بحقيقة الحال^(٢) .

(١) المراوحة : العليسان .

(٢) الوثائق بالوفيات : نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٣٠٠ ، ٣٠٦ . وذكره الذهبي في ميزان الاعتدال كما جاء في كتاب الأثران ١ : ١٠٥ ، قال : « عبيد الله بن علي فليهدأدي المشهور بأن المارستانية ، ليس بشدة اتهم بالكذب وتزوير السماع من شهادة وطبقها فاقتم حتى ادعى السماع من الأرموي وكان يغضب انتهى » . وسرأتي في نقلنا من تاريخ ابن الديلمي أن الرجل سمع من شهادة وطبقها ، فلا وجه لانسكار الذهبي ذلك .

وقال ابن الديلمي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة (بالحاء المبهمة والراء غير المتجمعة) . أبو بكر بن أبي الفرج المعروف بابن المارستانية ، أحد من طلب الحديث وشبهه ، وجمع الكتب المصنفات فيه . واتسم بمعرفة وادعى الحفظ له ، وسعة الرواية والنقل عن من لم يدركه ولا سمع منه ، فأطلق السن الناس في جرحه وتكذيبه وإساعة القول في حقه من أهل هذه الصناعة والعلماء بها ، وانسب إلى أبي بكر الصديق — رضى — مع معرفة الناس به وبأبيه ، وبعدهم عن نسب مشهور غير خدمة المارستان فكان أبواؤا يخدمان بالمارستان وتعرف أمه بالمارستانية وإليها نسب . وأما أبوه فكان يعرف بفرج أحد خواشي المارستان والقوام به ، لا يعرف بكنية ولا يعرف بغير ذلك ، فغير ابنه بهذا اسمه وكناه بأبي الفرج وسماه علياً ، ولعل قائلًا لو قال لأبيه أتعرف (أبا الفرج علي بن نضر المحمدي التيمي) كما كان ابنه عبيد الله هذا [يسميه] لما عرف ذلك الشخص ونحو نفسه . ومن العجائب أن عبيد الله هذا روى في شيء من تأليفه في عدة مواضع عن أبيه هذا ويقول : أخبرني والذي أبو الفرج علي بن نصر قال أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري — ويذكر حديثاً — وأبوه معروف وكان عامياً غير معروف بطلب الحديث ولا بسماعه ولا يفهم الرواية ولا كان من أهلها ، وكان في ابنه عبيد الله من الجرأة والقحة والإقدام أن خرج عنه [أحاديث] وأدخله في جملة الرواة ، ونقله الأخبار ، وجعله ممن يسند إليه تمهيداً لنفسه حتى يقال (هو محدث بن محدث) ومن (أولاد الشيوخ الرواة) ولم يحصل له ذلك بل كان من أظهر الأدلة على تجهله وتخرسه وادعائه ما لم يكن قط إلى غير ذلك من فعلاته الظاهرة المحال وروايته الواضحة البطلان . وقد بلغني أن شيخنا أبا الفرج بن الجوزي بلغه أنه روى عن شيخ من أهل بغداد تحقق أنه ما سمع منه فأحضره عنده وسأله عن روايته عن ذلك الشيخ فأقر بالسماع منه ، فسأله عن مولده فأخبره ، وذكر الشيخ وفاة ذلك الشيخ وكان قد توفي قبل مولد هذا الرجل — أعني ابن المارستانية ، فظهر

كذبه واتضح تخرصه ، ولقد وقعت على جزء من حديث أبي محمد العلوي الأقساسي اليكوفي وقد رواه القاضي أبو الفضل الأرموي عنه سماعاً صحيحاً ، وسمعه من الأرموي جماعة في طباق وعليه طبقته قد زورها هذا ابن المارستانية على الأرموي وذكر اسمه فيها وسماعه منه ، وجعل كاتب السماع أبا العلاء محمد بن هبة الله بن البوقي الواسطي ، وهي ظاهرة المحال من وجودها بعد سماعه من الأرموي لأنه كان في حياته صبيّاً ، ولم يكن معروفاً بطلب الحديث في صباه ولا كان له من يُسمعه ، ومنها أن أبا العلاء لم يسمع من الأرموي ولا دخل بغداد في حياته وإنما دخلها بعد وفاته بستين ، وقد أدركنا أبا العلاء وسمعنا منه وما ذكر أنه سمع من الأرموي ولا غيره من أهل بغداد لاشتغاله بغير ذلك ، ومنها أن خط أبي العلاء كنا نعرفه ، وقد كتب لنا سماعاً عليه بخطه وفي إجازة لا يشبه الخط الذي على الجزء بسماعه من الأرموي ثم رأيت على حاشية الجزء المذكور عند هذه الطبقة بخط أبي القاسم تميم بن أحمد البنديجي (كذب فعل الله به وصنع ، لم يسمع من الأرموي ولا لقيه) وسمّاه - أعني ابن المارستانية - ، وله مثل ذلك كثير على أنه كان منتصباً إلى علم الطب والفلسفة وأشياء ذلك مشهوراً به وقد سمع شيئاً من الحديث من المتأخرين كالكتابة شهدة بنت أحمد الإبري وأبي الحسين بن يوسف وأبي الفتح بن شاذل وأمثالهم فأما ما يدعيه من السماع ممن قبلهم فغير صحيح . وقد حدث عن الأرموي بالجزء الذي قدمنا ذكره وعن غيره من الشيوخ بما لا يصح سماعه ، وسمع منه قوم على غرّة من أمره ، وتقلب به أحوال الدنيا ، ونظر في أوقاف المارستان العسدي ولم تجد سيرة ، فقبض عليه وحُبس به - أعني المارستان - مدة وأطلق ، وجمع مسودة كتاب سماه (ديوان الاسلام الأعظم) في تاريخ بغداد ، فكتب منه كثيراً ولم يتممه ولا يبيّنه ، ووقفت منه على شيء ، وقد ضمّته من غرائب الشيوخ له والروايات غير قليل ، ولو ظهر هذا الكتاب وتمّ لكان من أكبر الشواهد على تخرصه . وفي صفر سنة تسع

الضائع من معجم الأدباء

وتسعين وخمسة نذب من الديوان العزيز - بحمد الله - إلى الخروج في بعض الأمور السلطانية إلى تفلّيس وخلع عليه خلعة سوداء وطيلسان ، وتوجه إليها في الشهر المذكور وجاز في طريقه بأربل والموصل وحدث بهما وبغيرهما ووصل إلى البلد المذكور ، وقضى ما خرج فيه ، وتوجه عائداً إلى بغداد ، فتوفي قبل وصوله بموضع يعرف بجرخ بنس في ليلة ذي الحجة (كذا) سنة تسع وتسعين وخمسة فدفن هناك ^(١) .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة « ٥٩٩ » : « وفي ذي الحجة توفي الشيخ أبو بكر عبيد الله بن أبي الفرج علي بن نصر بن حمزة ^(٢) البغدادى المعروف بابن المارستانى ، بطريق تفلّيس ، ودفن هناك ، سمع من شهيدة بنت الأبري وأبي الحسن عبد الحق بن عبد الخالق بن يوسف وأبي الفتح عبيد الله بن عبد الله بن شاذل ، وطبقتهما ، وحدث بأربل والموصل وغيرها ، وكانت يذكر أنه تيمى وذكر أنه سمع من أقوام لم يدركهم ... وعرف بابن المارستانى ، لأن أبويه كانا يخدمان المارستان ، ونظر هو في أوقاف المارستان المضدي ، وقيل كانت وفاته في صفر من السنة والصحيح الأول لأن خروجه من بغداد إلى تفلّيس كان في صفر فوصل إليها وقضى ما خرج فيه وعاد فأتى الطريق ^(٣) » .

وقال ابن القوطي : « ذكره شيخنا تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه وقال : كان فقيهاً محدثاً مؤرخاً مفسراً وجمع وصنف ورسم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) ، ذكر في خطبته أنه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، وطلوّل في ذلك تطويلاً يضيق العمر عنه ، لا جرم لم يتم ، وصنف سيرة الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، وأنفذ رسولا إلى تفلّيس ، فلما رجع توفي بجرخ بنس ، موضع قرب نخبجوان في غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين

(١) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة كبريت (٢٩٢٤ الورقة ٢٦) .

(٢) قال : « وحرّة : يضم الحاء المهملة وسكون الهمزة وبعدها راء مهملة وتاء تأنيث » .

(٣) التكملة لوفيات النفاة : نسخة المجمع العلمي العراقي الصورة ، الورقة ١٩ ، ٤٧ .

وخمسة (١) .

وقال الذهبي في وفيات سنة « ٥٩٩ » : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة أبو بكر ابن المارستانية ، قال ابن نقطة : حدثني علي بن أحمد الزبيدي أن ابن المارستانية استعار منه (مغازي الأموي) فردّها وقد طبق عليها السماع على كل جزء ولم يسمعها ، وكان شيخنا ابن الأخضر ينهى أن يسمع على أحد ينقله أو بخطه أو بخط أبي بكر بن هوار ، وسمعت نصر بن عبد الرزاق الجيني يقول : اجتاز ابن المارستانية على باب مسجد عبد الحق ابن يوسف ونحوه تسمع فلما رآه نبض اليه وأخذ عكازه وجعل يضربه ويقول : (ويلك تستعير مني أجزاء ثم تردّها وقد سمعت عليها ؟ تستغفلي أنت ، متى قرأتها علي ؟) وشمته حتى قام رجل وخلفه منه ، وحدثني علي بن عبد العزيز بن الأخضر قال : سمعت أبي يقول قام أبو الحسين بن يوسف عندنا بجامع القصر فقال : اشهدوا عني أن ابن المارستانية كذاب . قلت ابن المارستانية بغدادى طالب حديث ذكره الديلمي (٢) ... » .

وقد نقل بسبط ابن الجوزي من تاريخه كما جاء في ترجمته لابن الهيثمية « مخرج ٨ ص ٥٩ طبعة حيدر آباد » . ونقل ابن الديلمي من تاريخه كما جاء في ترجمة « محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الثقفي الأصفهاني » ، قال : « ذكره أبو بكر عبيد الله بن أبي الفرج المارستاني فيما رسمه من التاريخ وسماه (ديوان الاسلام الأعظم لمدينة السلام) ولم يسمه ... وأبو بكر هذا ممن لا يعتمد عليه ولكن حكينا ما ذكره (٣) » . ونقل منه في مواضع أخرى

(١) تلخيص معجم الألقاب ج ١ ص ٢٣٦ من نسختي المخطوطة الأولى .

(٢) تاريخ الاسلام نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٨ ، ١١٩ ، وله ترجمة في ذيل الروضتين ص ٣١ والجامع المختصر ٩ : ٨٢ ، ٩٨ ، ١١٢ ، وعيون الأقباس ١ : ٣٠٣ ، وذيل طبقات الحنابلة ١ : ٢٠٢ ، وقد دافع عنه أبو شامة وابن رجب . وله ذكر في أخبار الحكماء ص ١٥٤ ، والشذرات ١ : ٣٢٩ .

(٣) ذيل تاريخ بغداد ، نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٩٢١ الورقة ٦ .

الضائع من معجم الأدباء

طاعناً عليه . ونقل غير مؤرخ من كتابه « سيرة عون الدين بن هبيرة » كما فعل الصفيدي في ترجمة العاضد لدين الله الفاطمي ^(١) .

٢٨ - محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن محمود بن غرس الدولة أبو نصر المنشيء البغدادي ذكره ياقوت أولاً في ترجمة « أحمد بن علي بن المعتمر العلوي الحسيني القتيبي » المتوفى سنة « ٥٦٩ » قال : « وكان فيه كياس ومحبة لأهل العلم ، وبينه وبين محمد بن الحسن بن حمدون مكاتبات كتبتها في ترجمته » ^(٢) .

وجاء في آخر الجزء الثالث من معجم الأدباء « ثم المجلد الثالث من كتاب معجم أهل الأدب والحمد لله رب العالمين وصلاته على سيد المرسلين محمد النبي وآله الطاهرين وصحبه أجمعين ، ويتلوه إن شاء الله في أول الرابع (محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون القتيبي بن غرس ^(٣) الدولة أبو نصر المنشيء صاحب الرسائل » ^(٤) .

[تمة]

وقال ابن الفرطحي : « غرس الدين أبو نصر محمد بن الحسن بن علي بن حمدون البغدادي المنشيء ، أخو صاحب بهاء الدين أبي المعالي محمد ، وكان ينوب في ديوان الرسائل عن سيد الدولة [محمد بن عبد الكريم] ابن الأتباري ، وكتب في الديوان من سنة ثلاث عشرة وخمسة إلى أن مات ، وذكره أبو سعد بن السمعاني وقال : سمع أبا عبد الله الحسين بن علي ابن البصري ، كتبت عنه بأفاده شيخنا أبي الحسن علي بن أحمد اليزيدي ، قال : وسألته عن مولده فقال : ولدت في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعمائة . وذكر أحمد بن صالح بن شافع

(١) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ » .

(٢) معجم الأدباء ١ : ٢٤ طبعة مرجعيات .

(٣) في النسخة المطبوعة « غرس الدولة » وهو أميغ .

(٤) معجم الأدباء ١ : ٢٤٣ .

في تاريخه أنه توفي في ذي الحجة سنة ثمان وأربعين وخمسة «^(١)» .

وقال ابن خلكان في ترجمة أخيه بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن حمدون :
« كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، من بيت مشهور بالرئاسة والفضل هو وأبوه
وأخوه أبو نصر | غرس الدولة محمد بن الحسن | وأبو المظفر ... وأخوه أبو نصر محمد بن
الحسن الملقب غرس الدولة ، كان من العمال ومن يعتقد في أهل الخير والصلاح ويرغب في
صحبته ، وله في صفر سنة ثمان وثمانين وأربعين وخمسة ، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وأربعين
وخمسة ببغداد ودفن بمقابر قريش ^(٢) ، وكان والدهما من شيوخ الكتاب والعارفين
بقواعد التصرف والحساب وله تصنيف في معرفة الأعمال وعمر طويل وتوفي يوم السبت
عشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وخمسة » ^(٣) . وذكره ابن الديلمي في ترجمة أخيه
بهاء الدين بقريب مما نقلناه من الوفيات ^(٤) وقول ابن الديلمي أقدم زماناً .

٢٩ — محمد بن داود بن علي بن خلف أبو بكر المصمعي الظاهري :

قال ياقوت في ترجمة أبي عبد الله إبراهيم بن محمد نبطويه المتوفى سنة « ٣٢٣ هـ » :
« وكان ابن أبي عبد الله نبطويه وبين محمد بن داود الاصمعي مودة أكيدة وتضاف ...
وقال | نبطويه | : إن أبا بكر بن داود قال لي يوماً - وقد تجارنا حفظ عمود الأصمعي -
فقال : أقل ما يجب للصديق أن يتسلّب على صديقه سنة كاملة عملاً بقول لبيد :
إلى الخول ثم اسم السلام عليكما ومن بك حولاً كاملاً فقد اعتذر
... قال المؤلف لهذا الكتاب | يعني ياقوت نفسه | : وأخبار أبي بكر بن داود

(١) الخبص معجم الألقاب ١ : ١٨٧ من نسخة الأولى .

(٢) من مقبرة الاسام موسى بن جعفر الحالية في السكاكبية .

(٣) الوفيات ٢ : ٩٦ .

(٤) قبل تاريخ بغداد ٤ نسخة دار الكتب الوطنية باريس ١٩٠١ الورقة ٢٣ .

كثيرة مليحة رائقة وقد أوردنا له باباً في هذا الكتاب فقف عليه تطرب وتعجب ^(١) .

[تتمة]

وقال الخطيب البغدادي : « محمد بن داود بن علي بن خلف أبو بكر الأصمباني صاحب كتاب الزهرة ، كان عالماً أدبياً ، شاعراً ظريفاً ، وله في الزهرة أحاديث عن عباس بن محمد الدوري وطبقته ... أخبرنا أبو نعيم الأصمباني أخبرني جعفر الخالدي في كتابه إلي قال سمعت رويح بن محمد بن رويح بن يزيد يقول : كنا عند داود بن علي الأصمباني إذ دخل عليه ابنه محمد وهو يبكي فضاة إليه وقال : ما يبكيك ؟ قال : الصبيان يلقبوني . قال : فعلى أيش حتى أتاهم ؟ قال : يقولون لي شيئاً . قال : قل ما هو حتى أتاهم عن الذي يقولون قال : يقولون لي (يا عصفور الشوك) . فقال : فضحك داود . فقال له ابنه : أنت أشد علي من الصبيان . ممّ تضحك ؟ فقال داود : لا إله إلا الله ما الألقاب إلا من السماء ، ما أنت يا بني إلا عصفور الشوك ^(٢) . أخبرنا علي بن أبي علي حدثنا القاضي أبو الحسن الحرزي الداودي قال : لما جلس محمد بن داود بن علي الأصمباني بعد وفاة أبيه في حلقة يفتي استصغروه عن ذلك ، فندسوا إليه رجلاً فقالوا له : سألته عن حد السكر ما هو ؟ فأثاه الرجل فسأله عن حد السكر ما هو . ومتى يكون الإنسان سكران ؟ فقال محمد : إذا عزبت عنه الهموم وباح بسرّه المكتوم . فاستحسن ذلك منه وعلم موضعه من العلم . حدثني القاضي أبو الطيب مظهر بن عبد الله الطبري قال حدثني أبو العباس الخضرى - شيخ كان بطبرستان وكان ممن حضر مجلس محمد بن داود الأصمباني ^(٣) - قال : كنت جالساً عند أبي بكر بن

(١) معجم الأدباء ، ١ : ٢٠٨ - ٢١٠ .

(٢) قال ابن القوام : « عصفور الشوك محمد بن داود الأصمباني ، المحدث للأصمباني صاحب كتاب الزهرة ليس من شرط هذا الكتاب » . « تلخيص معجم الألقاب » : ١ : ٥٢ . وما قرى بعضهم لم يكن من شرط هذا الكتاب ؟ لأنه لقب استمراه .

(٣) قال في آخر الجزء : « قال لي القاضي أبو الطيب : كان الخضرى شافعي المذهب إلا أنه كان يوجب بإذن داود : يقرظه ويصف فضله » .

داود فجاءته امرأة فقالت له : ما تقول في رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها ؟
 - ومعنى لا هو ممسكها أنه لا يقدر على نفقتها - فقال أبو بكر بن داود : اختلف في ذلك
 أهل العلم فقال قائلون : يؤمر بالصبر والاحتساب ويبعث على التطلب والاكتساب . وقال
 قائلون : يؤمر بالانفاق وإلا يحمل على الطلاق . قال أبو العباس الخضري : فلم تفهم قوله
 وأعادت مسأله وقالت : رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها . فقال : يا هذه قد
 أحببتك عن مسألتك وأرشدتك إلى طلبتك ولست بساطان فأمضي ولا قاص فاقضي
 ولا زوج فأرضي ، انصرفي رحمك الله . قال : فانصرفت المرأة ولم تفهم جوابه . أخبرنا
 أبو علي محمد بن الحسين الجازري حدثنا المعاني بن زكريا الجري حدثنا محمد بن يحيى الصولي
 قال : كنت عند ثعلب جالساً ، فجاءه محمد بن داود الاصبهاني فقال : أهائنا شيء من
 مسألتك ؟ فأشدهم :

سقى الله أياماً لنا وليالياً لهنّ بأكناف الشباب ملاعبُ
 إذا العيش غص والزمان بفرّة وشاهد آفات المحبين غائب
 حدثنا أبو نعيم الحافظ حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني أخبرني بعض أصحابنا قال :
 كتب بعض أهل الأدب إلى أبي بكر بن داود الفقيه الاصبهاني :

يا ابن داود يا فقيه العراق أفتنا في قوادل الأحداق
 هل عليها القصاص في القتل يوماً أم حلال لها دم العشاق ؟
 فأجابه ابن داود :

عندي جواب مسائل العشاق اسمعه من قلق الحشا مشتاق
 لما سألت عن الهوى أهل الهوى أجريت دمعاً لم يكن بالراقي
 أخطأت في نفس السؤال وإن تصب تلك في الهوى شنةً من الأشواق
 لو أن معشوقاً يعذب عاشقاً كلف المذب أنعم العشاق

الضائع من معجم الأدباء

أخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس النعماني قال أنشدنا أحمد بن نصر الذراع قال سمعت
أبا بكر محمد بن داود بن علي الأصمهاني ينشد :

ومن يمنع العذب الزلال ويمتنع من الشرب من سؤر الكلاب تفضيا
يخلق إذا ما لم يجد شرب غيره وخاف المنايا أن يذل ويشرها
إذا لم يقدر للفتى ما أراد أراد الذي يقضى له شاء أم أبى

حدثني الأزهرى قال أنشدنا محمد بن جعفر الهاشمي قال أنشدنا عبيد الله بن أحمد
الأنباري قال أنشدني محمد بن داود الأصمهاني لنفسه :

ولاني لأدري أن في الصبر راحة ولكن إناقي على الصبر من همري
فلا تطف نار الشوق بالشوق طالبا سلوا قلب الجمر يسمر بالجر
[وبإسناد آخر] عن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي قال : كنت
أسير أبا بكر محمد بن داود بن علي ببغداد فاذا جارية تغني بشيء من شعره وهو :

أشكو غليل فؤاد أنت متلفه شكوى غليل إلى ألف يعلله
سقي تزيده مع الأيام كثرته وأنت في عظم ما ألقى تقلله
الله حرم قتلي في الهوى سفها وأنت يا قاتلي ظلما تحمله

فقال محمد بن داود : كيف السبيل إلى استرجاع هذا ؟ فقال القاضي أبو عمر : هيات ،
سارت به الركبان .

[وبإسناد آخر] ل محمد بن داود الأصمهاني :

قدّمت قبلك قد والله برّح بي شوق إليك فهل لي فيك من حظ
قلبي يغار علي^(١) عوفي إذا نظرت بقيا عليك فما أروى من اللعظ

* * *

(١) الصواب : من عني ، لأنه يغار من عذبه على حبيبه .

جُعلت فدائك إني صليت فداءً لنفسك نفسٌ مثلي أو وقاء
وكيف يجوز أن تفديك نفسي وليس محل نفسيًا سواء ؟
[وباسناد آخر] :

الغدر يلحقه التحريف والكذب وليس في غير ما يرضيك لي أرب
وقد أسأت فبالنعمى التي سلفت إلا مننت بعفو ما له سبب

[وباسناد آخر] قال محمد بن داود الاصبهاني : ما انشككت من هوى منذ دخلت
الكتاب ، وبدأت بعمل كتاب الزهرة وأنا في الكتاب ونظر أبي في أكنه . [وبآخر]
كان محمد بن داود وأبو العباس بن سريج يسيران في طريق ضيقة ، فقال أبو العباس : الطريق
الضيقة تورث العقوق . فقال له محمد بن داود : وتوجب الحقوق . وقال أبو العباس بن
سريج لمحمد بن داود ، في كلام ناظره فيه : عليك بكتاب الزهرة . فقال : ذاك كتاب
عملناه هزلاً فاعمل أنت مثله جداً . [وباسناد من أسانيد] كان محمد بن داود خصماً لأبي
العباس بن سريج القاضي ، وكانا يتناظران ويتراذان في الكتب ، فلما بلغ ابن سريج موت
محمد بن داود نحس مخاضه ومساوره وجلس للتعزية وقال : ما آسى إلا على تراب أكل لسان
محمد بن داود . [وبغيره] لأبي بكر بن داود :

جئت جبال الحب فيك وإني لأعجز عن حمل القميص وأضعف
وما الحب من حسن ولا من سماجة ولكنه شيء به الروح تكلف

حدثني مكِّي بن إبراهيم الفارسي قال أنشدنا ابن كامل الدمشقي لأبي بكر محمد بن داود

في حبيبته محمد ^(١) بن زخرف :

يا يوسف الحسن تمثيلاً وتشبيهاً يا طلعة ليس إلا البدر يحكيها

(١) المشهور هو بحبسه محمد بن جامع الصيدلاني ، وإن كانه كما قال : « ما انفك من هوى منذ دخل
الكتاب » والظاهر أنه كان ذا شذوذ جنسي يعزل إلى الصبيان والفلوات .

الضائع من معجم الأدباء

ما للبس دور وللتعذيب يا أملي نور البدور عن التعذيب يغنيها
من شك في الحور فليستظر اليك فما صيغت معانيك إلا من معانيها
إن الدنانير لا تحلى وإن عتقت ولا يزداد على النقش الذي فيها

أبنا أبو سعد الماليني حدثنا الحسن بن إبراهيم الليثي حدثني الحسين بن القاسم قال :
كان محمد بن داود يعيل إلى محمد بن جامع الصيدلاني وبسببه عمل كتاب الزهرة وقال في
أوله : وما تنكر من تغير الزمان وأنت أحد مغيريه ، ومن جفاء الإخوان وأنت المقدم
فيه ، ومن عجيب ما يأتي به الزمان ظالم يتظلم وغاب يتقدم ومطاع يستظهر أو غالب يستنصر ،
وبلغنا أن محمد بن جامع دخل الحمام وأصلح من وجهه وأخذ المرأة فنظر إلى وجهه فغطاه
وركب إلى محمد بن داود : فلما رآه مغطى الوجه خاف أن يكون لحقته آفة . فقال : ما الخبر ؟
فقال : رأيت وجهي الساعة في المرأة فغطيته وأحببت أن لا يراه أحد قبلك ^(١) ، فغشي على
محمد بن داود . قال الليثي : وحدثني محمد بن إبراهيم بن سكرة القاضي قال : كان محمد بن
جامع يتفق على محمد بن داود ، وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشق إلا
هو ^(٢) . [وبإسناد ^(٣) آخر أن ابن سريج ناظر أبا بكر بن داود في الفقه] في مجلس القاضي
أبي عمر محمد بن يوسف فغضب ابن سريج وقال له : أنت يا أبا بكر بكتاب الزهرة أمهر منك
في هذه الطريقة . فقال أبو بكر : وبكتاب الزهرة تعيرني ؟ والله ما تحسن تستم قراءة
قراءة من يفهم وإنه لمن أحد المناقب إذ كنت أقول فيه :

أكرر في روض المحاسن مقلتي وأمنع نفسي أن تنال محرما

(١) انظر إلى هذا التفتت للتأنت وشذوذ محبته .

(٢) الصحيح أنها كانتا متعاشقين شذوداً .

(٣) ذكره قباة التنوخي في اشوار المعاصره ٨ : ١١٢ ، والسبكي في طغيات الشافعية المكي

وينطق سري عن مترجم خاطري فلو لا اختلاسي ردد لنكلامي
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم فما إن أرى حباً صحيحاً مساماً
فقال ابن سريج : أو عليّ تمخير بهذا القول وأنا الذي أقول :

ومساهر بالغنج من لحظاته قدبت أمتعته لذيذ سباته
ضناً بحسن حديثه وعتابه وأكرر الاحتفلات في وجناته
حتى إذا ما الصبح لاح عموده وكى بخسائمه رقبته وبراته

فقال ابن داود لأبي صهر القاضي : أيد الله القاضي قد أقر على نفسه بالمبيت على الحال التي ذكرها وأدعى البراءة مما توجيهه فعله البيعة ، فقال ابن سريج : من مذهبي أن المقر إذا أقر إقراراً وناطه بصفة كان إقراره موكولاً إلى صفته . فقال ابن داود : للشافعي في هذه المسألة قولان . فقال ابن سريج : فهذا القول الذي قلته اختياري الساعة . [وبإسناد عن نبطويه] قال دخلت على محمد بن داود الاصفهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له : كيف تحمدك . فقال : حب من تعلم أو رثي ما ترى . فقلت : ما نملك من الاستمتاع به مع القدرة عليه . فقال : الاستمتاع على وجهين : أحدهما النظر المباح والثاني (كذا أي الآخر) اللذة المحظورة ^(١) . فأما النظر المباح فأوردني ما ترى وأما اللذة المحظورة فانه منعني منها ما حدثني به أبي [وأسنده الى ابن عباس عن النبي - ص] أنه قال : من عشق وكم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ^(٢) ، ثم أنشد لنفسه :

انظر إلى السحر يجري في لوحظه وانظر إلى دمع في طرفه الساجي
وانظر الى شعرات فوق عارضه كأنهن نعال دب في عاج
وأنشدنا لنفسه :

ما لهم أنكروا سواداً بخدي . . . ولا ينكرون ورد الغصون ؟!

(١) انظر عندي هو الباعث على طلب اللذة .

(٢) لا شك في أن الرسول - ص - أراد عشق الآثام لا عشق الله كونه حرام تماماً .

الضائع من معجم الأدباء

إن يكن عيب خدعه بدد الشعر . . . ر فعيب العيون شعر الجفون
فقلت له : نفيت القياس في الفقه وأثبتته في الشعر . فقال : غلبة الهوى وملكة
النفوس دعنا إليه ^(١) . قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني . قرأت على الحسن بن أبي
بسكر عن أحمد بن كامل القاضي [ابن شجرة] أن يوسف بن يعقوب القاضي مات يوم
الاثنين لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين ، وفي اليوم الذي مات فيه
مات محمد بن داود بن علي الأصهباني ^(٢) ... » .

قال ياقوت : « وكان بين ابن عرفة أبي عبد الله نخطوبه وبين محمد بن داود الاصهباني
مودة أكيدة وتصافق تام ، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني هوى
أفضى به إلى التلف ، وكان ابن عرفة نخطوبه [يختلف إليه قال] : فدخلت عليه في مرضه
الذي مات فيه فقلت : يا سيدي ما بك ؟ فقال : حب من تعلم أورثني ما ترى . فقلت :
ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ فقال : الاستمتاع نوعان محظور ومباح ،
أما المحظور فعاذ الله منه ، وأما المباح فهو الذي صيرني إلى ما ترى . ثم قال حدثني سويد
ابن عباس [أن النبي — ص — قال : من حب فعف وكرم ثم مات مات شهيداً . ثم غشي
عليه ساعة وأفاق ففتح عينيه . فقلت له : أرى قلبك قد سكن وعرق جبينك قد انقطع
وهذه أمانة العافية ، فأنتما تقول :

أقول لصاحي وسلياني	وغرهما سكوني حي جيبني
نسلوا بالتعزي عن أخيك	وخوضوا في الدعاء وودعوني
فلم أدمع الأين لضعف سقم	ولكني ضعفت عن الأين

(١) نقل ياقوت الخبر في ترجمة نخطوبه باختلاف عن هذا النص يسير . معجم الأدباء ١ : ٣٠٩ ، ٣٠٨ .

كما ترى .

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ٥ : ٢٥٦ — ٢٦٣ . ونقل أنه توفي على قول لبهم خلون من عوال .

ثم مات من ليلته وذلك في سنة ٢٩٧ . فيقال ان نبطويه تفجع عليه وجزع جزعاً عظيماً ولم يجلس الناس سنة كاملة ثم ظهر بعد السنة مجلس^(١) ... » .
وقال محب الدين بن النجار في ترجمة « عبيد الله بن أحمد بن السمسار الداودي القاضي » :
« من تلاميذ أبي بكر محمد بن داود الأصبهاني . روى عنه وعن أبيه داود أيضاً » . ثم ذكر أنه قرئت عليه مصنفات أبي بكر بن داود بأسرها وقال : « قرأت على أبي القاسم سعيد بن محمد المؤدب عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد المعدل قال : كتب إلي القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القعساعي عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار ... أن حدثنا كان يعرف بابن سمعون الصوفي نشأ مع أبي بكر بن داود في كتاب واحد ، وكان لا يفتقران وإذا عمل أبو بكر كتاباً في الأدب ناقضه وعمل في معناه وأن أبا بكر نقش على فصحته سطرين الأول منها (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) والآخر (فلا تذهب نفسك حشرات عليهم) فكان إذا رأى إنساناً ينظر إلى حدث رمى إليه بخاتمه وقال : اقرأ ما عليه . فينتهي عن ذلك . فقال لابن سمعون : أتقدر أن تناقضي في هذا ؟ فقال : نعم . ولما كان الغد جاءه بخاتم على فصحته | سطران | الأول منها (وجعلنا بعضهم يومئذ يموج في بعض فتنة أتصبرون^(٢)) والثاني (ولنصبرنَّ على ما آذيتهمونا^(٣)) . قال : وحدثنا القاضي أبو عمر أن أبا بكر بن داود كان يجعل طريقه إلى الجامع^(٤) من سكة الربيع ، وكانت امرأة تقف خلف بابها وتفتح بقدر ما تنظر إليه ، فلما كان بعد مدة جذبت طيلسانها ، وكنت أمشي خلفه ، فقالت : يا هذا إني أشتهي أن أستغي صاحبك في مسألة وأستحي أن

(١) معجم الأدباء ١ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٢) كذا ورد الآية في سورة السجدة . وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور نجعلنا جماً ، (الآية ٩٩) .

(٣) سورة الاسراء الآية ١٢ .

(٤) يعني جامع المنصور في وسط مدينة السلام بالجزيرة الفارسية .

الضائع من معجم الأدباء

أخطبته على الطريق فاهمل على أن تدخله إلى مسجد مقابل دارنا لنسأله فيه . ودفعت إليّ دُمليجاً وقالت : خذ هذا بارك الله لك فيه . فردته عليها وقالت : أنا في غنى عنه ولكنني أتلطفه في ذلك عند انصرافنا من الجامع . فلما قربنا من ذلك الجامع عرفته أن البول قد أفلقني وسألته أن ندخل المسجد إلى أن أقضى حاجتي . ففعل ودخلت المرأة عليه ، وعبرت (كذا) فإذا هي تشكو إليه | وتقول | له : والله إني لأحبك وإني لأشتهي أنظر إليك . فقال : ألك زوج ؟ قالت : نعم . فأطرق ثم أنشأ يقول :

أما الحرام فلست أركب محرماً ووصال مثلك في الحلال شديد
إن امرأاً أميت ملك عينه يقضى عليك بحكمه لعيد
وترك الاجتياز بتلك السكة إلى أن مات ^(١) .

وقال ابن الفوطي في ترجمة « الحسين بن محمد بن سعد الرومي السيواسي الفقيه » :
« أنشد لمحمد بن داود الأصبهاني :

خفت من صدّه عليّ فصدّاً وبدا بالجفاء لي وتصدّي
قال لي قد جرححت بالمحظ خدي كيف يقوى أن يجرح المحظ خذا
سيدي أنت للجروح قصاص قد رأينا مولى يؤدب عبدا
خذ جنوني إن كنت أذيت فاضرب بدموعي إنسان عيني حدا ^(٢)

وقال ابن الفوطي في ترجمة إسماعيل بن عبد المؤمن بن رستم الأصبهاني المحدث :
« روى عن أبي بكر محمد بن داود بن علي الفقيه في قول النبي — ص — (من عشق فكمتم فمات فهو شهيد) :

سأكم ما ألقاه يأنور ناظري من الود كيلا يذهب الأجر باطلا

(١) التاريخ الجديد لمدينة السلام « نسخة للكتابة الخطمية » الورقة ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ .

(٢) تلخيص معجم الأئمة ، ١ : ٦٠ .

وقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد
بأن من يمت بالحب يكتم سرّه
ومن كانت برأ بالأنام وواصل
يكون شهيداً في الفردوس نازلاً
رواه سويد عن علي بن مسهر
فما فيه من شك لمن كان عاقلاً^(١)

وقد ذكر له ابن النديم من الكتب كتاب الانذار والاعذار ، والوصول الى معرفة
الأصول ، والايجاز ، والرد على عبد الله | ابن شرشير ، والرد على أبي عيسى الضرير والانتصار
من أبي جعفر الطبري ، وقال : « وقد ذكرت ما صنّفه من الكتب في الأدب والشعر
في موضعه من مقالة الأخباريين والنسابين والأدباء » . وفي الوقفيات أن الرد الثاني على عيسى
ابن ابراهيم الضرير .

وقد طبع الجزء الأول من كتابه الزهرة بعض المستشرقين الأمريكان ، ومن الجزء
الثاني نسخة في مكتبة مديرية الآثار القديمة ببغداد صارت اليها باهبة من الآباء الكرمليين
بعد وفاة اللغوي المشهور الأب أنستاس جامع الخزانة .

٣٠ — محمد بن خلصة أبو عبد الله الشزوني :

قال الصفدي : « تزيل دانية ، كان كفيفاً من كبار النحاة والشعراء أخذ عن ابن سيده
وروع في اللغة والنحو وشعره مدون . توفي سنة سبعين وأربعمائة أو ما قبلها ... وقد
طول بأقوت في إيراد ما أورده من ترسله وشعره في معجم الأدباء^(٢) ، وأورد له مراسلات

(١) المرجع المذكور ٤ : ٩٦ • ولابن داود الاسهباني ترجمة في المنتظم ٦ : ٩٣ • والوقفيات
٢ : ٢٢ • والفهرست لابن النديم ٥ : ٣٠ • من طبعة مصر • وطبقات الفقهاء لأبي اسحق في
الشيرازي ٥ : ١١٨ • وهو من المراجع القديمة ، وأشار ابن الأثير الى وفاته في سوادث سنة ٢٩٢ • وابن
تبري بردي في النجوم الزاهرة ٣ : ١٧١ • وابن الهيثم في المشتقات نقلاً من العبد للفدعي ٢ : ٢٢٦ •
وله ترجمة وأخبار في تواريخ أخرى .

(٢) قال طابع الجزء الثالث من الوقفيات ٣ : ٢٢ : « ترجمته غير موجودة في معجم
الأدباء » وقوله صريح .

الضائع من معجم الأدباء

كتبها الى وزراء الموصل و تقييدها ... ، ورأيت ابن الأثير قد ذكر في تحفة القادِم ابن خلدون
التحوي الشاعر في أول كتابه لكنه [عندده هو] محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن فتح بن
قاسم بن سليمان بن سُويد وقال : هو من أهل بلنسية وأقرأ وقتاً بدائية . وذكر وفاته في
سنتين مختلفة وصحَّح سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ، وأما غير هذا لبعده ما بين الوفايتين ،
وقد ذكرتُ هذا الثاني مكانه ^(١) ، وهذا الأول نقلته من خط الشيخ شمس الدين في مكانه
والله أعلم . ومن شعره :

بفسرهم بك والآمال كاذبة	ما تجتمعُ والكَ من خيل ومن خول
وما يصمهم عظماً كل ذي شعل	ولا يقوم بخصل كل ذي خصل
مكنت حزمك من حيزوم مكرم	وقد تصاد أسود الغيسل بالغيسل

ومنه :

ملك إذا استبقت الأيام باقية	عمن أبادته أو جادت بمعتقب
طوى الجناح على كسر به حسداً	كسرى وعاد أبا كرب أبو كرب

ومنه :

بنفسي وقأت ظعنهم مستقلة	ولقلب إثر الواخداث بهم وخد
يحف منا الآثار فيهم سسنا العلي	وشهد الله الماذي ماذية حصد
فمن غرب نعر دونه غرب مُرهف	ومن ورد خد دونه أسدورد

قلت : شعر جيد طبقة ... والحميدي قال : آخر حميدي به بدائية ويحتمل أن يكون
ورد الشام ^(٢) .

(١) ج ٣ ص ٢٥٢ وقال هناك : « خلدون بفتح الحاء المعجمة واللام والصاد » .

(٢) الوالي بالوفيات ٣ : ٤٢٠ ، وكرر الصفا في الترجمة في نكت المحيان ٥ من ٢٤٤ ، ولم يقرط

وقال السيوطي : « محمد بن خلصة الشاذلي النحوي أبو عبد الله ويقال له البصير ، وكان أعمى قال الحميدي : كان من النحويين المتصدرين والعلماء المشهورين والشعراء المجوّدين بدائية بعد الأربعين وأربعمائة . قال الذهبي : أخذ عن ابن سيده وبرع في اللغة والنحو ، وشعره مدون ، مات سنة سبعين وأربعمائة أو قبلها ومن شعره :

أرى جزعي بالجزع يزداد كلما ينادي فريق منهم بالتفرق
تخطف نفسي كل مخطفة الحشا ويخفق قلبي كل وجنء خيفق
وهل ناصري صبري ودمعي خاذلي وهل منقذي عزمي ودمعي مغرقي^(١)

٣١ - محمد بن سعد الرازي السطّاب المؤرّخ :

قال الصفيدي : « لم يكن بعد ابن البواب من كتب الثلث والمحقق مثله . قال ياقوت : ورأيت جماعة يفضلونه على جماعة من الكتاب حتى قيل إنه كتب ذلك أصفى من ابن البواب^(٢) » .

٣٢ - محمد بن سعيد الكمراني :

قال ياقوت : « كمران بالضم والتخفيف وآخره نون ... قال السلفي قال لي أبو منصور الفيروز أبادي الحافظ : كمران قرية على عشرة فراسخ من سیراف ، وإليها ينسب محمد بن سعد الكمراني الأديب الأخباري ، روى عن الأصمعي وأكثر عن الرياشي وأبي حاتم السجستاني وعمر بن شبة وحامد بن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبي الحسن الميداني والخليل بن أسد النوشجاني وطبقته ، روى عنه الصولي وكان من مشاهير أهل الأدب^(٣) ... فقوله « كان

(١) بقية الرواية ص ٢٠ .

(٢) الوافي بالوفيات ٣ : ١٠ .

(٣) معجم البلدان في كمران .

الضائع من معجم الأدباء

من مشاهير أهل الأدب « يؤذن بأنه ترجمه في معجم الأدباء .

٣٣ — محمد بن عمر بن محمد بن محمد أبو الفتح الديلمي المروزي النحوي :

قال السيوطي : « قال ياقوت : شيخ جليل عالم ، حسن العشرة ، أخذ النحو عن أبيه ، ولقي الزمخشري وقرأ على تلميذه البقال وله شرح المفصل [المحصل في شرح المفصل] . شرح الأنموذج . تهذيب مقدمة الأدب . القانون الصلاحي في أودية النواحي . فلك الأدب . منافع أعضاء الحيوان . وكان ينظر في خزانة السكتب التي بالجامع الأكبر بمرو . ومولده في المحرم سنة ٥١٧ . وعثر بعناية بابه فسقط على وجهه ووهن عظمه وهنأ أكذاه إلى الموت وذلك في يوم الأحد ثامن عشر صفر سنة تسع وستمائة ^(١) » .

[تمة]

وقال أبو عبد الله بن الديلمي : من أهل مرو ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو وله فيه تصنيف ، وشرح المفصل في النحو تصنيف محمود بن عمر الزمخشري وسماه (المحصل في شرح المفصل ^(٢)) وغير ذلك وهو مشهور عند أهل بلده بالفضل والمعرفة . سمع شيئاً من الحديث على علو سنة من تاج الإسلام أبي سعد بن السمعاني ، وقرأ الأدب مدة ببلده وحدث به . قدم بغداد حاجاً في سنة ست وستة وخمسة وعاد ولم يبق بها ، فاستجزاه فأجاز لنا في شهر ربيع الأول سنة سبع وستمائة وكتب لنا بخطه . مولده في محرم سنة سبع عشرة وخمسمائة . وسأله غيرنا فقال : في ثلثه . وتوفي بعد عودته إلى مرو بها يوم الأحد ثامن عشر صفر سنة تسع وستمائة عن اثنتين وتسعين سنة وشهر ونصف ^(٣) » .

(١) بقية الوعاة ٥ من ٤٥ .

(٢) ذكره مؤلف كشف الغطاء في الكلام على « الفصل » قال في ذكر نسبه : « ومحمد بن سعد الديلمي المتوفى سنة تسع وستمائة وسماه المحصل » .

(٣) ذيل تاريخ بغداد ٥ نسخة دار السكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٦ ٥ الورقة ٥٤ ٥ .

وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٠٩ : « وفي الثامن عشر من صفر توفي الشيخ الفاضل أبو الفتح محمد بن سعد بن محمد بن محمد الديباجي المروزي النحوي بمرو . ومولده في الثالث من المحرم سنة ٥١٧ سمع من تاج الاسلام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني وغيره وحدث بمرو ، وأقرأ بها الأدب مدة وشرح المفصل لازخشي بكتاب سماه (المحصل في شرح المفصل) وصنف في النحو غير ذلك ، وهو مشهور عند أهل مرو بالفضل والمعرفة ^(١) » .

وقال الذهبي في وفيات سنة ٦٠٩ : « محمد بن سعد بن محمد أبو الفتح الديباجي المروزي ، شيخ العربية بمرو ومصنف كتاب المحصل في شرح المفصل لازخشي . سمع من أبي سعد السمعاني وحدث وأقرأ النحو دهرًا وحج وعاش اثنين وتسعين سنة ، وهو مشهور في تلك الديار ، من أعيان النحاة ، توفي بمرو في ثامن عشر صفر ^(٢) » .

٣٤ — محمد بن مسلم بن يحيى بن علي بن الطحاج بن محمد بن محمد بن محمد بن أبي
عبد الله الواسطي المعروف بابن الربيعي .

قال الصفي : « الدُّبَيْيُّ بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة والياء آخر الحروف ساكنة والياء المثلثة ^(٣) ... الحافظ الكبير المؤرخ ... الشافعي العدل . ولد في رجب سنة ثمان وخمسين وخمسمائة . وسمع بواسط وقرأ الفقه والعربية ، ورحل الى بغداد في حدود الثمانين ، وسمع من ابن شاذل والقزاز وأبي العلاء بن عقيل وخلق كثير ببغداد

(١) الشبكة لوفيات بغداد . نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ ج ١ : الورقة ٤١ »

(٢) تاريخ اسلام . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٩٨٢ الورقة ١٧٥ ، وله ترجمة و

الرواي بالوفيات ٣ : ٨٩ .

(٣) ضبطه قبله كذلك ابن خلكان في الوفيات ٢ : ١٠١ ، والصحيح فتح الدال نسبة الى قرية

ديشا من شرقي العراق .

الضائع من معجم الأدباء

والحجاز والموصل ، وعلق الأصول والخلاف ، وعني بالحديث ورجاله وصنف تأريخاً كبيراً
لواسط وذيل على الدليل للسمعاني وله نظم ، وكان من أعيان المعدلين ، والعدالة ببغداد
منصب كالمقضاء ... وقال ياقوت في معجم الأدباء : شيخنا الذي استسعدنا منه وعنه
أخذنا ، قلت له : هل تنسبون إلى قبيلة من قبائل العرب ؟ فقال : الناس يقولون : إننا
من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي وما عرفت أحداً من أهلنا يعرف ذلك . وتولى وقوف
المدرسة النظامية سنة ست مائة ... وقال ابن نقطة : له معرفة وحفظ . وقال الضياء الحافظ :
هو حافظ وحدث بتاريخ واسط وبالدليل له ومعجمه وقل أن يجمع شيئاً وأكثره على
ذهنه ، وله معرفة تامة بالأدب . توفي سنة سبع وثلاثين وست مائة ... وأورد له ياقوت
من شعره :

تمسكن مني في الندود وأحله	وأضعف وجد أعقد صبري وحله
وأيقن أنني في هواء مدله	فماد وأبدي بالغرام ودله
بديع جمال فاق في الحسن أهله	وسلط إعنائاً على القلب دله
وأسلمني للوجد حسن قوامه	وطلل دمي في حبه وأحله
وكنت ظليفاً لا أخاف من الهوى	فأسكن قلبي شوقه وأحله
إذا رمت عنه الصبر عن نصبري	وأهل قلبي من هواه وأحله
وإن قلت كم ذا الوجد يا قلب فأتد	يقول مجيباً لي عساه وأحله
فشكواي من وجدي به وبعادته	وبلواي من صبري إذا ما استقله
وإني على الحالات منه لندو غنى	وشوق عظيم القدر قلبي استقله
فن مسعدي في الحب والحب ظالم	ومن مرشد لي فيه قلباً أضله
كأنني إذا ما غاب عني شخصه	من الوجد ذو حزن بشيء أضله

ومن شعره :

خبرت بني الأيام نقرأ فلم نجد
وأصفيهم مني الوداد فقابلوا
وما اخترت منهم صاحباً وارثاً
صديقاً صدوقاً مسعداً في النوائب
صفاء ودادي بالقضى والشوائب
فأحسنته في فعله والعواقب

ومنه :

إذا اختار كل الناس في الدين مذهباً
فاني أرى علم الحديث وأمله
لتركهم فيه القياس وكونهم
وصوبه رأياً وحققه فعلاً
أحق اتباعاً بل أسدّهم سبلاً
يؤمنون ما قال الرسول وما أملى^(١)

| تكملة |

وقال شمس الدين الذهبي : « محمد بن سعيد بن يحيى بن علي بن حجاج الامام أبو عبد الله بن الدين الواسطي المقرئ المحدث النقيه الشافعي الحافظ المعدل . ولد سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وقرأ القراءات الكثيرة على أبي الحسن علي بن المظفر الخطيب وأبي الفتح نصر بن الكيال وعرض بن ابراهيم المراتبي وأبي بكر بن الباقلاني وجماعة . وسمع من أبي طالب الكتاني وهبة الله بن قسام وعبيد الله بن شاذيل ونصر الله القزاز وأبي العلاء بن عقيل وعبد المنعم الفراء وخلق كثير ، وبرع في القراءات والحديث وصنف تاريخ بغداد وتاريخ واسط ، وله خبرة تامة بالعربية والشعر وأيام الناس ، تصدر للأقراء والتحديث . روى عنه زكي الدين البرزالي وأبو الحسن علي بن محمد الكازروني وعز الدين الفاروقي وجمال الدين الشريشي وتاج الدين علي الخراساني وآخرون ، وأضر بأخرة . وتوفي ببغداد في

(١) الوافي بالوفيات ٢ : ١٠٢ . ولم يذكره الذهبي في : نكت الممان ، مع أنه أضر في

آخر عمره كما يأتي نقله .

الضائع من معجم الأدباء

ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين وستائة . وقرأ عليه بالعشر عبد الصمد [بن أبي الجيش] « (١) » .

٣٥ — محمد بن سهل أبو منصور المرمزي الأشعث السكرمي المجرى (كذا) الملقب

بالباحث عن مناصب العلم :

قال الصلاح الصفدي : « هو من أهلى السكرج وهو أحد البلغاء الفصحاء . قال

ياقوت في معجم الأدباء : لم تقع إليّ وفاته ولا شيء من شأنه ، غير أني وجدت في كتابه

(المنتهى في السكال) : أنشدني ابن طباطبا العلوي — وابن طباطبا مات سنة اثنتين

وعشرين وثلاثمائة — قال محمد بن إسحاق : قال لي من رآه إنه أشعث اليد وله من الكتب

(المنتهى في السكال) يحتوي على اثني عشر كتاباً وهي كتاب مدح الأدب ، كتاب صفة

البلاغة ، كتاب الدعاء والتعالميد ، كتاب الشوق والغراق ، كتاب الحنين إلى الأوطان ،

كتاب التهنئة والتعازي ، كتاب الأمل والمأمول ، كتاب التنيهات والطلب ، كتاب الحمد

والذم ، كتاب الاعتذارات ، كتاب الألفاظ ، كتاب نفائس الحكم « (٢) » .

٣٦ — محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي السطاب الشاعر :

قال الصفدي : « محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي الشاعر المشهور ، يقال له الطبرخزي

لأن أمه كانت من خوارزم وأبوه من طبرستان ، وكان ابن أخت محمد بن جرير الطبري ...

وجرت بينه وبين البديع الهمذاني مناقضات ذكرها ياقوت في كتاب معجم الأدباء في

ترجيتهما « (٣) » .

(١) طبقات الفراء * نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٥١ الورقة ١٢٢٠ * وله ترجمة في الوفيات

١٠٠٠ : ٢ * وطبقات الشافعية السكرمي قاسمي ٢٦ : ٢ * وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة * نسخة

دار الكتب الوطنية بباريس * وكتاب المواقف ١٣ : ٢ * والنسكفة ٢ : ٢٠٠ من نسخة

الاسكندرية * وغيره .

(٢) الوافي بالوفيات ٢ : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٣) الوافي أيضاً ١ : ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .

وقال ياقوت في « آمل » من معجم البلدان : « وقد خرج منها كثير من العلماء لكنهم قما ينسبون إلى غير طبرستان فيقال لهم الطبري ، منهم أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهور ، أصله ومولده من آمل ، ولذلك قال أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي — وأصله من آمل أيضاً وكان يزعم أن أبا جعفر الطبري خاله : بأمل مولدي وبنو جرير فأخوالي ويحكي المرء خاله فيها أنا رافضي عن ثراث وغيري رافضي عن كلاله . وكذب : لم يكن أبو جعفر — رحمه الله — رافضياً وإنما حسدته الحنابلة فرموه بذلك فاعتصمها الخوارزمي ، وكان سباً بآباً رافضياً مجاهرآ بذلك متبجحاً به » .

قلت : وهذا غلط وعدوان من ياقوت على أبي بكر الخوارزمي ، سببه وشم في التراجم فمحمد بن جرير الذي هو خال الخوارزمي الظاهر أنه طبري أملي آخر غير الطبري المؤرخ ، وهو من علماء الشيعة الإمامية ، قال النجاشي المؤرخ : « محمد بن جرير بن رستم الطبري الأملي أبو جعفر ، جليل من أصحابنا | الإمامية | كثير العلم ، حسن الكلام ، ثقة في الحديث له كتاب المستند في الإمامة ، أخبرناه أحمد بن علي بن نوح عن الحسن بن حمزة الطبري قال : حدثنا محمد بن جرير بن رستم بهذا الكتاب وبسائر كتبه » ^(١) .

وقد ميزه النجاشي عن أبي جعفر الطبري المؤرخ المتصر المشهور بأن قال سابقاً في كتابه : « محمد بن جرير أبو جعفر الطبري ، عالم له كتاب الرد على الحرقوصية ، ذكر طرق يوم الغدير . أخبرني القاضي أبو اسحاق إبراهيم بن مخلد قال حدثنا أبي قال حدثنا محمد بن جرير بكتابه الرد على الحرقوصية » ^(٢) .

٣٧ — محمد بن عبد الله بن العباس الوراق النحوي :

قال الصفدي : « مات سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ... قال ياقوت : بلغني أن كتاب

(١) رجال النجاشي ، ص ٢٦٦ ،

(٢) المذكور ، ص ٢٢٥ ، وفخوارزمي ترجمة في الوفيات وأسابيع السمعاني والبيهقي وغيرهم .

الضائع من معجم الأدباء

الفصول أملاه عليه السيرافي فكتبه هو إلى نفسه . وقال الصفدي أيضاً : « كان في طبقة أبي طالب العبدي وكان زوج بنت أبي سعيد السيرافي وله شرح مختصر الجرمي الأصغر سماه (الهداية) وكتاب (العلل) في النحو » (١) .

[تتمة]

وقال السيوطي : « محمد بن عبد الله بن العباس أبو الحسن النحوي المعروف بابن الوراق قال ابن النجار : كان ختن أبي سعيد السيرافي على ابنته . قرأ القرآن بالروايات على أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم وروى عنه ، قرأ عليه أبو علي الأهوازي وروى عنه ، وله من الكتب علل النحو وشرح مختصر الجرمي يسمى بالهداية ، مات يوم الأحد رابع جمادى الأولى سنة ٣٨١ » (٢) .

٣٨ — محمد بن عبد الله بن حمدان أبو الحسن الدلفي وقيل أبو الحسن علي بن حمدان الدلفي :

قال الصفدي : « النحوي » من أصحاب علي بن عيسى الرعي ، كان فاضلاً بارعاً ، شرح ديوان المتنبي في عشر مجلدات ، قال السلفي : وقفت على نسخة مقروءة عليه في سنة ستين وأربعمائة بمصر وعليها خطه ، وأظنه كان مقيماً بمصر ، كذا ذكر السلفي . قال ياقوت : ووجدت في موضع آخر أبو الحسن علي بن حمدان الدلفي والله أعلم (٣) .

وقال السيوطي : « محمد بن عبد بن حمدان الدلفي العجلي أبو الحسن النحوي ، قال ياقوت : من أصحاب علي الرماني ، كان فاضلاً بارعاً شرح ديوان المتنبي ومات بمصر سنة

(١) الواقي بالروايات ، ص ٢٢٩ .

(٢) بنية الوفاء ، ص ٥٣ .

(٣) الواقي بالروايات ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

ستين وأربعمائة» (١).

٣٩ - محمد بن عبد الرحمن الجنزروني الأديب :

قال ياقوت : « جنزروذ : بالفتح ثم السكون وفتح الزاي وضم الراء وسكون الواو وقال معجمة ، قرية من قرى نيسابور منها محمد بن الرحمن الجنزروني الأديب ، ذكرته في كتاب الأدباء » (٢).

إتمة

وقال الصفدي : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر أبو سعيد النيسابوري الكنجروذي الفقيه الأديب النحوي الطيب ، الفارسي ، شيخ مشهور أدرك الأسانيد العالية في الحديث والأدب وله شعر . توفي في صفر سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة وكانت لديه يد في الطب والفروسية وأدب السلاح وحدث سنين وسمع منه خلق كثير وحجرت بينه وبين أبي جعفر الزوزني البعائي محاورات أدت إلى وحشة فرماه بأشياء » (٣).

وقال السيوطي : « محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن جعفر الجنزروذي » (٤) أبو سعد الفقيه النحوي الأديب ، قال عبد الغافر في السياق : شيخ مشهور من أهل الفضل وله قدم في الطب والفروسية وأدب السلاح ، كان بارع وقته لاشتماله على فنون العلم . سمع الحديث وأدرك الأسانيد العالية في الأدب وغيره ، وحدث عن أبي أحمد الخافض ومليقته ، و [حدث] عنه خلق وله شعر حسن ، وحجرت بينه وبين أبي جعفر الزوزني محاورات أدت إلى وحشة فهجاه بسببها وجعله غرضاً ورماء بما برأه الله منه . مات في صفر سنة ثلاث

(١) البنية ٢٠٠ .

(٢) معجم البلدان في جنزروذ .

(٣) الوافي بالوفيات ٤ : ٢٣١ .

(٤) في المطبوع من البنية ١٠٠ - الجنزروذي وهو نصيف .

الضائع من معجم الأدباء

وخسين وأربعمائة» (١).

وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٤٥٣ : « وفيها أبو سعد الكنجرودي - بفتح الكاف والجيم بينهما جيم (كذا) ساكنة وآخره دال مهمة نسبة إلى كنجروذ قرية بنيسابور ويقال لها جنزروذ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد النيسابوري الفقيه النحوي الطبيب الفارسي ، قال عبد العافر : له قدم في الطب والفروسيه وأدب السلاح ، وكان بارع وقته لاستجماعه فنون العلم . حدث عن أبي عمرو بن حمدان وطبقته وكان مستند خراسان في عصره ، وتوفي في صفر » (٢).

٤٠ - محمد بن عبد الغفار الخزازي :

قال الصفدي : « ذكر أبو الطيب عبد الواحد بن علي الماغوي أنه عمل كتاب الخليل فعزاه الناس إلى أبي عبيدة فهو اليوم بأيديهم ، قال ياقوت في معجم الأدباء : الصواب أن مؤلف كتاب الخليل عبد الغفار أبو د » (٣).

٤١ - محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشياري :

ترجمه ياقوت في معجمه بدلالة قوله في سيرة أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي : « وجدت خطه في آخر كتاب وقد قال فيه : كتبه أحمد بن أحمد المعروف بأخي الشافعي (كذا) وراق ابن عبدوس الجهشياري ، والجهشياري هذا ذكر في بابه وقد جمع ديوان البحري وغيره » ، فقوله : إن الجهشياري ذكر في بابه ، تصریح بترجمته في المعجم وفيه دلالة على ضياعها ، لأنه بالإضافة إلى المخطويع .

(١) البقية ٤ ص ٦٩ .

(٢) الشذرات ٢ : ٢٩٢ .

(٣) الواقي ٢ : ٢٦٥ .

| تنمة |

قال محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم : « الجهشيارى أبو عبد الله محمد بن عبدوس أحد الكتاب الأخباريين المترسلين وله من الكتب كتاب الوزراء والكتاب ، كتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض » (١) .

وقال الصفدي : « محمد بن عبدوس بن عبد الله الجهشيارى (بالجيم والشين المعجمة بعد الهاء) مصنف كتاب الوزراء ، كان فاضلاً مداخلًا للدول ، مات في بغداد سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة مستراً واستتر أولاده وحاشيته ، وكان حاجباً بين يدي الوزير أبي الحسن علي بن عيسى بن داود الجراح .

وقال ابن اسحاق : ابتداء الجهشيارى بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسرار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل خبر قديم بذاته لا تعلق له بغيره ، وأحضر المسامرين وأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ، واختار من الكتب المصنفة في الأسرار والخرافات ما يحلو بنفسه من تنمة ألف سمر ، ورأيت من ذلك عمدة أجزاء محمد بن أبي الطيب أخي الشافعي (صكدا) وصنف كتاب الوزراء وكتاب ميزان الشعر والاشتمال على أنواع العروض . وأما نسبته الى جهشيار فان أباه كان يخدم أبا الحسن علي بن جهشيار القائد حاجب الموفق وكان خصيصاً به فأنسب اليه » (٢) .

وقال ابن الأثير في وفيات سنة ٣٣١ : « وفيها أيضاً مات أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى » (٣) . وكان قد قال في حوادث سنة ٣١٧ : « وفيها سار حاج العراق الى مكة على طريق الشام فوصلوا إلى الموصل أول شهر رمضان ثم منها إلى الشام لانتقطاع الطريق بسبب انقراض مطي معه كموة السكرية (صكدا) مع ابن عبدوس الجهشيارى لأنه كان من

(١) المهرسب و س ١٨٨ من طبعة القاهرة .

(٢) الوافي بالوفيات ٣٠ : ٢٠٠ .

(٣) السكامل في حوادث سنة ٣٣١ .

الضائع من معجم الأدباء

أصحاب الوزير « (١) . وقد كان قال في حوادث ٣٢٤ : « وفيها قبض على أبي عبد الله بن عبدوس الجهشيارى وصودر على مائتي ألف دينار » (٢) .

وقال ابن تغري بردي في حوادث سنة ٢٢١ : « وفيها توفي محمد بن عبدوس مصنف كتاب الوزراء ببغداد ، وكان فاضلاً له رئيساً وله مشاركة في فنون » (٣) .

وقال أبو الحسن المسعودي : « وقد صنف أبو عبد الله بن عبدوس الجهشيارى أخبار المقتدر في ألف من الأوراق ووقع لي منها أجزاء يسيرة ، وأخبرني غير واحد من أهل الدزاية أن ابن عبدوس صنف أخبار المقتدر في ألف ورقة » (٤) .

وذكر ياقوت الحموي في ترجمة أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي خبراً يدل على أن الجهشيارى كان حاجباً للوزير علي بن عيسى بن الجراح (٥) ، كما نقلنا آنفاً .

وقد عثر على كتابه « أخبار الوزراء والكتاب » ناقصاً فطبع ثلاث مرات الأولى في أوربة والآخران في مصر وهو كتاب جليل الفوائد ممتع الأخبار ومن أجل الآثار .

٤٢ — محمد بن عبيد الله بن أحمد بن إدريس أبو عبد الله عز الملك الخوارزمي المعروف

بالسجوي المصري الكاتب المؤرخ :

ذكره ابن الفوطي بالاسم المقدم وقال : « ذكره ياقوت الحموي في كتاب معجم الأدباء وقال : كانت له عناية بالتواريخ تامة وكتابه في ذلك من أحسن الكتب وأبسطها وأتقنها وهو كتاب كبير نحو ثلاثين مجلدة ، قال : ووقعت على شيء منه فاستحسنته وكتبت منه ،

(١) المذكور في حوادث سنة ٤١٧ .

(٢) المكمل في حوادث سنة ٣٢٤ .

(٣) النجوم الزاهرة ٣ : ٢٧٩ .

(٤) مروج الذهب ٤ : ٢٢٢ مائة دار الرياء بالقاهرة .

(٥) معجم الأدباء ١ : ٩١ مائة مهقليوت .

وله كتاب (السؤال والجواب) وكتاب (السجن والسكن) وكتاب (الراح والادتياح) وكتاب (سيرة الحاكم) وكان يلقب بالمختار عز الملك ، ويخاطب بالأمير . ولما قتل الحاكم صرف عما كان يتولاه من أمر الحرب بالغربية من أعمال مصر ^(١) .

٤٣ — محمد بن علي أبو بكر الأذفوي الأديب المقرئ :

قال ياقوت في معجم البلدان : « أذفو بضم الهمزة وسكون الدال وضم الفاء وسكون الواو ، اسم قرية بصعيد مصر الأعلى بين أسوان وقوص ... منها أبو بكر محمد بن علي الأذفوي الأديب المقرئ صاحب النحاس ، له كتاب تفسير القرآن المجيد في خمس مجلدات كبار ، وله غير ذلك من كتب الأدب ، وقد استوفيت خبره في كتاب معجم الأدباء » .

| تمة |

وقال شمس الدين الجزري : « محمد بن علي بن أحمد بن محمد أبو بكر الأذفوي المصري — وأذفو بضم الهمزة وسكون الدال المعجمة وفاء مدينة حسنة بالقرب من أسوان رأيتها — أستاذ نحوي مقرئ مفسر ثقة . ولد سنة أربع وثلاثمائة . أخذ القراءة عرضاً عن المظفر ابن أحمد بن حمدان ، وسمع الحروف من أحمد بن إبراهيم بن جامع وسعيد بن السكن والعباس بن أحمد ولزم أبا جعفر النحاس وروى عنه كتبه وقيل فاته عليه من كتاب المعاني من سورة الحشر . روى عنه القراءة محمد بن الحسين بن التهان والحسن بن سليمان وعبد الجبار بن أحمد الطرسوسي وابنه أبو القاسم أحمد بن أبي بكر الأذفوي وعتبة بن عبد الملك وأبو الفضل الخزاعي ، وكان خشباً يتجر في الخشب . قال الداني : انفرد بالإمامة في دهره في قراءة نافع رواية ورش مع سعة علمه ، وبراعة فهمه وصدق لهجته وحسن

(١) تلخيص معجم الألقاب ج ٤ ، القصة ٩٢٨ من الميم ٤ . والمسيحي ترجمة في الوفيات ٢ : ٩٤ . من طبعة إيران ، وجاء فيه أن ولادته وقت سنة ٣٦٦ هـ وأن وفاته كانت سنة ٤٢٠ هـ . وذكر له « المسيحي » بكر الباء للشدة الواحدة ، السماعي في كتاب « الألقاب » .

الضائع من معجم الأدباء

اطلاعه وتمكنه من علم العربية وبصره بالمعاني . وقال الذهبي : برع في علوم القرآن وكان سيد أهل عصره بمصره ، له كتاب التفسير في مائة وعشرين مجلداً ، موجود بالقاهرة . قلت : سماه الاستغناء في علوم القرآن ، ألفه في اثنتي عشرة سنة ، وألف كتاب^(١) ... قال الذهبي وقد غلط ابن سوار فأسند قراءة ورش عن شيخه العثماني عن الأذفوي عن أحمد بن عبد الله ابن هلال (كذا) فأسقط بينهما رجلاً وهو المظفر بن أحمد عن ابن هلال . توفي الأذفوي بمصر يوم الخميس لسبع خلون من ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة وقبره ظاهر بالقرافة يزار الى اليوم^(٢) . »

وقال ابن العماد الحنبلي في وفيات سنة ٣٨٨ : « وفيها أبو بكر الأذفوي محمد بن علي ابن أحمد المصري المقرئ المفسر النحوي — وأدفو بضم الهمزة وسكون المهملة وضم الفاء قرية بصعيد مصر قرب أسوان — وكان خشباً ، أخذ عن أبي علي جعفر النحاس فأكثر وأتقن رواية ورش على أبي غانم المظفر بن أحمد وألف التفسير في مائة وعشرين مجلداً ، وكان شيخ الديار المصرية وعالمها ، وكانت له حلقة كبيرة للعلم ، وتوفي في ربيع الأول^(٣) . »

٤٤ — محمد بن علي بن الحسن بن عبد الله أنو علي المعروف بابن مقلة الوزير الأديب

الطبيب :

قال ياقوت في ترجمة أخيه « أبي عبد الله الحسن بن مقلة » : « هو أخو الوزير أبو علي محمد بن علي وهو المعروف بمجودة الخط الذي يضرب به المثل ، كان الوزير أوحده الدنيا في كتابة قلم الرقاع والتوقيعات ، لا ينازعه في ذلك منازع ولا يسمو الى مساماته ذو فضل

(١) بيان في الأصل المطبوع .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ٢ : ١٩٨ ، ١٩٩ .

(٣) انشادات ٣ : ١٢٠ .

بارع ، وكان أبو عبد الله الحسن هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ ، مسلماً له فضيلته ، غير مغاضل في كتيبه ... ولأخيه أبي علي محمد ترجمة في باب مفردة لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة ، وكان أبوهما الملقب بمقلة ^(١) أيضاً كاتباً مليح الخط . وقد كتب في زمانها وبعدها جماعة من أهلها وولدها ولم يقاربوها وإنما يندر الواحد منهم الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة وإنما السكال لأبي علي وأبي عبد الله أخيه ^(٢) .

[تنمة]

وأخبار أبي علي بن مقلة مستفيضة في التواريخ كالمنتظم لابن الجوزي والكامل لابن الأثير . وغيرها من تواريخ الحوادث والأحداث ، وروى ابن النجار بسند عن عبد الواحد ابن عبد السلام الكاتب البغدادي قال : « كتب أبو علي محمد بن مقلة وهو وزير في أيام المقتدر إلى بعض إخوانه كتاباً [يقول فيه] : يا سيد أخيه ، أطلال الله بقاءك في عرض كل نعمة ، نعم (كذا) والخيرة ممكنة والرأي عازب والمعين معذور (كذا) وأعظمها مرور الأيام وتقضي مدة العمر وأنشد لنفسه :

زمان يمرّ وعيش يفرّ	ودهر يكرّ بما لا يسرّ
وحال تذوب وعم يثوب	ودنيا تناديك أن ليس حرّ
وأحسن ما استشعر العارفو	ن عند الشدائد حلم وصبر
ولله في كل ما نابني	وأولى وأبلى ثناء وشكر ^(٣) »

وذكر ابن خلكان في ترجمة « سعيد بن الدهان قال : « وكان له ولد وهو أبو زكريا

(١) لعل الأصل « ابن مقلة أيضاً » إلا إذا كان « أيضاً » تابياً لـ « كاتباً » مفعلاً عليه .

(٢) معجم الأديب « ٣ : ١٥٠ » . ولأبي علي بن مقلة ترجمة في الوفيات « ٢ : ١٦٩ » وبديهة

الدهر « ٣ : ١٠٠ » طبعة الصاوي . والتاريخ الفخري لابن العفطلي « ٢٠١ » وعيون الأنباء في

طبقات الأديب « ١ : ٢٢٤ » .

(٣) التاريخ المحدد لمدينة السلام « نسخة المجمع العلمي المصورة ، الورقة « ٤ » .

الضائع من معجم الأدباء

يحيى بن سعيد وكان أديباً شاعراً ومولده بالموصل في أوائل سنة تسع وستين وخمسة
تقديراً ، وتوفي سنة ست عشرة وستائة بالموصل ودفن على أبيه بمقبرة المعافى بن عمران
الموصلى ومن شعره ...

وعهدي بالصبا زمنساً وقدتي حكى ألف ابن مقلة في الكتاب

فصرت الآث منحنياً كأني أفتش في التراب على شبابي^(١)

وذكر أمين الدولة العلوي الأفطسي في كتابه « المجموع اللبيب » أن لابن مقلة الوزير
كتاباً في اختيار الأشعار .

٤٥ - محمد بن عمر بن الحسين فخر الدين أبو عبد الله الرازي الفقيه الحكيم الوزير

المتكلم المفسر .

قال ابن النعماني : « فخر الدين أبو عبد الله محمد بن خطيب الري عمر بن الحسين المكي
الأصل البكري الرازي الطبرستاني ، نزيل هراة ، الفقيه الأصولي الحكيم الواعظ المفسر ،
ذكره الفاضل ياقوت في معجم الأدباء وقال : سألت ولده ضياء الله بن علي^(٢) فقلت له :
على من قرأ والدك العلوم ؟ فقال : ليس له شيخ مشهور إلا أنه رحل إلى أذربيجان وكان
بها رجل يقال له محمد الدين الجيلي فقرأ عليه ، ثم فتح الله عليه فتحاً كبيراً وأخذ من
الكتب ورحل إلى خوارزم ثم إلى ما وراء النهر ورجع إلى خراسان ومنها إلى باميان ،
وحصل له الجاه والمال بمجاورة ابن سام فلما انتزع منه بلاده خوارزم شاه علاء الدين محمد
ابن تكش ثم^(٣) فوض إليه صدارة هراة واستوطنها وله تصانيف كثيرة في الحكمة والأصول

(١) الوفيات ٢ : ٢٢٥ .

(٢) كذا والصواب : علياً ، لأنه منصوب .

(٣) هكذا ورد النص .

و [التفسير] وشعر حسن وكانت وفاته بهراة يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وستائة ^(١).

٤٦ - محمد بن فضالون بن أبي بكر بن الحسن العمري شهاب الدين العقري النحوي

النفوي الفقيه المتكلم الحكيم :

قال ياقوت في معجم البلدان : « والعقر أيضاً قلعة حصينة في جبال الموصل أهلها أكراد وهي شرقي الموصل تعرف بعقر الحميدية خرج منها طائفة من أهل العلم منهم صديقنا الشهاب محمد بن فضالون بن أبي بكر بن الحسين محمد العدوي العقري النحوي النفوي الفقيه المتكلم الحكيم جامع أشات الفضائل ، سمع الحديث والأدب على جماعة من أهل العلم وكنت مرة أعارض معه إعراب شيخنا أبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري بقصيدة الشنفرى اللامية إلى أن بلغنا إلى قوله :

وأستفّ ترب الأرض كي لا يرى له
فأُنشدني في معناه لنفسه يقول :

مما يؤجج كربى أننى رجلٌ
يموت بى حسداً مما خُصصت به
إذا سغبت استغفنت الترب في سغى
وإن صديت وكان الصفو ممسماً
وكم رغائب مال دونها رمق ^(٢)
سبقت فضلاً ولم أحصل على السبق
من لا يموت بداء الجهل والحق
ولم أقل للئيم سداً لي رمق
فاللوت أنفع لي من مشرب ريق
زهدت فيها ولم أقدر على الملوك

(١) ناخبين معجم الألقاب ٤ : ٣٢٦ ، ولفظ الرازي ترجمة في الجامع المختصر لأين الساعات والوفيات والسلفيات الكبرى لنهج الدين البكي وغيرهم من التواريخ كقهرست منتخب الدين وروضة الجنات والهداية والنهاية والشذرات .

(٢) أمل الأصل ٤ ملق ٤ .

الضائع من معجم الأدباء

وقد ألين وأجفوا في محلها فالسهل والحزن مخلوقان من خلقي
فقلت له : قول الشنفرى أبلغ لأنه نزه نفسه عن ذي الطول وأنت نزهت نفسك
عن اللئيم ، فقال : صدقت لأن الشنفرى كان يرى متطولا فينزه نفسه عنه وأنا لا أرى
إلا اللئيم فكيف أكذب ؟ فخرج من اعتراضى إلى أحسن مخرج ^(١) . ونحن لا نشك
في أن ياقوتاً ترجم صاحبه هذا في معجم الأدباء وأنه كان أهلاً لأن يترجم فيه .

« له صلة »

مصطفى فواز

دراسة المعجمات اللفوية

٢ — المصباح المنير

١٠٠ — وقال صاحب المصباح المنير في مادة ج ي ل : « الجيل : الأمة والجمع أجيال ، والجيل اسم لبلاد متفرقة ... » . ولم يذكر الجيل بمعنى « القرن » مع أنه يقول في قرن : « والقرن أيضاً الجيل من الناس » ، قيل ثمانون سنة وقيل سبعون ، وقال الزجاج : الذي عندي — والله أعلم — أن القرن أهل كل مدة كان فيها نبي أو طبقة من أهل العلم سواء قلت السنون ^(١) أو كثرت ، قال : والدليل عليه قوله عليه السلام (خير القرون قرني) يعني أصحابه (ثم الذي يلونهم) أي الذين يأخذون عن التابعين .

١٠١ — وقال في ح ب ب عند الكلام على الحبيب : « وجع المذكر أحباء ، وكان القياس أن يجمع جمع شرفاء ولكن استكرر لاجتماع المثليين ، قالوا : كل ما كان على فعيل من الصفات فإن كان غير مضاعف فبإياه فعلاء مثل شريف وشرفاء ، وإن كان مضاعفاً فبإياه أفعلاء مثل حبيب وطيب وخبيل . »

قلت : كان ينبغي أن يقال في قاعدة هذا الجمع : « كل ما كان على فعيل بمعنى فاعل من الصفات » لأن مثل قتيل وجريح لا يجمع على « فعلاء » إلا شذوذاً ، ويقال أيضاً في تحليل الجمع : « استكرر لاجتماع المثليين المتحركين في الجمع » وإلا فإن المثليين مجتمعان في « أحباء وأخلاء » إلا أن أولهما ساكن ، فذهب بالتسكين بعض الثقل من اجتماعهما .

١٠٢ — وقال في ب ز ر : « والحب بالكسر : بزر ما لا يقتات مثل بزور الرياحين

(١) أصل الصواب « أم كثرت » ويجوز طرح أم بطرح سواء فبقال « قلت السنون أو كثرت » .

دراسة المعجمات اللغوية

الواحدة حبة ، وفي الحديث : كما تنبت الحبة في حميل السيل . هو بالسكسر . وقد عدى « اقتات » بنفسه وهو فصيح إلا أنه لم يذكر ذلك في ق و ت ، فقد قال : « واقتات به : أكله » معدياً بإياه بالياء .

١٠٣ — وقال في ح ب ر : « وحبرت الشيء حبراً من باب قتل : زينته وفرحته » . والضمير في « فرحته » يعود إلى الشيء ، ويصعب تصور تفريح الشيء وإن جاز أن يطلق على الإنسان إطلافاً كلامياً ^(١) ، فكان أحسن أن يقال « وحبرت الشيء حبراً ... زينته والآنسان فرحته » .

١٠٤ — وجاء في المادة المذكورة « قال الأزهري : ليس حبرة موضعاً أوشيثاً معلوماً إنما هو وشي معلوم أضيف الثوب إليه كما قيل ثوب قرمز بالأضافة والقرمز صبغة ، فأضيف الثوب إلى الوشي والصبغ للتوضيح » . ولم يذكر مؤلف المصباح « القرمز » في موضع مادته من مصباحه .

١٠٥ — وقال في ح ت ف « يقال مات حتف أنفه إذا مات من غير ضرب ولا قتل ، وزاد الصنف أي : ولا غرق ولا حرق ... وهذه الكلمة تسكلم بها أهل الجاهلية قال السموأل :

وما مات منا سيد حتف أنفه » .

قلت : أطبق رواية اللغة على أن النبي — صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم — أول من قال هذه العبارة من العرب ، قال الشريف الرضي — رح — في كلامه على المجازات النبوية : « ومن ذلك قوله — عليه الصلاة والسلام — : مات حتف أنفه . وذلك مجاز لأنه

(١) قال مولانا شمس الدين : « والشئ في اللغة عبارة عن كل وجود إباحياً كالإسم أو حكماً كالأفعال نحو قلت : شرباً » . وسنقتل قول أبي حلال العسكري « من شر ما أهلك أهلك » يضرب مثلاً للرجل والشيء يتعاضى ولا يقرب » « جملة الأمثال من ١٩١ من طبعة الهند » . نقسده فرق بين الرجل والنسي .

جمل الحنف لأنفه خاصاً وهو في الحقيقة له عاماً ، لأن الميت ^(١) على فراشه من غير أن يعجله القتل إنما يتنفس شيئاً فشيئاً حتى ينقضي دماؤه ، وتقضى حوائظه ، يخص — عليه الصلاة والسلام — الأنف بذلك لأنه جهة خروج النفس وحلول الموت ، ولا يكاد يقال ذلك في سائر الميتات حتى تكون الميتة ذات مهلة ، وتسكون النفس غير معجلة ، فلا يستعمل ذلك في الميتة بالعرق والهدم وجميع فجأة الموت ، وإنما يستعمل في العلة المطاولة ، والميتة المطاولة ، وروي عن أمير المؤمنين عليّ — عليه السلام — أنه قال : ما سمعت كلمة غريبة ^(٢) إلا وقد سمعتها من رسول الله — ص — وسمعتها يقول : مات حنف أنفه ، وما سمعتها من عربي قبله ^(٣) .

أما الشطر الذي ذكره الفيومي ناسباً إليه إلى السمرقند فهو من القصيدة اللامية المشهورة التي نحلها السموأل بعض ذريته من الرواة المدلسين ، وأدخل فيها ألفاظاً ظنّها تعطي على التزوير كالأبلى الفرد ، وإنما القصيدة للحارثي الشاعر وسماء الصولي « زياد بن عبيد الله الحارثي » ^(٤) ، قال الصولي : « وما يروي ناسموأل وهو للحارثي :

تسيل على حد السيوف نفوسنا وليست على غير السيوف تسيل
يقرب حب الموت آجالنا لنا وتكرمه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه ولا ظلّ منا حيث كان قتيل ^(٥)

(١) كذا ورد في طبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٧ ولعل الأصل « المات » لإرادة المحدث .

(٢) في الأصل المطبوع « عربية » ولا محل لها ، لأن مقتضى العبارة في وجودها هو أن جميع ما سمعه من العرب من كلام قد تكلم به رسول الله — ص — وهذا غير معقول ، ولا فائدة فيه .

(٣) المجازات النبوية ص ٦١ .

(٤) أخبار أبي تمام ص ٣٩ .

(٥) أخبار أبي تمام ص ١١٠ .

وهذه الأبيات الثلاثة كافية في إدماض نسبة القصيدة إلى السموءل ، ذلك أن الذي لا تسيل نفسه إلا على السيف ، ويقرب حب الموت أجله ولا يموت على فراشه ، لا يتحصن كالسموئل ويخلي بين ابنه العزيز والقتل ، كائنة ما كانت الحجة التي احتج بها لذلك الانحجار الدال على الفرق من الحرب والموت ، والحرص على المهجة والاشفاق البالغ عليها . وقد ورد اسم الحارثي بصورة « عبد الملك بن عبد الرحيم » في المطبوع من طبقات الشعراء لابن المعتز قال مؤلفه — ص ٢٧٦ — : « أخبار الحارثي واسمه عبد الملك بن عبد الرحيم ، حدثنا أبو مالك الأنصاري قال حدثني أبو الأسود الشاعر قال : كان الحارثي شاعراً مقلقاً مفوهماً مقتدرأً مطبوعاً ، وكان لا يشبه بشعره شعراً (كذا) المحدثين الحضريين ، وكان نطه نط الأعراب ... » . وهذه الصورة ورد اسمه في هامش ديوان السموئل المخطوط المحفوظ في خزانة كتب المتحف العراقي .

١٠٦ — وقال في ح ج ج : « حج حجاً من باب قتل : قصد فهو حاج ، هذا أصله ثم قصر استعماله في الشرع على قصد الكعبة للحج أو العمرة ومنه يقال : حاج ولكن دج ، فالحج القصد للنسك ، والدج القصد للتجارة ... » . ولم يذكر « الدج » في مادته بل ذكر الدجاج وجمعه .

١٠٧ — وقال في ح ج ز : « وحيزة السراويل تجمع شدة والجمع حيز مثل غرفة وغرف » وقد أعاد الضمير مذكراً إلى السراويل ، مع أنه قال في س ر و ل : « السراويل أثى وبعض العرب يظن أنها جمع لأنها على وزن الجمع ، وبعضهم يذكر فيقول هي السراويل وهو السراويل ، وفرق في المجرد بين صيغتي التذكير والتأنيث فيقال هي السراويل وهو السروال ، والجمهور أن السراويل أعجمية وقيل عربية جمع سروالة تقديراً والجمع سراويلات » . فهو قد ظالف الرأي الراجح الذي ذكره في أول المادة وهو تأنيث السراويل .

أما مسألة التأنيث والتذكير فتعرض على الواقع اللغوي وهو استعمال العرب ، فالذي

علمناه منه أنهم يؤثنون سراويل ، ومن ذلك المثل المشهور « من شر ما ألقاك أهلك » قال أبو هلال العسكري « من شر ما ألقاك أهلك » . يضرب مثلاً للرجل وللشيء يتحامي ولا يقرب » وذكر خبر غزو العرب للأبلة المدينة التي كانت على فوهة النهر المضاف إليها المعروف اليوم بنهر الخورة ، قال : « وأصاب رجل سراويل فلم يحسن لبسها فرماها وقال : أخرأك الله من ثوب فما تركك أهلك خير ، فجرى المثل ثم قيل : من شر ما ألقاك أهلك ^(١) » ، فقوله « فلم يحسن لبسها فرماها » يدل على تأنيبها .

وذكر المبرد أن ملك الروم بعث إلى معاوية رومياً طويلاً ليطاول به العرب ، فوجه إلى قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي قال المبرد : « فلما مثل بين يدي معاوية نزع سراويله فرمى بها إلى العليج فلبسها فتالت ثنوتها ، فأطرق مغلوباً ، فحدثت أن قيساً ليم في ذلك فقيل له : لم تبدلت هذا التبذل بحضرة معاوية ؟ هلا وجهت إلى غيرها فقال :

أردت لكيا يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود
وأن لا يقولوا غاب قيس وهذه سراويل عادي تمته ثمود ^(٢)

وضمير السراويل والأشارة إليها مؤنثة ، وذكر الجواليقي أن « السروال » أعجمي معرب قال أولاً في باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي : « وقالوا : سراويل وإسماعيل ، وأصلها سروال وإشماويل ، وذلك لقرب السين من الشين في في الهمس ^(٣) » . ثم قال : « وكذلك السراويل ^(٤) » وفي لسان العرب عن الليث أن « السراويل » أعجمية أعربت وأنتجت والجمع سسراويلات ، وذهب بعضهم إلى أن سراويل جمع سروالة ، ونقل عن الأزهري قوله : جاء السراويل على لفظ الجماعة وهي واحدة ،

(١) جريدة الأمل ١٩١١ ، ١٩١٢ .

(٢) الكامل في الأدب ٢ : ٩٤ . طبعة المطبعة الأزهرية بالقاهرة .

(٣) لأعرابي ٢ : ٥٥ . ولا يزال العراقيون يسمونها « السروال » بالسين المعجمة .

(٤) حر ٢ : ١٩٦ .

قال : وقد جمعت غير واحد من الأعراب يقول : « سروال » وجاء في الجهرة لابن دريد « ٣ : ٤٨٧ » . « قال أبو زيد العرب تؤث السراويل وهي اللغة العالية فمن ذكر فعلى معنى الثوب » ^(١) . وقد ورد تذكرها في رحلة ابن فضال في المشر الأول من المثة الرابعة من الهجرة ^(٢) .

والواقع اللغوي الذي هو سبيلنا في مثل هذا الأمر أقوى من كل استدلال آخر ، ومن الأدلة على كون « السراويل » أعجمية أنها لم تذكر في عصور الجاهلية ، فالظاهر أن العرب لم يستعملوها في ذلك العصر ، ونرى أن جمعها ناشئ من كونها ذات شعبتين للرجلين وقسم جامع بينهما فالثمنى سروال واليسرى سروال والجامع بينهما سروال فهي سراويل ، والسروال يشبه السربال في اللفظ ، وتعاقب الواو والباء معروف مألف في لغة العرب ، إلا أنهم ميزوا بينهما فقالوا : « السربال ما يلبس من قميص أو درع والجمع سراويل ، وسربلته السربال فتسربله بمعنى ألبسته إياه فلبسه » كما جاء في المصباح المنير ، والسربال كان معروفاً عند العرب في عصر الجاهلية له فعل مستعمل حقيقة وبجاءاً لتقدم زمان استعماله ، وعرفت جماعة من اللغويين السربال بأنه كل ما يلبس ، فعلى هذا يجوز أن يعد « السروال » لغة في « السربال » ويبطل الظاهر الذي أشرنا إليه من كون السراويل غير معروفة في عصر الجاهلية .

١٠٨ — وقال في ح ج م : وأحجمت عن الأمر ، بالآلف : تأخرت عنه ، وحجمني زيد عنه ، في التمدي ، من باب قتل ، عكس المتعارف ، قال أبو زيد : أحجمت عن القوم إذا أردتهم ثم هبتهم فرجعت وتركتهم ، قلت : قوله عكس المتعارف ، يعني في كون

(١) راجع حواشي شارح العرب « ص ١٩٦ » .

(٢) رحلة ابن فضال « ٥٧ طبعة الدكتور سامي الدعان » ، قال : « وسراويل طاق وآخر

الهمزة معدية للثلاثي وكون الثلاثي لازماً لأن رباعيته يحتمل الهمزة ، والصحيح أن الثلاثي ما هنا متعمد في الأصل ، فالهمزة إذن لغير التعمدي ، قال هو في خاتمة المصباح : « وقد جاء قسم تعدى ثلاثيه وقصر رباعيه عكس المتعارف نحو أجفل الطائر وجهلته ، وأقشع الغيم وقشعته الريح ، وأنسل ريش الطائر أي سقط ونسلته ، وأمرت الناقة : درج لبها ومريتها ، وأظارت الناقة إذا عطفت على بوها وظأرتها ظأراً : عطفتها ، وأعرض الشيء إذا ظهر وعرضته : أظهرته ، وأنقع العطش : سكن ونقعه الماء : سكنه وأخاض النهر وخضته ، وأحجم زيد عن الأمر : وقف عنه ، وحجمته ، وأكب على وجهه وسكبته ، وأصرم النخل والزرع وصرمته أي قطعته ، وأخض اللبن ، وخضته ، وأثلثوا إذا صاروا بأنفسهم ثلاثة وثلاثهم : صرت ثالثهم ، وكذلك إلى العشرة ، وأبشر الرجل بمولود : سر به وبشرته ، والغريب في الأمر أن المؤلف - رح - ذكر ثلاثياً لازماً لأبشر إشاراً قال : « بشر بكذا يبشر مثل فرح يفرح وزناً ومعنى ، ... والمصدر البشور وينعدي بالحركة فيقال بشرته أبشره بشراً من باب قتل في لغة تهامة وما والاها ، والتعدية بالتشكيل لغة عامة العرب وقرأ السبعة بالاعتين » ولم يذكر « أبشر » الرباعي ، وذكر « ثلثت الرجلين من باب ضرب : صرت ثالثهما » لا ثالثهم كما قال في الخاتمة مع أنه الصواب ، ولم يذكر « أثلثوا » الرباعي ، ولم يذكر في « ظأرت الناقة ظأراً أي عطفتها ولا أظأرت هي إظأراً بل قال « وظأرت أظأرت بفتحتين : اتخذت ظأراً » ، ولم يذكر في ذلك أن أنقع العطش بمعنى سكن ولا نقعه الماء بل قال : « أنقعت الدواء وغيره إنقاعاً : تركته في الماء حتى انتقع .. ، ونقع الماء في منقعه نقعاً من باب نفع : طال مكثه فهو نافع ونقيع » ، ولم يذكر في « مرى » أمرت الناقة ولا مريتها .

وفي الحق أن أكثر ما ذكره الفيوي في هذا الأمر داخل في أبواب القياس ، فالهمزة أتت في قسم مما ذكر للحيونة كأصرم النخل أي دنا صرامه ألا تراه هو نفسه يقول في

دراسة المعجمات اللغوية

مصباحه : « وصرمت النخل : قطعته ، وهذا أوان الصرام بالفتح والكسر ، وأصرم : النخل : حان صرامه » ، فقوله « حان صرامه » يفيد الحينونة وهذا مقيس ومثله « أحصد الزرع أي حان حصاده » قال هو في كتابه : « حصدت الزرع حصداً من بابي ضرب وقتل فهو محصود ... وهذا أوان الحصاد والحصاد وأحصد الزرع بالالف واستحصد إذا جازى حصاده » . فهل هذا مستدرك عليه ؟

وأنت الهمة للدخول في أفعال الأمكنة وما يختص بها ، كأعرض الشيء أي دخل في العرض أو حصل فيه ، فهو يقول في مصباحه : « وأعرضت في الشيء بالالف : ذهبت فيه عرضاً وأعرضت عنه : أضربت ووليت عنه ، وحقيقته جعل الهمة للصيرورة (كذا) أي أخذت عرضاً أي جانباً غير الجانب الذي هو فيه ، وعرضت الشيء عرضاً من باب ضرب فأعرض هو بالالف أي أظهرته وأبرزته فظهر هو ورز ، والمطاوع من النواتر التي تمدى ثلاثها وقصر رابعها عكس المتعارف » ، والحقيقة أن « أعرض » معناه دخل في عرض المكان أو وقف في عرضه ، والجائي طولاً يري الداخل أو الواقف عرضاً ، ومنه عرض له أي وقف له في عرض الطريق ، وتعرض له أي كرر الوقوف له فيه .

ومقتضى قول الفيومي إن الهمة في « أعرض » للصيرورة غير صحيح لأن الصيرورة كالكينونة قال الزمخشري في المفصل : « وأقبل للتعدية في الأكثر نحو أجلسه وأمكنه وللتعريض للشيء ... أو لصيرورة الشيء كذا نحو أغد البعير إذا صار ذا غلة وأجرب الرجل وأحز وأحال أي صار ذا جرب ونحاز وحيال في ماله ومنه ألأم وأراب وأصرم النخل وأحصد الزرع وأجز ومنه أبشر وأفطر وأكب وأقشع الغيم^(١) » ، فهل يكون معنى « أعرض الشيء » : صار ذا عرض ؟ هذا المعنى غير مراد البتة . وقد اعترف الفيومي بأن الهمة أنت للقبول ، قال : « خاض الرجل الماء يخوضه خوضاً : مشى فيه ... وأخاض

(١) الفصل ٤ س ٢٨٠ طبعة المطبعة التقدم بصر ٤ .

الماء بالألف : قبل أن يخاض وهو لازم على عكس المعارف ، فإنه من النواذر التي لزم رابعها وتعدى ثلاثها » والصحيح أنه قياسي فلا يصح كونه من النواذر ، وهو من ضوات همزة الدخول في الحال كأخاض وأحجم وأبلس أو في المكان وتوابعه كأغرق وأشأم وأنجد وأعرض ، أو في الزمان كأصبح وأمسى أو في الحصول على الشيء كأورق وأجرب وأظارت الناقة .

١٠٩ - وقال في ح د ا : « وحدوته على كذا : بعثته عليه » ، ولم يذكر في ب ع ث « بعثته عليه » مع اشتهاره واستعماله إياه ، تقول : « حملته على الأمر وحرصه عليه وحدها عليه » بمعنى واحد على التقريب .

١١٠ - وقال في « ح ذ ا » : « والحذاء مثل كتاب : النعل وما وطىء عليه البعير من خفه والفرس من حافره » . ولم يذكر في « وط ا » تعدية الفعل بعلى بل قال : « وطئته برجلي أطؤه وطأ : علوته ويتعدى إلى ثان بالهمزة فيقال : أوطأت زيدا الأرض » وهو أي وطىء عليه من عبارات الصحاح ، وقد فسر الميارك بن الأثير الحذاء بالنعل في هذا الموضع قال : « وفي حديث ضالة الابل : معها حذاؤها وسقائها : الحذاء بالمد النعل ، أراد أنها تقوى على المشي وقطع الأرض وعلى قصد المياه ووردها ورعي الشجر والامتناع من السباع المفترسة ، شبهها بمن كان معه حذاء وسقاء في سفره وهكذا ما كان في معنى الابل من الخيل والبقر والحمار » . والواقع اللغوي يدل على أن نعل تلك الحيوانات كانت من جلد حيوان أو حديد ، فلابل الجلد ، وفي الصحاح « النعل : الحذاء ، مؤنثة وتصغيرها نعليه ، تقول : نعلت وانتعلت ، إذا احتذيت ... وأنعلت خفي ودابتي » . وفي لسان العرب « والتنعيل : تنعيمك حافر البرذون بطبق من حديد ، يقيه الحجارة ، وكذلك تنعيم الخف البعير بالجلد لثلاثي معنى ، ونعل الدابة ما وقي به حافرها ، قال ابن سيده : أنعل الدابة والبعير ونعلها » . وقال الشريف الرضي : « وقد نهى

دراسة المعجمات اللغوية

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن أخذ ضوال الابل وهواميها ، والهوامي الضالعة ،
قال الشاعر :

هت نعلها بالسيلحين وأوفضت بوادي ثميل عن جبين مشيد^(١)
أي ضاعت نعل^(٢) هذه الناقة بهذا الموضع المذكور ، وذلك لا يكون إلا عند تقطع
هليها وإحجاف السير بها^(٣) . ذكر الشريف الرضي ذلك عند شرحه مجاز قول الرسول
- ص - : « ضالة المؤمن حرق^(٤) النار » قال الزمخشري : « النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال له رجل : يا رسول الله ، إنا نصيب هوامي الابل ، فقال : ضالة المؤمن حرق النار » ،
ثم قال الزمخشري : « الحرق اسم من الاحراق كالشفق من الاشفاق ، وعن ثعلب :
الحرق اللهب ، ويقال للنار نفسها حرق ، يقول : هو في حرق الله ، قال : شدة سريفاً
مثل إضرام الحرق . يعني أن تملكها سبب العقاب بالنار »^(٥) .

مصطفى مراد

« له صلة »

(١) جاء في مطبوع الحجازات النبوية - ص ١٩٤ - « هت نعلها بالسيلحين وأوفضت » ، ومع إصلاح
لعمريه است على بينة من صحة جميعه .

(٢) في اللفظة « نعل » وهو تصغير نال للنعل .

(٣) الحجازات النبوية - ص ١٩٤ طبعة مصر .

(٤) ضبطها المرحوم الشيخ محمود مصطفى مدروس الأدب بكلية اللغة العربية في الأزهر ، بتكليف الزاء
والصواب فتحها .

(٥) الفائق ٣ : ٢١٤ من طبعة مصر .

باب الكتب

كتاب البرهان للشيخ الرئيس علي بن الفوري

كتاب في اللغة ، حققه العلامة عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق .
وهو كتاب جليل القدر ، غزير الفوائد ، سهل الترتيب ، واضح الأداء . عني بالاشتقاق
بعض الكلمات من بعض ، بإبدال حرف من أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، بحرف آخر
مقارب له في المخرج أو متباعد عنه فيه . مثل (بُلْبُل) و (زُلْزُل) للخفيف الظريف ،
يقال غلام بلبل و غلام زلزل . و (جُعبوب) و (جُعبوس) للقصير الدميم . و (لَدَب)
و (لَدَم) أي أقام ، يقال لدب بالمكان ولدِم به إذا أقام به . و (الحَسَد) و (الحَسَد)
وهو الأصل من كل شيء ، يقال إنه من محتد صدق ومحقد صدق أي من أصل كريم .
و (يفوق) و (يتوق) أي يجود ، يقال هو يفوق بنفسه ويتوق بنفسه أي يجود .
وهكذا . ومثل هذا الإبدال يسمى بالاشتقاق الكبير ، فان الاشتقاق ثلاثة أنواع :
صغير ، وكبير ، وأكبر . كما قال الناظم :

إعلم بأن الاشتقاق انقسما	إلى ثلاثة لدى من علما
وهو صغير وكبير وأكبر	وهذه الأسماء فيه أشهر

وليس لنا الإفاضة هنا بتفصيل بحث الاشتقاق ، فان له موطئا آخر . ومن أحسن من
تكلم فيه الإمام المفسر الشهير نضر الدين الرازي في الجزء الأول من تفسيره الكبير . ولم

كتاب الإبدال لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي

ينقل المحقق الفاضل الإلماع إليه في مقدمته القيمة .

جاء هذا الكتاب المبارك على غرار كتاب العين في التبويب : فباب الباء والبدال ،
وباب الباء والراء ، ثم باب الباء والراء ، وهكذا .

جمع هذا السفر الوافي ثروة طائلة من المترادفات ، فاب المفردات التي بينها إبدال
مترادفات على ما أرى ، وإن كان كلام المحقق الفاضل في مقدمته يشعر بخلاف ذلك .
فالسَّيْنِدِيُّ مثلاً ، وهو الجريء ، مرادف للسَّيْرَانْدِيُّ . وَضَيْسٌ ، وهو الداهية ، مرادف
لضَّرْسٍ . وَعَشْبَةٌ ، وهي العجوز اليابسة ، ترادف عَشْمَةٌ . والعَتَّةُ وهو الجنون
والبَلَّةُ في الإنسان ، يرادف العَتَّةُ . وهكذا جميع ما جاء في الكتاب من ذوات الإبدال .
فلا حاجة إلى الإطالة بالأمثلة . قال الكتاب كما أنه (كتاب الإبدال) هو (كتاب في
المترادفات) أيضاً .

وقد جمع الكتاب طائفة كبيرة جداً من غريب اللغة أو ما يقرب من الغريب لعدم
استعماله أو لندرة استعماله . مثل عَمَّهَلْ وَعَمَّذَهَلْ وَضَيْسٌ وَضَرْسٌ وَجَعَبُوبٌ
وَجَعَسُوسٌ وَبَكْسِيَاكُ وَضَكْضَاكُ . ونحو هؤلاء الكلمات ، وهي كثيرة جداً . فهو إذاً
كتاب جمع فوات الإبدال من الكلمات ، وطائفة كبيرة من المترادفات ، وجميعاً غير
منتظر من غريب اللغة .

ومن الملاحظ - وليس بمعجب - أن الإبدال لم يزل معروفاً في بعض القبائل العربية .
فبعض القبائل في جنوب العراق تبدل الجيم إلى ياء فتنتطق بكلمة (خُرْج) بإبدال الجيم إلى
ياء ، فتقول (خُري) كما تبدل الكاف إلى جيم فتنتطق بكلمة (هِيك) بإبدال الكاف إلى
جيم ، فتقول (هيج) . وليس هذا موضع الإطالة في الإبدال عند القبائل العربية
المعاصرة . وهو موضوع جدير بالبحث فيه مستقلاً .

وقد أفرغ العلامة التنوخي جهداً جهيداً في تحقيق الكتاب . فقدم له مقدمة علمية

ضافية اصطفت بفلسفة لغوية يطرب لمثلها ابن جني واضرايه من فلاسفة اللغة وثقاتها ،
وجاء بفوائد مهمة :

منها انه جمع تراجم أئمة اللغة بالمجاز مفيد غير مخل ، ولم يطل فيما لا طائل فيه .
ومنها أنه أوضح أسباب التعاقب بين الحروف : كقوله في باب الباء والراء : الباء
شفوية والراء من حروف الدلالة فالتعاقب طبيعي . وهكذا في كل باب .
فالكاتب كثر من كنوز اللغة العربية عثر عليه العلامة التدوخي ، فلم يستخلصه لنفسه
بل وزع ربحه وفوائده بين أبناء أمته وسائر المعنيين بالعربية من أبناء الأمم الأخرى ،
فنشره بعد ما بذل في تحقيقه جهوداً مضنية وتحمل كعباً شديداً على ما يظهر لي من الأمر .
وليس هذا أول عمل يقدمه الاستاذ عز الدين لخدمة العلم والأدب ، فله فيها باقيات صالحات أخرى .
ولقد خبطت لي ملاحظات عند مطالعتي الكتاب بحمته والإفادة منه أصلاً وتحقيقاً
رغبت في تسجيلها لئلا تفوت كغيرها من الخواطر العابرة التي تفرق لعدم قيدها
بالسجل قيد الأوابد بالوثاق :

١ - جاء في السطر الأول من الصفحة الثالثة عنوان (الفاتحة) ، فالذي يطيب لي
ان يبقى هذا العنوان في مفتتح الكتب مقصوداً على كتاب الله القرآن الكريم والآتمد
اليه يد الاقتباس ، تلى انه قد أصبحت (الفاتحة) علماً بالغلبة على السورة الكريمة المعروفة .
ولو استعملنا في مثل هذا الموضع كلمة (إيضاح) أو (بيان) أو (بادئ) أو نحو هؤلاء
الكلمات لما ضاع القصد ولا غاب .

٢ - جاء في السطر الأول من الصفحة الرابعة عبارة (بئله ارى) . إن كلمة (بئله)
لا يأتي بعدها فعل ، لأنها إما ان تكون اسم فعل بمعنى (كرج أو أترك) يعيدها اسم
منصوب على المفعولية نحو بئله زيداً ، أو تكون مصدراً مضافاً لاسم مجرور بعده ، نحو
بئله زيد أي الزم ترك زيد . وجاء على الوجهين الشاهد المشهور .

تذر الجاهل ضاحياً هاماً بها - بكلمة الألف كأنها لم تُخلق

٣ - جاء في السطر الأول من الصفحة الثامنة : (الإبدال اللغوي والنحوي) . ليس في النحو بحث لإبدال الحروف بعضها من بعض ، فإن النحو إنما يبحث عن تغيير حركة آخر الكلمات المعربة في التركيب ، وهو ما يسمى بالإعراب ، ويبحث عن البناء تبعاً له لأنه ضده ، والضم يظفر حسنه الضد . ولعل الصحيح (الإبدال اللغوي والصرفي) فإن علم الصرف هو الباحث في إبدال الحروف بعضها من بعض وهو الباحث عن الاشتقاق بأنواعه الثلاثة . نعم في النحو بحث في (البديل) وهو التابع للبديل منه في إعرابه والمقصود في الحكم ، ولا دخل له في (الإبدال) الذي هو موضوع البحث في الكتاب .

٤ - جاء في السطر (١٦) من الصفحة الثامنة (أحرف الإبدال هديت موطياً) . والصحيح (أحرف الإبدال هددأت موطياً) فإن هذه العبارة شطر من بيت في باب الإبدال من الخلاصة الشهيرة بألفية ابن مالك . وشطره الثاني (فأبدل الهمزة من واو ويا) . وعلى عبارة المحقق ، لا ذكر للهمزة مع أنها من حروف الإبدال . والشطر الثاني ضيق بها .

٥ - جاء في السطر الثالث من الصفحة (٣٧) : (التباس الترادف بالإبدال) . يظهر من هذا التعبير أن الاستاذ التنوخي لا يرضى أن تعدد الكلمات ذوات الإبدال ، من المترادفات . ولكن الذي يرضى به الواقع - على ما أرى - هو أنها لا تخرج من باب المترادفات . فإن المترادفات هي الكلمات التي تؤدي معنى واحداً مع اختلاف ألفاظها ، مثل (أسد ، ليث ، غضنفر) و (سيف ، حسام ، صارم) . ونحو هؤلاء . واشتراط اختلافها في جميع حروف المادة شرط تعسفي ، فإن الكلمة إذا اختلفت عن كلمة أخرى ولو بحرف واحد من أصل مادتها فهي كلمة أخرى مستقلة بنفسها . فإذا اتحدتا في المعنى كانتا مترادفين . هذا . والمحقق العلامة شكر الله سعيه قد أجاد كل الإجاد في تحقيقه وتعليقاته المفيدة ، والتمق في تحري الصحيح ، وإيضاح التعابير الغامضة .

تعريف القراء بأبي العلاء

وهو السفر الأول من « آثار أبي العلاء المعري » جمعه وحققه لجنة من رجال وزارة المعارف المصرية بإشراف الدكتور الكبير طه حسين ، المستشار الفني لوزارة المعارف ومدير جامعة فاروق الأول بالنيابة يومئذ ، قوامه « ٥٩٩ صفحة » عدا المقدمة ، وكلية اللجنة وهما في اثنتي عشرة صفحة ، وخلا الفهارس وهي في ستائة صفحة . وأعضاء اللجنة هم الأساتذة مصطفى السقا ، وعبد الرحيم محمود ، وعبد السلام هارون وإبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وهم من الفضلاء المشهورين .

طبع هذا السفر طبعاً رائعاً في ورق فاخر بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٣ هـ = ١٩٤٤ م ، وكنت قد طالعتُه وتاملتُه فأعجبته من الكتب النفيسة لأنه حوى تراجم لأبي العلاء المعري ، ضمنها المؤرخون المسلمون تواريتهم ، مثبتة بحسب أزمانها ، فمن تنمة اليتيمسة للشعالي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ في حياة أبي العلاء ، إلى نزهة المجلس ومنية الأديب الأندلسي للعباس بن علي بن نور الدين الحسيني المكي من أهل القرن الثاني عشر للهجرة ، وهذا هو القسم الأول من الكتاب والقسم الثاني في الشذرات وهي المظان التي ورد فيها ذكر أبي العلاء استطراداً بسبب إنشاد أو استشهاد أو نقد أو تعقيب ، وفي رسالة موسومة بالتبري من معرة المعري للجلال السيوطي ، وكتب الأدب المغربي التي ذكرت أبا العلاء ، وكتب الأدب الفارسي التي تعرضت له ، وكتب النحو التي عاجت على شعره ، وانبرت لذكره ثم كتاب « الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » لكمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن العديم الحلبي ، وكتب الرُّحَل والبلدان التي احتوت على بعض سيرته . وهكذا وجدنا هذا السفر قد جمع فروعاً ، وبدأ كتباً بمجموعة

تعريف القدماء بأبي العلاء

في كتاب واحد جليل الفوائد . وقد رأيت فيه ما هو حريّ بالنقاش فأقول :

١ - جاء في الصفحة (و) من مقدمة الكتاب قول الأستاذ الدكتور طه حسين :
« ومن المحقق أن مصر المعاصرة سبقت غيرها من البلاد العربية إلى نشر آثار أبي العلاء
ودرسها وإذاعة الحديث عنها » . والمعروف غير هذا ، فإن الشيخ أمين بن حسن الحلواني
المدني طبع أولاً اللزوميات في مدينة بمبي بالهند سنة ١٣٠٣ هـ = ١٨٨٥ م ثم طبع
بمصر سنة ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م . والمعلم شاكر شقير طبع « سقط الزند » ببيروت سنة
١٣٠٢ هـ = ١٨٨٤ م ثم طبع بمصر ، فبلاد الهند والشام سبقت مصر إلى نشر آثار
أبي العلاء .

٢ - وجاء في الصفحة الخامسة من الكتاب كلام على « تاريخ بغداد » للخطيب
البغدادي قالت فيه اللجنة الجامعة المحققة : « هو المشهور بتاريخ بغداد ... ووجع فيه
تراجم رجالها ومن ورد إليها ^(١) (كذا) مرتبة على حروف المعجم » . والصواب أنه قدم
« الحمددين » و« الأخمديين » تبركاً باسم النبي - ص - ثم رتب التراجم على حروف
المعجم بحسب شرف الأسماء وكثرتها واشتهارها .

٣ - وأشارت اللجنة في الصفحة المقدم ذكرها إلى مظان ترجمة الحافظ أبي بكر
الخطيب وغفلت عن معجم الأدباء لياقوت الحموي « طبعة مرغوليوث ١ : ٢٤٦ » وترجمته
فيه أوسع التراجم ، والمنظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي « ٨ : ٢٦٥ »
ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٠٦ الورقة ١٣٤ »
والنجوم الزاهرة « ٥ : ٦٣ » . وتذكرة الحافظ لشمس الدين الذهبي « ٣ : ٣٢٢ »
وشذرات الذهب « ٣ : ٣١١ » وروضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري « ص ٧٨ » .

(١) الفصيحة « وردعا » لأن ورد يتعدى إلى مفعوله بنفسه .

فهذه سبع مخططات من مخططات سيرته كانت اللجنة المذكورة ، فما ظنك بالاستقصاء والاستقراء فيها لمن يستقصي ويستقري ؟

٤ — وعلقت اللجنة في الصفحة الثامنة مخططين ترجمة الأديب علي بن الحسن الباخري وغفلت عن معجم الأدباء أيضاً « ٥ : ٢١ طبعة مرغوليوث » . وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي « ٣ : ٢٩٨ » . فضلاً عن غيرهما .

٥ — وعلقت اللجنة في الصفحة التاسعة إيضاحاً لمن اسمه « إسماعيل الصابوني » محيلة بإيضاحها على أنساب السمعاني وطبقات الشافعية ذاكراً أنه كان مفسراً محدثاً فقيهاً واعظاً خطيباً ، ثم علقت ثابته على اسمه في الصفحة « ٥١٩ » . كأنه لم يترجم من قبل وأحالت بتعليقها على البداية والنهاية وتاريخ دمشق لابن عساكر ووصفته بالمحافظ الواعظ المفسر المذكور تحسب دون الفقه والخطابة ، ولم تشر إلى تقدم مختصر من سيرته .

٦ — وفعلت اللجنة الفعل بعينه في ترجمة أبي الطاهر محمد بن أبي الصقر الأنباري في الصفحات ١٣ و ٢٠٥ ، ٥١٩ . وعلقت ثلاثة تعليقات على اسمه منه لم يتقدم له ذكر قبلاً .

٧ — وجاء في الصفحة ١٧ في ذكر سنة وفاة المعري أنه « توفي يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله تعالى » . وكان ذلك منقولاً من « نزهة الألباء في طبقات الأدباء ^(١) » ، طبعة القاهرة سنة ١٢٩٤ هـ . والصواب أن وفاته وقعت في سنة تسع وأربعين وأربعمائة ، بإجماع المؤرخين والمترجمين له ^(٢) ، ولا عبرة بغلط الناسخ .

(١) تأليف العلامة كان الدين أبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري المتوفى سنة ٥٧٢ هـ .

(٢) وقع هذا الخطأ النسخي في النسخة المطبوعة بمصر سنة ١٢٩٤ هـ والمطبوعة بها بعد ذلك « ص ٢٣٢ » بمعارفة علي يوسف أحمد خريجي كليات جامعة لندن وأحد أعضاء جماعة لاهوتية بين البرعانيين والجماعة المسكية الزراعية بانسكترا والمجمع الفلسفي في بريطانيا العظمى ، ولم نقف له اللجنة ولا الشارح المذكور .

تعريف القدماء بأبي العلاء

٨ — وجاء في الصفحة الخمسين « بقراءة أبي النصر القامي » بالصاد المهملة ، والذي حفظناه أنه أبو النصر بالصاد المعجمة ، وقد جرت العادة أن يُنكر المضاف إليه في كنية « أبي النصر » بالصاد المهملة ، ويعرف في كنية « أبي النصر » بالصاد المعجمة ، وأيا كان الأمر فاللجنة لم تعرف من أمره شيئاً ، قال شمس الدين الذهبي : « القامي الحافظ أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن عثمان بن منصور الهروي ، محدث هراة ، ولد سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بهراة وسمع ... ذكره السمعاني في تاريخه فقال : كان بينه وبين (كذا) حسن السيرة ، جميل الطريقة دمث الأخلاق ، كثير الصدقة والصلاة ، دائم الذكر ، متودداً^(١) ، متواضعاً ، له معرفة بالحديث والأدب يكرم الغرباء ويغنيهم وكان يعد مأموناً ، كتبت عنه بهراة ونواحيها . مات في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ست وأربعين وخمسمائة . قلت : لقبه ثقة الدين ... وله تاريخ صغير^(٢) . وذكره تاج الدين السبكي في الطبقات وقال « المعدل الهروي أبو نصر (كذا) القامي مؤرخ هراة قال شيخنا الذهبي : وليس تاريخه بمستوعب ... وكان حافظاً أديباً يلقب ثقة الدين ، سمع^(٣) ... » .

وقد وقع هذا الخطأ في النجوم الزاهرة في ترجمة المؤرخ المحدث المذكور « ٥ : ٣٠١ ، ٣٠٢ » وفي طبقات الشافعية الكبرى كما نقلت آنفاً ، وذكره ياقوت استطراداً غير مرة « ١ : ٩٥ ، ٩٩ : ٢٩٨ » ففي المرة الأولى « أبو نصر » وفي الثانية « أبو النصر » وفي الثالثة « أبو النصر » وجاء في شذرات الذهب ٤ : ١٤٠ « أبو نصر » والصواب ما ذكرته أولاً .

٩ — وجاء في الصفحة بعينها والسند بنفسه « أنشدنا أحمد بن المبارك بن عبد العزيز

(١) في تذكرة الحفاظ وهي مطبوعة متقنات الآن « متودداً » وهو تصحيف .

(٢) تذكرة الحفاظ ٤ : ٩٠٠ .

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ٤ : ٢٤٥ .

الأزجي من لفظه إملاءً» ، وفي الصفحة الثانية « أنشدني أبو العثمان (كذا) المبارك ابن أحمد بن عبد العزيز الأنصاري إملاءً من حفظه » . والاسمان لاسان واحد ، ذكرا على صورة التنوين لكي يحسبه القارئ شيخين وهو من التكثر المنهي عنه لاعتقاده على الإيهام ، على أن المهم في الأمر هو أن نعلم أن المبارك بن أحمد هو أم أحمد بن المبارك ؟ إن الأجنة لم تظن لهذا الالتباس وعدت الاسمين لشيخين متميزين ، والذي حفظناه أنه « أبو المعمر المبارك بن أحمد بن عبد العزيز الخزرجي الأزجي الأنصاري ، قال أبو الفرج بن الجوزي في وفيات سنة ٥٤٩ هـ : « المبارك بن أحمد بن عبد العزيز بن المعمر ... الخزرجي الأنصاري أبو المعمر ، ولد سنة خمس وسبعين وأربعمائة وسمع الكثير وقرأت عليه الكثير وكان له فهم وعلم بالحديث وتوفي في رمضان هذه السنة ودفن بالشونيزية ^(١) » . وذكر صاحب الشذرات أن له معجماً بأسماء الشيوخ ^(٢) .

١٠ — وجاء في الصفحة ٥٦ في ترجمة أبي العلاء منقولة من كتاب « إنباه الرواة على أنباه النجاة » مستمدة من تاريخ غرس النعمة محمد بن أبي الحسين هلال بن الصابي « ويرى بالاحاد وأشعار دالة على ما نزل به من ذلك » . فقوله « ما نزل به من ذلك » لا معنى له هنا ، وهو تصحيف « ما يُزَنَّ به من ذلك » أي ما يُنسبهم ، ولكن الأجنة لم تظن لمثل هذا الفعل الشاذ البارع ، قال أبو العباس المبرد : « قال الأول وغبط بغيراث ورثه من أحد أهله :

إن كنت أزننتني بها كذباً جزء فلاقيت مثلهما عجباً

... وقوله : أزننتني أي قرفتني ونسيتني إليه ، يقال : فلان يُزنَّ بكذا وكذا أي

يسمى به وينسب إليه ، قال امرؤ القيس بن حجر :

(١) المنتظم ١٠ : ١١٠ .

(٢) الشذرات ١ : ١١١ .

تعريف القدماء بأبي العلاء

كذبت لقد أصبى على المرء عرسه وأمنع عرومي أن يُزن بها الخالي^(١)»
وقال الجوهري في الصحاح : « أزننته بشيء : آهنته ، وهو يزن بكذا ، قال :
إن كنت أزننتني بها كذا جزء فلاقيت مثلها بجلا »
ويقال : أزننه بالأمر مثل أظنه إذا آهنته ، فعنى الجملة المذكورة « وأشعاره دالة
على ما يُتهم به وما ينسب إليه من الإلحاد » .

١١ - وجاء في الصفحة ٦٧ في التعليق على مؤلف « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب »
قول اللجنة :

« هو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي صاحب التصانيف النافعة ، ولد
في حماة وتوفي بحلب » . قلت : أما وفاته بحلب فمن الحقائق التاريخية ، وأما القول بولادته
في حماة فخطأ لم يقل به أحد من المؤرخين سوى ابن خلكان ، قال معاصري ياقوت والراوي عنه
زكي الدين عبد العظيم المنذري في وفيات سنة ٦٢٦ هـ .

« وفي العشرين من شهر رمضان توفي الأديب الفاضل أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله
الرومي النحوي الكاتب بحلب ، ودفن بظاهرها ، أخذ عن جماعة من الأدباء وغيرهم وجمع
كتاباً كبيراً في البلدان ، أحسن فيه ، وكتاباً آخر في المتفق من أسماء البلاد ، وكتاباً في أخبار
المتنبي وغير ذلك وحدث . سمعت منه شيئاً من شعره وشعر غيره وسمعتة يقول : مولدي
في سنة أربع أو خمس وسبعين - يعني وخمسائة - ببلاد الروم . وكانت له همة عالية في
تحصيل المعارف ، وكتب خطأ حسناً وبلغنا أنه حبس كتبه واجتهد في حملها وإيصالها إلى
الموضع الذي وقعت فيه بمدينة السلام^(٢) » .

وقال ابن خلكان : « أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الجنس الحموي المولد ،

(١) السكائل ١٠ : ١٩ طبعة الجوهري الأزهرى .

(٢) التكملة لوفيات النفاة : نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ٢ لبرقة ٦٤ هـ .

البغدادي الدار الملقب شهاب الدين . أسر من بلاده صغيراً وابتاعه ببغداد رجلاً تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي ... » . وقد ناقض ابن خلكان نفسه بقوله « أسر من بلاده صغيراً » بعد قوله « الحموي المولد » . فكيف يكون حموي المولد وقد أسر من بلاده صغيراً؟! فالقول الثاني أي كونه مولوداً ببلاد الروم هو الصحيح الذي ذكره المنذري وتلقاه من في ياقوت ، أما مولاه عسكر بن أبي نصر الحموي التاجر فهو الذي أعطاه نسه أي « الحموي » كما جرت عادة السادة مع مواليتهم في الزمن القديم . وقد توفي سيده سنة ٦٠٦ هـ ببغداد ، قال ابن الساعي في وفيات هذه السنة : « أبو الجيش عسكر ابن أبي نصر الحموي ، أحد التجار القاطنين ببغداد ، من ساكني دار الخلافة المعظمة بالقرب من باب الحرم الشريف ، وكان ذا ثروة وتجميل ظاهر . توفي في جمادى الأولى من السنة ودفن عند مشهد عون ومعين (١) » .

١٢ — وجاء في الصفحة ٧٨ « لا يقول مثلها تنوخ جسدك الأكبر » بتنوين « تنوخ » وهو غير مصروف للعمية وموازنة للفعل ، كاحمد ويحيى ويعمر ويحصب وتزيد ، وليس المراد بتنوخ ها هنا القبلة ، فلو أريدت لاجتمعت ثلاثة موانع من الصرف العمية والتأنيث وموازنة الفعل ، واثنان منها كافيان .

١٣ — وجاء في الصفحة ٨٣ « قال ابن الهبارية : أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه :

أرى جيل النصف شرّ جيل فقل لهم وأهيو بالخلول
أقال الله حين عبستمود : كلوا أكل البهائم وارقصوا لي »

فعلقت اللجنة عليهما « ألحق أن البيت ليس من شعر أبي العلاء فقد ورد في رسالة ابن القارح إلى أبي العلاء : أنشدني الظاهر لنفسه . وذكر البيت ، انظر رسائل البلغاء ص ٢٠٠ » .

(١) الجامع المختصر وعنوان التواريخ ومعاون السير ١ : ٩ ص ٢٩١ ملحة كاتب هذا النقد .

تعريف القدماء بأبي الملاء

ولم يذكرُوا من «الظاهر» هذا؟ واعتمدُوا على رسائل البلغاء في طبيعتها الثانية التي أضاف إليها الأستاذ مجد كرد علي رسالة ابن القارح، وقد ذكره باسم «ظاهر» الذهبي في المشتبه قال: «ظاهر كثير، ومعجزة ظاهر الجزري شاعر محسن بعد ٤٠٠» يعني بعد سنة ٤٠٠ الهجرية، والذي حفظناه أنه كان يلقب «الظاهر» بالطاء المهملة ولم يكن اسمه «ظاهراً» كما قال الذهبي، وهذا الشاعر غلط المؤرخون في اسمه ولقبه وذلك أمر غريب، فاسمه «شداد» بالسين المهملة من السداد. فتصحف على طائفة من المؤرخين إلى «شداد» من الشدة، وكان لقبه «الظاهر» فتصحف على طائفة منهم إلى «الظاهر» ومنهم من عداه «ظاهراً» كما وقع للذهبي، وقد أحسن ابن شاكر السكتي بأن جعل اسمه في ترجمة «السين» من فوات الوفيات، فظنه طابعوه وآخرهم الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد المصري. وليس هو من أدباء هذا الشأن. فقد جعله «شداد بن إبراهيم» بعد المسمى «سحيم بن وثيل عبد بن الحساس» وهذا داخل في الامكان لأن الشين تعقب السين، ألا أن الذي ولي سحياً من الجهة الأخرى «سعد الله بن نصر الله وسعد الله بن مروان وسعدون المجنون، وسعد بن أحمد بن مكي وسعد بن الحسن بن شداد الناجم وما يليه من الأسماء المبدوعة بالسين، ولم يشك الشيخ في كونه متحماً في غير بابه، لأنه قال في الحاشية: «كذا وقع هذا العلم وسط حرف السين المهملة وآثرنا بقاءه في موضعه من الأصول مع التنبيه على أن موضعه في حرف الشين، وله ترجمة في معجم الأدباء»^(١). وأيده في هذا الوهم وروده في معجم الأدباء في باب الشين المعجمة غلطاً من مؤلفه ياقوت قال ياقوت:

«شداد بن إبراهيم بن حسن أبو النجيب الملقب بالظاهر الجزري، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه، ومسند الوزير المهلي، وكان رقيقاً^(٢) الشعر، لطيف الأسلوب،

(١) ولقبه في فهرست فلق على اسمه قوله «كذا وقع هذا الاسم بين الأسماء المبدوعة بحرف السين».

(٢) في معجم الأدباء ٢٦١: ٤ طبعة مرغوليوث: دقيق الشعر، ولا عمل للندسة وقد أغت

مات سنة ٤٠١ ... ومن شعره : إذا المرء لم يرضَ ما أمكنه ... ومنه :

أيا جيل التصوف شر جيل لقد جثم بأمر مسجيل

أفي القرآن قال لكم إلهي كلوا أكل البهائم وارقصوا لي^(١)

وذكره الثعالي في تشمة اليتيمة قال : « الطاهر الجزري ، عالي السن أدرك سيف الدولة

وفيه يقول :

وحاجة قيل لي بيه لها عمراً^(٢) ... » وذكره البأخرزي قال : « الطاهر الجزري^(٣)

أنشدني الشيخ أبو عامر من أبيات له لم تطب نفسي بالتعافي عن لبس حلاها^(٤) ... »

وقال ابن شاذان الكتي : « سداد بن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر

شاعر مدح المهدي وزير معز الدولة ، وكانت وفاته في حدود الأربعمئة ... رحمه الله ...

ومن شعره :

أرى جيل التصوف شر جيل ...^(٥) » .

وقال الصفدي قبله : « سداد بن إبراهيم أبو النجيب الجزري الملقب بالطاهر ،

شاعر ...^(٦) » . وقد ترجمه الصفدي بين « السخاوي » و « سديف بن ميمون » فلم يبق

شك في أنه من باب السنين ومن الكتب التي تصحف فيها اسم هذا الشاعر ولقبه معجم الأدباء

لياقوت الحموي ، فقد جاء في الجزء الثالث منه « ص ١٨٩ طبعة مرغوليوث » : « وحدث

أبو النجيب سداد (كذا) بن إبراهيم الجزري الشاعر الملقب بالطاهر (كذا) قال : كنت

(١) معجم الأدباء ٤ : ٢٦١ .

(٢) تشمة اليتيمة ١ : ٤٦ .

(٣) وقع في طبعة المطابع الحلبي وهي رديئة « الجزري » وهو تصحيف .

(٤) دمية القصر ص ٥٠ .

(٥) نوات الزينات ١ : ٢٤٠ طبعة محمد علي الدين عبد الحميد .

(٦) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٤ الورقة ١١٦ .

كثير المأزمة للوزير أبي محمد المهدي فاتفق أبي غسنت ثيابي وأنفذ إلي يدعوني فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألح في استدعائي فكتبت إليه : عبدك تحت الحبل عريان ... » .

١٤ — وجاء في الصفحة المذكورة في التعليق على ابن الهبارية أبي يعلى محمد بن محمد الهاشمي قول اللجنة : « وكان ملازماً لخدمة نظام الملك وولده ملكشاه » . وفي هذا القول خطأ مبين ، فإن ملكشاه لم تكن له بنظام الملك صلة نسب ولم يكن له النظام بالآب ، وقد أحالت اللجنة بقوطها على أنساب السمعاني ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ، فوجدنا أن صاحب الشذرات هو الذي ارتكب هذا الخطأ أولاً « ٤ : ٢٤ » . وملكشاه هو السلطان السلجوقي الأعظم الذي دانت له الأقطار والأمم وهو ابن ألب أرسلان السلطان السلجوقي العظيم ، وسيرتها أشهر من أن يحال بالإشارة إلى مظنتها إلى تاريخ من التواريخ أو معجم من معاجم التراجم . ويهملنا في هذا الأمر أن نشير إلى أن ابن الهبارية مؤلف شذرات الذهب له سقطات في التاريخ ، وليس هو بالمعتمد في هذا الفن مع نقله في الأعم الأغلب من كتب الثقات والأثبات .

١٥ — وجاء في الصفحة ٩٧ منقولاً من كتاب معجم الأدباء لياقوت الرومي : « قرأت بخط أبي سعيد [السمعاني] قال سمعت المبارك بن أحمد بن الأخوثة مذاكرة [يقول] : خرج رجل على سبيل الفرجة ... » ^(١) . وذكر قصة ، وهكذا ورد فيها « ابن الأخوثة » بالناء المثلثة ، وأثبتته اللجنة كذلك في فهرست الكتاب ، والمشهور في عصر السمعاني « ابن الاخوة » جمع الأخ ، والظاهر أن المبارك بن أحمد بن الاخوة هو أخو عبد الرحيم بن أحمد بن الاخوة الأديب المحدث المشهور ^(٢) .

(١) ورد هذا الخبر في معجم الأدباء ج ١ ص ١٢٦ من طبعة مرغوليوت .

(٢) ترجمه الصفدي في الوان بالوفيات وترجمه قبله الفياض الاصمعي السكيات في المريدة وناج الدين السبكي في طبقات المشافهة الكبرى ، وذكر عدة مؤرخين استطراداً في الاجازات وغيرها ، قال السمعاني في « الفري » من الانساب « هكذا كان يسميه لنا أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد بن الاخوة البغدادي » .

١٦ - وجاء في الصفحة « ١٢٩ » تعليق مختصر على اسم « محمد بن نصر بن عنين الشاعر » ثم علقّت اللجنة على اسمه في الصفحة « ٢٩٩ » تعليقاً أوسع وأنفع منه كأنه لم يرد له ذكر في الكتاب من قبل .

١٧ - وعلقت اللجنة في الصفحة ٢٤٩ تعليقاً على اسم « الرشيد بن الزبير أحمد بن علي الأسراني » وأحالت بالتعليق على وفيات الأعيان والطالع السعيد ، وغفلت عن معجم الأدباء وهو من أمّهات كتب التراجم التي ترجمته « ١ : ١٦ » طبعة مرغوليوث .

١٨ - وجاء في الصفحة ٢٦٣ مختصر ترجمة الصلاح الصفدي مع الإشارة إلى مظاهرها ، ولكن اللجنة أهملت من المظان « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ٢ : ٨٧ » لابن حجر العسقلاني ، وغيره من كتب التراجم . وقد أغفلت اللجنة هذا الكتاب في عدة تراجم أخرى « ص ٢٢١ وغيرها » .

١٩ - وجاء في الصفحة ٢٦٨ منقولاً من الوافي بالوفيات « وأما الشيخ شمس الدين لحكم بزندقته في ترجمته له وطولها وذكر له فيها قبائح » . وقالت اللجنة معلقة على شمس الدين : « هو سبط ابن الجوزي ، انظر مرآة الزمان » . وهذا القول غير صحيح فإن الصلاح الصفدي كان إذا ذكر « شمس الدين » أراد « الشيخ شمس الدين محمداً الذهبي ^(١) » المحدث الكبير والمؤرخ الشهير ، ويؤيد قولنا أن الصفدي نقل من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي في الترجمة بعينها « ص ٢٨٠ » قال : « قال سبط ابن الجوزي ^(٢) في المرأة : قال الغزالي ... » .

(١) وقد أعاد هذا القول في نسكت المعيان بإيضاح . قال : « وأما الفرع شمس الدين الذهبي لحكم بزندقته في ترجمته له وطولها في تاريخ الاسلام له وذكر فيها قبائح » . وقد نقلت اللجنة هذا القول « ص ٢٨٩ » .
(٢) في الأصل « قال في المرأة سبط ابن الجوزي قال الغزالي » وهو من سبق الفلم ، بدلالة أن الصفدي أعاد كلامه في نسكت المعيان وقد نقلت اللجنة كلامه « ص ٢٩٣ » قال : « قال سبط ابن الجوزي في المرأة قال الغزالي ... » .

تعريف القدماء بأبي العلاء

٢٠ - وجاء في الصفحة ٣٥٣ منقولاً من كتاب « نزعة الجليس » للعباس المكي :

« قال ابن خلكان : ومن لزوميات أبي العلاء المعري قوله :

لقد عجبوا لأهل البيت أناهم علمهم في مسك جفر

ومرأة المنجم وهي صفري أرتة كل عامرة وققر »

فعلقت اللجنة على « قال ابن خلكان » قبطاً : « هذه ليست عبارة ابن خلكان وكلمة

اللزوميات لم ترد في نص قبل هذا » - وعلقت على البيتين قولها : « البيتان من أبيات في

اللزوميات ١ : ٢٩٠ وهذا الاختيار لم يرد في ابن خلكان فعله مما قس المؤلف » .

قلنا : أما العبارة فقد تصرف بها العباس المكي وأما أن ذلك الاختيار لم يرد في تاريخ

ابن خلكان نخطأ من القول مبين لأن ابن خلكان ذكر البيتين المذكورين آنفاً في ترجمة

« عبد المؤمن بن علي الكومي » المشهور ، قال : « وقولهم الإمام يريدون به جعفر

الصادق - ع - وقد تقدم ذكره وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعري بقوله :

لقد عجبوا لأهل البيت لما أناهم علمهم في مسك جفر

ومرأة المنجم وهي صفري أرتة كل عامرة وققر

وقوله : في مسك جفر ، الجفر بفتح الجيم وسكون السين المهملة الجلد ، والجفر (بفتح

الجيم وسكون الفاء ويمسدها راء) من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل

عن أمه ، والأشج جفرة ، وكانت عادتهم أنهم في ذلك الزمان يكتبون في الجلود والعظام

والخزف وما شا كل ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم ^(١) .

وقد ذكر ابن خلكان أبا العلاء المعري في غير ترجمته استطراداً غير مرة فكيف

جزمت اللجنة القول بأنه لم يذكر البيتين ؟! وكما تنبأت اللجنة إلى أنه ذكره استطراداً في

ترجمة ابن عني الشاعر ^(٢) وابن هاني ^(٣) الأندلسي الشاعر كان واجباً عليها أن تنبه لذكره

(١) وفوات الأعيان ١ : ٢٢٧ طبعة بلاد العجم .

(٢) التعريف بأبي العلاء ١ : ٣٩٩ .

الاستطراذي في المواضع الأخرى ، فمن المواقف التي ذكره ابن خلكان فيها ولم تقف اللجنة عليها ترجمة أبي نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الأديب الشاعر الوزير قال : « وكان قد اجتمع بأبي العلاء المعري بمعة النعمان ، فشكا إليه حاله وأنه منقطع عن الناس وهم يؤذونه فقال : ما لهم ولك وقد تركت لهم الدنيا [والآخرة] ؟ فقال أبو العلاء : والآخرة أيضاً والآخرة أيضاً ؟ وجعل يكررها ويتألم لذلك ، وأحرق فلم يكلمه الى أن قام ^(١) » .

وذكر ابن خلكان أبا العلاء المعري أيضاً في ترجمة الشيخ أبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري الفقيه الشافعي المولود سنة ٣٤٨ المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ^(٢) قال : « ومن شعره ما أورده له الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي ، المتقدم ذكره ، في الجزء الذي وضعه في أخبار أبي العلاء المعري قال مسنداً عنه : كتبت الى أبي العلاء المعري الأديب حين وافى بغداد ، وقد كان نزل في سرية غالب :

وما ذات در لا يحل لحالب تناوله واللحم منها محلل

إلى آخر الأبيات المذكورة في الوفيات قال أبو الطيب : فأجابني وأملى على الرسول في الحال مرتجلاً :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما صواب وبعض القائلين مضلل

إلى آخر الأبيات والجواب عنها للقاضي الطبري ثم الجواب عنها للمعري ^(٣)

وقد نقلت اللجنة هذه المسألة الشعرية في الحاجة من كتاب « تمة المختصر في أخبار البشر » ^(٤) لعمر بن الورد مع أن ابن الورد أخذها من الوفيات ولم يشر إلى

(١) الوفيات ١ : ٤٢٢ .

(٢) من أغرب ما غفل عنه طائفة من المؤرخين والقراء ورود أبيات في كتاب مروج الذهب المتوفى سنة ٣٤٠ أو سنة ٣٤٦ لأبي الطيب طاهر بن عبد الله الطبري المذكور المتوفى سنة (٤٥٠ هـ) ، (مروج الذهب ٢ : ٢٩٢ طبعة محمد يحيى الحيد) ، مع أنها قد ألفت به إلحاقاً .

(٣) الوفيات ١ : ٢٥٣ ، ٢٥٤ طبعة بلاه الجمع .

(٤) التعريف بأبي العلاء ٢ ص ٢١٢ .

تعريف القدماء بأبي العلاء

مقلتها فعل ذلك على عادة القدماء المتردين ، وذكرها ابن ظافر الأزدي في كتابه « بدائع البدائنه » ص ٢٠٤ « بسنده إلى أبي الطيب طاهر الطبري .

وذكر ابن خلكان أبا العلاء الممرى في ترجمة أبي محمد عبد الوهاب بن علي المالكي الفقيه قال : « واجتاز في طريقه بمعرفة النعمان وكان قاصداً مصر وبلمعة يومئذ أبو العلاء الممرى فأضافه ، وفي ذلك يقول من جملة أبيات :

والمالكي ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النأي والسفر

إذا تفقه أحيا مالكا جديلاً وينشر الملك الضليل إن شعرا^(١)

وذكره أيضاً في ترجمة شيخ الاسلام أبي الحسن علي بن أحمد بن يوسف الأموي العسكري قال : « ولقي أبا العلاء الممرى وسمع منه فلما انفصل عنه سأله بعض أصحابه عما رآه منه وعن عقيدته . فقال : هو رجل من المسلمين^(٢) » .

وذكره ابن خلكان في ترجمة أبي علي الحسن بن علي بن محمد التنوخي القاضي قال : « وأما ولده أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي فكان أديباً فاضلاً له شعر لم أقف منه على شيء وكان يصحب أبا العلاء الممرى وأخذ عنه كثيراً وكان يروي الشعر الكبير^(٣) » .

فهذه المواضع كلها من موارد سيرة أبي العلاء الممرى في الوفيات ولم تقف عليها اللجنة المذكورة ، وقد تذكرتها لاني تصفحت أكثر تراجم وفيات الأعيان ووعيت منها ما وعيت ، ولعل له ذكراً آخر في هذا الكتاب غير ما ذكرنا وما ذكرت ، ويستطيع الباحث أن يقف على ذلك بالفهرست الخطي الذي صنعه له الشيخ عبد اللطيف ثنيان ومنه نسخة في خزانة كتب الآباء الكرمليين استنسخت بطلب من الأب أنستاس الكرملي وقد أهديت إلى خزانة كتب المتحف العراقي مع الكتب الأخرى .

(١) الوفيات ١ : ٣٣٠ .

(٢) الوفيات ١ : ٣٧٧ .

(٣) الوفيات ٢ : ١٨ .

٢١ — وإذ تطرقت إلى المواضع التي ذكر فيها أبو العلاء استطراداً ، وهي التي سُميت طائفة منها بالشذرات في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » هذا أود أن أذكر أن عدة كتب أو فصول استطردت إلى ذكره ولكنها لم تكن فيما وقفت عليه اللجنة المختارة ، فمن ذلك ما ورد في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي « ٩ : ٤٩ » قال الخطيب : « حدثني أبو القاسم عبيد الله بن علي الرقي — وكان أحد الأدباء — قال : أخذ أبو العلاء المعري ، وهو ببغداد ، يوماً يدي فغمزها ، ثم قال لي : يا أبا القاسم هذا بلد عظيم لا يأتي عليك يوم وأنت به إلا رأيت فيه من أهل الفضل من لم تره فيما تقدم » (١) .

وقال عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في شرح قول الامام علي بن أبي طالب يصف الموتى والمقابر : « تطؤون في هامهم وتستنبئون في أجسادهم » : « قوله عليه السلام : تطؤون في هامهم . أخذ هذا المعنى أبو العلاء المعري فقال :

خفف الوطاء ما أظن أديم الـ	أرض إلا من هذه الأجساد
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً	ضاحك من تراحم الأضداد
ودفين على بقايا دفين	من عهد الآباء والأجداد
صاح هذي قبورنا تملاً الأرـ	ض غائب القبور من عهد عاد ؟
سر إن استطعت في الهواء رويداً	لا اختيالاً على رفات العباد (٢) » .

وقال ابن القوطي في ترجمة المبارك بن محمد بن محمد الساجي : « كان فصيح الكلام ، كثير المحفوظ ، أدبياً فاضلاً ، له رسائل وخطب ، أنشد لأبي العلاء المعري يرثي أباه عبدالله ابن سليمان وكان قد توفي بحمص :

إن كان أصبح من أهواء مطر حاً بباب حمص فما حزني بمطر ح

(١) تاريخ بغداد ١ : ١٩ ، ٤٠٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٣ : ٤٩ ، طبعة مصطفى البابي الحلبي الأولى .

تعريف القدماء بأبي العلاء

لو بان أيسر ما أخفيت من جزع لمات أكثر أعدائي من الفرح^(١)»

وقال ابن عنبه في ترجمة والد الشريف المرتضى : « ومن رثاء ولداه الرضي والمرتضى ومهيار الكاتب وأبو العلاء أحمد بن سليمان المعري رثاء بالقصيدة الذائية وهي في كتابه سقط الزند^(٢) » .

ثم قال في ترجمة المرتضى : « وحضر بمجلسه أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ذات يوم بغيري ذكر أبي الطيب المتني فتقصه الشريف المرتضى وعاب بعض أشعاره فقال أبو العلاء : لو لم يكن له إلا قوله :

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاء . فعضب الشريف وأمر بالمعري فسحب وأخرج ، فتعجب الحاضرون من ذلك ، فقال لهم الشريف : أعلمتم ما أواد الأعمى ؟ إنما أراد قوله في تلك القصيدة : وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل^(٣) »

ثم قال في عقب اسحاق بن المؤتمن العلوي : « وجمهور عقب إسحاق بن المؤتمن ينسب إلى الشريف أبي إبراهيم العالم الشاعر مدوح أبي العلاء المعري وهو محمد الحراني ابن أحمد الحجازي ابن محمد بن الحسين بن اسحاق المؤتمن^(٤) » .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٢٥٦ منقولا من نزهة الجليس للعباس المسكي : « وبما يدل على تمكنه من علم الفلك وأسرار الكواكب ما حكاه ابن أبي أصيبعة في كتاب الأنباء

(١) تلخيص مذهب الألقاب ، ج ١ : ٢٤٧ من نسختي المطبوعة الأولى .

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ، ص ١٨١ .

(٣) عمدة الطالب ، ص ١٨١ .

(٤) عمدة الطالب ، ص ٢٢٣ . جاء في سقط الزند ١ : ١٣٤ . وقال : .. يحب الشريف أبا

إبراهيم موسى بن اسحاق عن قصيدة أولها :

غير مستحسن وصلته الغواني بعد ستين حجة وثلاثي .

في تاريخ الأطباء ... » وذكر قصة ، فعلقت اللجنة عليها قولها : « لم نجد هذا الخبر في كتاب ابن أبي أصيبعة » . وقولهم صحيح ، لا أنهم لم يفتنوا إلى أن ابن حجلة المغربي ذكر القصة في سكر دان السلطان « حاشية الخلاصة ص ٤٦ طبع المطبعة الميمنية » . قال : « حكى ابن أبي أصيبعة في كتابه الأنباء في تاريخ الأطباء وغيره من أبواب التاريخ أن وزير محمود بن صالح صاحب حلب ... » .

٢٣ - ومن الكتب التي ذكرت أبا العلاء ولم تعرفها اللجنة كتاب « زهر الربيع » « للسيد نعمة الله الجزائري ، كما جاء في الصفحتين ٥٤ ، ٣٤٨ منه فني الصفحة الأولى قال مؤلفه : « في الأثر أن أبا العلاء المعري كان يتمصب لأبي الطيب ، فحضر يوماً مجلس المرتضى ... » وذكر الحكاية المشهورة التي لا يمكننا تصديقها ، وقال في الصفحة الثانية : « أبو العلاء المعري كان ملجداً ، فقال في الاعتراض على حكمة الباري - سبحانه وتعالى - :

يد بخمس مئين عسجداً قديت ما بالها قطعت في ربع دينار
وأول من أحابه علم الهدى المرتضى طاب ثراه :
عز الأمانة أغلاها وأرخصها ذلُّ الخيانة فافهم حكمة الباري
وأحابه الشافعي (كذا) ثانياً

هناك مظلومة غالت بقيمتها وهاهنا ظلمت هانت على الباري » .
ولأبي العلاء ترجمة حسنة في كتاب « روضات الجنات » ل محمد باقر الخوانساري « ص ٧٣ » قال أولها : أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث القضاعي التنوخي البصري (كذا) ... » .

٢٤ - وجاء في الصفحة ٢٩٣ نقل من معجم الأدباء لياقوت الحموي في مادة « جبيل » فيه ذكر لأبي العلاء المعري بسبب الكلام على سيرة أبي الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبيلي الشاعر ، ولم تذكر اللجنة ترجمة لهذا الشاعر الذي اتصل به أبو العلاء مع أن

تعريف القدماء بأبي العلاء

الخطيب البغدادي قد ترجمه في تاريخه قال :

« محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم أبو الخطاب الشاعر المعروف بالجبي ، كان من أهل
الأدب ، حسن الشعر ، فصيح القول ، مليح النظم ، سافر في حياته إلى الشام فسمع
بدمشق من أبي الحسين المعروف بأخي تبوك ثم عاد إلى بغداد وقد كف بصره ، فأقام بها
إلى حين وفاته ... قال لي أبو القاسم الأزهرى : كان أبو الخطاب الجبي معي في المكتبة
فكان أحسن الناس عينين ، كأنها ترجستان ثم سافر وعاد إلينا وقد عمي ... وقيل إنه كان
رافضياً شديداً للرفض ... سمعت منه الحديث وعلقت عنه مقطعات من شعره ... أنشدنا
القاضي أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي قال : أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن
سليمان المعري ^(١) لنفسه يحيب أبا الخطاب الجبي عن أبيات كان مدحه بها عند ورود
معرة النعمان :

أشفقت من عبء الزمان وعابه	وملت من أرى الزمان وصابه
ووجدت أحداث الأيالي أولعت	بأخي الندى تنفيه عن آراه
وأرى أبا الخطاب نال من الحجي	حظاً رواء الدهر عن خطابه
لا تطلبن كلامه متسابهاً	فالدر تمتنع على طواره
أثنى وخاف من ارتحال نسائه	عني فقيده لفظه بكتابه
كلم كنظم العقد يحس تحته	معناه حسن الماء تحت حبابه
فتشوقت ^(٢) شوقاً إلى نغماته	أفهامنا ورت إلى آدابه
والنخل ما عكفت عليه طيوره	إلا لما علقته من إرطابه
ردت لطافته وحدة ذهنه	وحسن اللغات أوانسأ بخطابه

(١) في الأصل أي تاريخ الخطيب و المعري . وهو ضعيف من النسخ أو الطائمين

(٢) في الأصل . فتشوقت . ولا غل له .

والنحل يحني المر من نور الرُّبا
عجب الأنام لطول همة ماجد
سهم الفتى أقصى مدى من سيفه
هجر العراق تطرباً وتغريباً
والسمهرية ليس يشرف قدرها
والعصب لا يشفي امرأة من ناره
والله يرعى سرح كل فضيلة
يا من له قلم حكى في فعله
عرفت جهودك إذ نطقت وطالما
وهزرت أعطاف الملوك بمنطق
ألبستني حلل القريض ووشيه
وظلمت شمرك إذ حبوت رياضه
فأجأت عنه مقصراً عن شأوه
فتصير شهيداً في طريق رضابه
أوفى به قصر وما أزرى به
والرمح يوم طعنه وضربه
لينفوز من سمط العلا بغرابه
حتى يسافر لديها عن غابه
إلا بعقد نجاده وقوابه
حتى يروحه إلى أبوابه
أيم الغضا لو لا سواد لعابه
لمظ القضا فأبانت عن ألدابه
رد المسن إلى اققبال شبابه
متفضلاً فرفات في أكوابه
رجلا سواد من الورى أولى به
إذ كان يعجز عن بلوغ نوابه

مات أبو الخطاب في ليلة الاثنين ودفن في يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (١).

٢٥ - وجاء في الصفحة ٤٠٣ اسم ابن القيسراني الشاعر المشهور «أبي عبد الله محمد ابن نصر بن صفير بن داغر» هكذا بالفاء في «صفير» وأثبت في فهرست بصورة «محمد ابن نصر بن صفير بن داغر» بالفاء أيضاً، والعوالب «صفير» بالغين المعجمة، قال جمال الدين بن الصايوني في مستدركه في الأنساب والألقاب والأسماء: «وذكر ابن نقطة في باب (صفير) بنسج الصاد المبهمة بعدها غين معجمة مكسرة رجلين وأغفل ذكر الأديب

تعريف القدماء بأبي العلاء

الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير بن خالد الخالدي الخزومي المعروف بابن القيسراني الحلبي^(١) ... وذكر ترجمته وتراجم المشهورين من ذرية (صغير) وكانوا كبراء. وقد غفلت اللجنة عن الاسالة بترجمته على معجم الأدباء «١١٢: ٧» ومرآة الزمان «٢١٣: ٨» وقاريخ ابن الفلانسني «ص ٣٢٢» ووفيات الأعيان «١٢٠: ٢» والنجوم الزاهرة «٥: ٣٠٢، ٣٠٣» والكامل في سنة ٥٤٣ وسنة ٥٤٤، وإن كانوا أحالوا على شذرات الذهب وفي الشذرات إحالة على الوفيات.

٢٦- وجاء في الصفحة ٤١٧ منقولاً من بغية الوعاة للسيوطي: «عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي أبو منصور الكاتب صنف كتاب خلق الانسان على حروف المعجم ورجمة العفرية ردّ فيه على المعري». قلنا: الصحيح «رجم العفرية» قال صلاح الصفدي: «عبد الله بن سعيد بن مهدي الخوافي أبو منصور الكاتب. قدم بغداد أيام العميد الكندي واستوطنها الى أن مات، [سنة] ثمانين وأربعمئة، وكان أدبياً فاضلاً فرضياً حاسباً كاتباً ظريفاً شاعراً حسن المعرفة بالغة له فيها مصنفات منها كتاب (خلق الانسان) على حروف المعجم وكتاب (رجم العفرية) ردّ فيه على أبي العلاء المعري، في عدة مصنفات، ورسالة الربيع المورق الى الشتاء المحرق (كذا).

ومن شعره:

فلا تيأس إذا ما استد باب فأرض الله واسعة المسالك
ولا تجزع إذا ما اعتاص أمر لعل الله يُحدث بعد ذلك

ومنه:

زفقتُ إليه من بكرى عروساً وصغت من البيان لها رعاناً
فقبلها وقلّبتها ولما طلبتُ المهر طلقها ثلاثاً

(١) نسخته: كال الا كان + ص ٢٤٠، ٢٤١ + طبعة الخليلي العراقي.

ومنه في البرغوث :

وأحذب ضامر يسري بليل إلى النوم مفتر الجفون
تقلبه الثلاثون انتصاراً إلى التسعين في أثر المنون (كذا)

ومنه :

سأحدث في متون الأرض حرباً وأركب في العلا غبر الأيالي
فأما في الثرى وبسطت عذراً وإما في الثريا والمعالى (١) .

٢٧ وعلقوا في الصفحة ٤٨٣ ترجمة كمال الدين عمر بن العديم محالاً بها على معجم الأدباء والبداية والنهاية والشذرات والفوائد البهية في تراجم الحنفية . وغفلت اللجنة عن كتاب « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » ١ : ٢٨٦ . وهو من أخص الكتب بترجمته ومن أقدمها .

٢٨ — وجاء في الصفحة ٥٠٠ ذكر « أبي الخطاب عمر بن محمد العليني » فعلقت اللجنة به قولها : « نسبتہ الى عليم بهيأة التصغير ، وهو بطن من عذرة ، وقد ذكره السمعاني في الورقة ٣٦٧ قال : « صاحبنا أبو جعفر (كذا) عمر بن محمد العليني المدمشي » . واجتزؤوا بذلك مع تصحيف « حفص » إلى جعفر عليهم ، لأن العادة جرت عند المسلمين التقدماء أن يكنوا عمر بأبي حفص لا بأبي جعفر إلا أن نسخة الانساب المطبوعة كثير الغلط والتصحيف وهو في ذيل تاريخ بغداد لابن الديلمي « أبو الخطاب » وكذلك في تاريخ ابن النجار البغدادي ، وفي النجوم الزاهرة والشذرات أنه توفي سنة ٥٧٤ هـ (٢)

٢٩ — وجاء في الصفحة ٥٠٥ ذكر « أبي المواهب بن مصري » وذكر أخيه « أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن مصري » فعلقوا على الأول قولهم « الحافظ أبو المواهب

(١) الرواي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ١٢ ، ١٣ » .

(٢) حاشية تنكية إكمال ١٢٨ - ١٢٩ .

تعريف القندماء بأبي الملاء

الحسن بن هبة الله بن محفوظ بن حسن المعروف بابن صصري ، توفي سنة ٥٨٦ . انظر تذكرة الحفاظ ٤ : ١٥٢ . ولم يعلقوا على الثاني بشيء ، وكان أبو القاسم هذا محدثاً مشهوراً جمع لنفسه مشيخة في سبعة عشر جزءاً وروى كثيراً وكان ثقة صالحاً ويلقب باسم « الحسين » باسم أخيه الحسن كما وقع لطابعي النجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٢٧٢ » في وثائق سنة ٦٢٦ وهي سنة وفاة أبي القاسم الحسين لا وفاة الحسن (١) .

وخلاصة القول في هذا الباب أن اللجنة قد قاطبها كثير من تراجم الرجال المذكورين في هذا السفر الجليل .

٣٠ — وجاء في الصفحة ٥٥٤ قول كمال الدين عمر بن العديم : « وقعت على كتاب سيرة [إلي] بعض الرؤساء بحجاب وضعه الشريف أبو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني زيل بغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً أهله بها ، فذكر في الكتاب قال : حدثني والدي ... » وقص قصته ، ولم تعلق اللجنة على هذا الموضع شيئاً ، مع احتياجه الى الايضاح ، فالكتاب الذي أشار اليه ونقل منه هو كتاب « صرف المعرة عن شيخ المعرة » قال ابن عنبه في الكلام على بني زهرة العلويين : « فمن بني أبي سالم محمد : بنو زهرة ... وهم بحلب سادة نقباء علماء فقهاء متقدمون — كثرهم الله تعالى — ومن أبي عبد الله جعفر بن إبراهيم : بنو حاجب الباب وهو شرف الدين أبو القاسم الفضل ابن يحيى بن أبي علي بن عبد الله نقيب حلب ابن جعفر بن أبي تراب زيد بن جعفر المذكور وهو السيد العالم حافظ كتاب الله ، كان حاجباً لباب النوبي (٢) بدار الخلافة ببغداد ... ومن بني حاجب الباب السيد العالم أبو علي المظفر ابن حاجب الباب المذكور صاحب كتاب

(١) حاشية تكملة إكمال الأكمال ٤ ص ٣٦ .

(٢) في طبعة الهند من عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب (ص ٢٢٣) باب النوبي وهو ضعيف

وإنما سمي باب النوبي لأن أول حاجب استعجب عليه كان نوبياً ، المنتظم ٦ : ٢٠٢ .

صرف المعرفة عن شيخ المعرفة ، تعصب فيه لأبي العلاء المغربي وذكر بعض ما يطمعن به عليه وأجاب عنه « (١) » .

والشريف المظفر هذا كتاب « نضرة الاغريض في نصرة القريض » المشهور ألقبه للوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد ابن الملقمي ، ومنه عدة نسخ في خزانة كتب العالمين كخزانة دار الكتب الوطنية ببغداد .

وأما الشريف أبو ابراهيم فقد تقدم ذكره في هذا النقد .

٣١ - - وعلمت اللجنة في الصفحة ٥٣٣ إيضاحاً لسيرة ابن القارح علي بن منصور الحلبي الملقب دوحلة ، وقالت فيما قالت : « ويروى أنه كان مؤدياً للوزير المغربي وله فيه هجو كثير قال ياقوت : وكان آخر عهدي في تكريت سنة ٤٦١ » ، ولم تسأل اللجنة نفسها كيف يكون مؤدياً للوزير أبي القاسم المغربي المتوفى في الربيع الأول من القرن الخامس للهجرة ، وكيف يراه ياقوت المتوفى في الثلث الأول من القرن السابع للهجرة ، وبين التاريخين زهاء قرنين ؟! أجل جاء في معجم الأدباء « ٥ : ٤٢٤ » طبعة مرغوليوث : « قال ابن عبد الرحيم : هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد ... وكان آخر عهدي به بتكريت سنة ٤٦١ فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد ... »

فالقائل هو ابن عبد الرحيم الوزير الأديب المشهور عند مؤرخي الأدب العربي قدمائهم ومحدثهم ، وقد نقل ياقوت من كتابه في « الشعراء المعاصرين له » مزاراً في معجم الأدباء ، والتاريخ المذكور في نسخة معجم الأدباء المطبوعة - أعني سنة ٤٦١ - خطاً أيضاً ، لأن ابن عبد الرحيم لم يبق الى هذه السنة ، وأخطأ مؤلف كشف الظنون في « طبقات الشعراء » قال : « وصنف أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم الوزير المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

(١) عدة العال « ن ٢٢٤ ، ٢٢٥ » .

تعريف القدماء بأبي العلاء

(كذا) . فلا يصح تاريخ الوفاة هذا فإن الأثير يقول في حوادث سنة ٤٢٧ هـ « وفيها قبض على الوزير أبي سعد بن عبد الرحيم وزير جلال الدولة وهي الوزارة السادسة » . ثم قال في حوادث سنة ٤٣٩ هـ : « وفيها توفي عميد الدولة أبو سعد نهد بن الحسين بن عبد الرحيم بحزيرة ابن عمر في ذي القعدة وله شعر حسن ووزر لجلال الدولة عدة دفعات » . وعلى هذا ينبغي أن يكون التاريخ الوارد في معجم الأدباء ٤٢١ هـ أو ٤٣١ هـ . إلا أن مجيب الدين ابن محمد بن النجار البغدادي أثبت أنه سنة « ٤٢١ هـ » قال :

« علي بن منصور بن طالب أبو الحسن الملقب دوخلة ، أديب فاضل ، شاعر ، راوية للأخبار ، يعلم ألد الأكابر ، قدم ببغداد وصحب أبا علي الفارسي النحوي وأقام مدة وروى بها شيئاً . روى عنه من أهلها أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي . قرأت على أبي بكر الهاشمي عن محمد بن عبد الباقي أنبأنا أبو محمد التميمي إذنا أنشدنا أبو الحسن الحلبي المؤدب - وذكر أنه مؤدب الوزير المغربي - أنشدنا الوزير المغربي لنفسه :

قطعت الشام في شهري ربيع إلى مصر وعدت إلى العراق
فقال لي الحبيب وقد رأي سيقاً للضمرة العتاق
سريت على البراق فقلت كلا ولكني سريت على اشتياقي

قرأت في كتاب الشعراء وأخبارهم للوزير أبي سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم قال : أبو الحسن علي بن منصور بن طالب الحلبي يلقب دوخلة ، شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد ، راوية للأخبار ، وحافظ لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار ، وقوم بالنحو ، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره وهو صبي ثم لازمه وقرأ عليه ، على زعمه ، جميع كتبه وسماعاته ، وكانت معيشته التعليم بالشام ومصر وكان يحكى أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي ورد ببغداد ، وله فيه هجو كثير ، وكان يذمه ويعدد معائبه ، وشعره يجري مجرى شعر المعلمين ، قليل الحلاوة خال من الطلاوة ، وكان آخر عهدي به

بتكرت في سنة إحدى وعشرين وأربعمائة فانا كنا مقيمين بها واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه الى الموصل وبلغتني وفاته من بعد ، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، ولم يتزوج ولا أعقب فما أنشدني لنفسه في الشمة :

لقد أشبهتني شمة في صباهي وفي طول ما ألقى وما أتوقع
نحول وحرق في فناء ووحدة وتسديد عين واصفرار وأدمع^(١) »

٣٢ — وإني خاتم هذه التنبيهات التي لم أبدأ من ذكرها بما ورد في بحار الأنوار للعلامة المجلسي قال ناقلاً : « أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري ، ولد يوم الجمعة مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وحلّ أول سنة سبع وستين بيمنى حدفتيه بياض ، وذهبت اليسرى حملة ، ورحل الى بغداد سنة ثمان وتسعين ودخلها في سنة تسع وتسعين . وتوفي المعري بين صلاة العشاءين من ليلة الجمعة من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة^(٢) » .

وهذا الخبر مما فات اللجنة الفضلاء المؤلفة للنشر آثار أبي العلاء كالأخبار التي نقلتها والتي أشرت إليها آنفاً والله تعالى المسدد للرشاد ، الموفق للصواب .

(١) التاريخ الجدد لمدينة السلام - نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٤٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٤ .

تأريخ الأدب العربي

لكارل بروكلن

تأريخ الأدب العربي لكارل بروكلن^(١)، مرجع مهم لكل باحث في تأريخ الحركة الفكرية عند العرب منذ صدر الإسلام الى أيامنا الحاضرة . ضم وجزئاً مركزاً لسير العلماء والأدباء ، وحوى أسماء أكثر المؤلفات المطبوعة والمخطوطة وأسماء مظاهرها وأماكن وجودها إذا كانت مخطوطة .

وقد كان من لا يحسن الألمانية من الباحثين والمطالعين يودون لو نقل هذا الكتاب الى اللغة العربية ، ويحفظون في ذلك الحافاً ، الى أن بان لهم طريق الأمل بظهور جزء من أجزاء ستكون عديدة كثيرة ولا شك ، للكتاب الأصل المؤلف في جزئين والملاحقه العديدة التي تزيد على الأصل عدة أضعاف . ويقع هذا الجزء المترجم في (٢٢٠) صفحة من الحجم الوسط ، وقد طبع على مطابع « دار المعارف » بمصر طبعاً أليقاً فنياً مغنياً يدفع الانسان الى مطالعته والتهامه ، بنفقة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية . أما معرب الكتاب ونافله ، فالدكتور عبد الحليم النجار ، من خريجي الجامعات الألمانية . وهو زميلي ، عشت معه زمناً في « برلين » ، ودرسنا معاً في معهد واحد اللغة الألمانية هناك ، وهو من الأسانذة الأزهرين الفضلاء المتعمقين في الدراسات الإسلامية ، وقد سبق له أن نقل كتاباً للمستشرق « اكناتس كولدتسير » ، في « مذاهب التفسير الاسلامي » ، وله بحوث ودراسات . لذلك سررت جداً بشروعه في ترجمة هذا الكتاب وبأدبرت لاقتناء الجزء الذي أصدره منه ، فراجعته مراجعة عابرة لضييق الوقت عن مطالعته كله من أله الى بائه ومقابلته

على الأصل ، فتجمعت لدي من هذه المراجعة ملاحظات سريعة عاجلة رغبت في عرضها على السيد الدكتور لعلها تفيده يوم يشرع في تقديم الأجزاء الباقية الى المطبعة ، وعلى القراء لعلها تفيدهم في تصحيح ما سأذكره من هذه المراجعات إن أصبت فيها شاكلة الصواب .

سار المترجم في كتابة الأعلام الأجنبية على الطريقة المصرية في النطق بالحروف ، فكتب : اسم أوغست « August » « أوجست » ، و « Gaiger » « جايجر » و « Freitag » « فرايتاج » ، وهكذا . وهذه كلها أسماء ألمانية ، ينطقها الألمان بالكاف لا بالجيم . وقد كان على الدكتور كتابة الأعلام بطريقة النطق المألوفة في اللغة الأصلية التي ينتمي اليها الشخص ، ووفقاً للطريقة الشائعة في العربية . فليس كل العرب كلهم ينطقون « الجيم » « كائناً » . ثم إن حرف « الكاف » في العربية قريب من « G » المستخدم في هذه الأسماء الألمانية أو في اللغات الأجنبية الأخرى . ولما كانت لغة الكتاب لغة عربية فصيحة كتبت للعالم العربي كله ، لا تقطر واحد منه . كان على المترجم تذكر ذلك وكتابة الحرف وفقاً للأبجدية القرآن الكريم ، أي بالكاف . وقد أوقع كثير من الكتاب المصريين اخوانهم في البلاد العربية في اغلاط من ناحية التلفظ بأسماء المستشرقين التي يرد فيها هذا الحرف ، فقرأوه ونطقوا به « جيماً » دون أن يفتنوا الى أن المصريين أرادوا بالجيم حرف « الكاف » « الكاف » ، على طريقة نطقهم . ومن هذا القبيل اسم « جوته » الشاعر الألماني المعروف ، انقلب الى « جوته » ، وصار ينطق به كذلك حتى المثقفون ، مع أنه بالكاف لا الجيم . وانك لو لفظته « جوته » ، أمام ألماني ، فإنه لن يعرفه من دون شك ، لالتعريف الداخل عليه .

ومن هذا النمط تسمية المترجم الكتاب المشهور المعروف عند الفرس بـ « تاريخي كزیده » « تاريخ جزيده » ، ذلك لأنه ورد على هذه الصورة « Tarīhi Guzida » في النص الألماني ، مع أنه من الكتب التاريخية الفارسية المعروفة المطبوعة بالأبجدية العربية المستعملة عند الفرس ، وهو بحرف « الكاف » فيجب إبقاؤه كما هو ولو بحرف الكاف

تأريخ الأدب العربي

بدلاً من حرف « الكاف » الفارسي . ثم إن الدكتور كتبته على هذا النحو : « تاريخ
جزيدة » ، بينما كان عليه أن يكتبه « تاريخي كزیده » كما هو في الفارسية ، وكما هو مضبوط
في النص الألماني أيضاً ^(١) ، إذ لا يجوز التصرف بالأعلام . وقد وقع الدكتور في هفوات أخرى
على هذا النحو . منها تدوينه اسم « عليكرة » عليه كره ، على هذه الصورة « عليجرة » ^(٢) ،
مع أن هذا الاسم مضبوط على النحو الذي كتبته وبالحروف العربية . فلا يمكن تبديله وفقاً
لتنطق المصري . والظاهر أن اعتماد الدكتور على الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية ، هو
الذي دفعه إلى الوقوع في هذا الوهم . ولو راجع أحداً من الواقفين على أسماء شبه جزيرة
المهند وعلى فهرست المخطوطات لهداه إلى ذلك في الحال . لأن الاسم شائع معروف .
ومن هذه الهفوات تسرعه في النقل ، فقد جعل كتاب « روضات الأئمة » ، « روضة
الأئمة » ، وأما هو بالجمع أي « روضات » لا « روضة » ، وكذلك ورد مضبوطاً في الأصل
الألماني ^(٣) . والكتاب معروف ، ومضبوط بالحروف العربية ، فلا عذر لإدخال أي تغيير
عليه . كذلك سمي كتاب « روضات الجنات » « روضة الجنات » ، أي بإفراد روضة في كل
مكان ورد ذكره فيه ، وهو خطأ بالطبع ، مع وروده في شكل مضبوط صحيح في الأصل
الألماني ^(٤) .

وكتاب « روضات الجنات » هذا كتاب مهم من كتب التراجم المعروفة المشهورة ،
يقع في أربعة مجلدات ، وقد اعتمد « بروكلن » عليه في مواضع عديدة من كتابه ،

(١) راجع النص العربي (ص ٢٥٩) ، وقارنوه بالنص الألماني الوارد في (ص ١٠٤) من الملحق :

Suppl., I, S. 104.

(٢) الصفحة (٢٣) وكل الصفحات الأخرى التي ورد فيها هذا الاسم من الكتاب .

(٣) راجع النص العربي (ص ٢٥٩) ، وقابله بالنص الألماني الوارد في : Suppl., I, S. 104

(٤) مطبوع في إيران على الحجر ، راجع الصفحة (١٢٥) و (٢٦٠) و (٢٩٢) من التعريب ،

وقابلها بالصفحة (١٠٥) من النص الألماني : Suppl., I, S. 105.

وتحدث عن مؤلفه « محمد باقر بن محمد تقي الموسوي الخونساري » المتوفى سنة (١٣١٣ هـ / ١٨٩٥ م) ، في الصفحة (٨٢٨) من الملحق الثاني المطبوع سنة ١٩٢٨ م .
والخونساري من علماء الشيعة المعروفين ، ومن الغريب أن الدكتور المترجم نسب كتابه هذا إلى اليافعي ، وذلك في ص ٢٩٧ من الفهارست ، حيث كتب « روضات الجنات لليافعي : ١٧٩ ، ٢٠٦ » . ولا أدري كيف نسب إلى اليافعي ، ومن أين جاء بهذه النسبة ، وليست بين الرجلين نسبة وعلاقة ، مع وجود ترجمة المؤلف الخونساري في النص الألماني كما ذكرت .
وأشارته إلى الصفحات التي رجع إليها في روضات الجنات ، وهي صفحات مدونة في النسخة المطبوعة طبعاً حجرياً بإيران وعليها اسم المؤلف (١) .

وفي الرقم ٢٠٦ المذكور في الفهارست خطأ مطبعي ، كان على المترجم أن ينتبه إليه ويتلافاه ، فانه (٢٦٠) في النص المترجم .

وقد تصرف الدكتور بعض التصرف في تدوين الأعلام . فصير من « الأب أنطون الصالحاني اليسوعي » ، وهو من الآباء اللبنانيين المعروفين ، رجلاً مسلماً ، إذ سماه « أحمد الصالحاني » (٢) وهو ناشر ديوان الأخطل . وقد أوقعه في هذا الخطأ استعجاله ، إذ وجد النص الألماني مدوناً على هذه الصورة :

« Le-diwan d'al-Ahtal, ed. Par P. A. Salhaoui » (٣)

فطن أن (A) ، وهو الحرف الأول من « أنطون » هو « ألف » ، وأنه الحرف الأول من « أحمد » . وقد كان على الدكتور أن ينتبه إلى حرف (P.) الذي ورد قبل (A.) . وتعني الأب وأن يسأل المطلعين على الأدب ، فديوان الأخطل معروف ، وقد دون عليه « أنطون

(١) وتجد ترجمته في كتاب أسنن الوديعة ، (ص ١٢٦ وما بعدها) والذرية (١ / ٢٨٨) ، والأعلام (٢٢٢ / ٦) .

(٢) الصفحة (٢٠٨) ، وناشر أحمد الصالحاني ، نسخة من الديوان تصويراً بالمجهر

(٣) راجع النص الألماني .

تأريخ الأدب العربي

الصالحاني اليسوعي « ، نأشره في بيروت ، والصالحاني بحثة نصراني معروف ^(١) ومن الآباء . وقد نشر أيضاً تأريخ ابن العبري ، المؤرخ النصراني الشهير .

ومن هذا القبيل ، جعله والد « يوحنا » ، المعروف بـ « أسعد الصعي » ، رجلاً مسلماً اسمه « أحمد الصعي » ^(٢) . فصوره على هذا النحو : « يوحنا بن أحمد الصعي » . مع أن المؤلف قد ذكر الاسم كاملاً بالضبط لا بالرمز ^(٣) . ثم إن العرف الجاري لا يقبل مثل هذه التسمية : « يوحنا بن أحمد » ، فهي تلفت النظر . والواقع أن هذا الشذوذ في التسمية هو الذي دفعني إلى الملاحظة حتى الاهتداء إلى الحقيقة . وقد أشار المترجم إلى (الصفحة ٧١) من الترجمة ، فراجعت هذه الصفحة فلم أجد الاسم فيها ، ولم أصل إليه إلا بعد رجوعي إلى الفصل والموضوع فوجدته في (الصفحة ٧٠) ، ووجدت الاسم منبسطاً هناك ضبطاً صحيحاً . ومعنى هذا أن المترجم قد أخطأ في الفهرست خطأين . خطأ تحويل أسعد إلى أحمد ، وخطأ جعل الـ (٧٠) (٧١) .

وضبط الدكتور المترجم نسبة أحمد محدثي الشيعة الاثني عشرية البارزين -- وهو محمد ابن يعقوب بن اسحاق الكليني المتوفى سنة ٣٢٨ (أو ٣٢٩) للهجرة -- على هذه الصورة « الكوليني » ^(٤) . وهو تصرف خاطئ وقع فيه من جراء وهمه أن حرف الـ (u) الوارد في النص الألماني (Kulini) هو « و » ، بينما هو ضم ، وقد كان في أمكانه الرجوع إلى كتابه « الكافي في علم الدين » وهو من أشهر كتب الحديث الصحاح عند الشيعة ، كما كان في أمكانه الاستفسار من كثير من علماء مصر عنه ، والرجوع إلى كتب الرجال عند الشيعة

(١) « يعني بطبعه لأول مرة وعاق حواشيه الأب أنطون صالحاني اليسوعي » ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية .

(٢) راجع الصفحة (٢٨٤) .

(٣) الصفحة (٢٠) من المعلق الأول .

(٤) (ص ١٠٠) .

وتجد فيها ترجمته ^(١) .

وضبط الدكتور عنوان « فهرست مدرسة سبها سالار » ، بطهران على هذه الصورة :
« طهران : دانشکده معقول و منقول فهرست کتبخانه مدرسه عالي سبها سالار : جلد اول
کتب خطي فارسي وعربي تأليف ابن يوسف شيرازي ، طهران از سال ۱۳۱۳ تا ۱۳۱۵
« مطبعة مجلس بنجاب رسيدن » ^(٢) . وفي هذا الضبط أغلأط عديدة ، كان من الممكن
تلافيها لو تفضل قراجم النص الألماني مراجعة دقيقة وراجع عنوان فهرست المكتبة
المذكورة المدون بحروف عربية على هذه الصورة : « تهران : دانشکده معقول و منقول .
فهرست کتابخانه مدرسه عالي سبها سالار . جلد اول کتب خطي فارسي وعربي . تأليف ابن
يوسف شيرازي ، طهران ، از سال ۱۳۱۳ تا ۱۳۱۵ دو مطبعة مجلس بنجاب رسيدن ^(٣) » .
وهذا النص يختلف في الضبط عن النص المدون في ترجمة الدكتور النجار . ومرد هذا
الاختلاف الى قلة تدقيق الدكتور في نقله العنوان من النص الألماني الى اللغة العربية ، والى
عدم وقوفه على الفارسية . وقد وقع كذلك في الخطأ في كل موضع ورد فيه اسم المكتبة
حيث ذكره على هذه الصورة : « سبها سالار » ^(٤) ، أي بشكل يختلف عن ضبطه للاسم
لأول مرة حيث ذكره « سبها سالار » وعن الضبط الصحيح وهو « سبها سالار » . وقد كان
في امكانه تجنب ذلك كله لو راجع النص الفارسي وهو كثير الوجود في مكاتب القاهرة ولا
شك ، وراجع النص الألماني نفسه ونقل منه بتدقيق وامعان وعناية .

(١) « الكافي » ، « يضم الكاف وإدلة اللام » ، و « يضم أوله وكسر اللام » ، الباب (٤٩/٣) ،

فهرست الطوسي (١٣٥) ، أحسن الوديعه (٢٢٦/٢) ، الاعلام (٤٤/٨) ، المعاني (٢٥٦) ،

النجاشي (٢٦٦) ، Suppl., I, S. 320.

(٢) الصفحة ٢٢ من النص المغرب .

(٣) راجع النص الفارسي .

(٤) الصفحات (١٨٢ وما بعدها) .

تأريخ الأدب العربي

ومن هذه الأخطاء ما ورد في ص (٢٦٤) من النص المترجم : « وقيل إن ما سرجيس (أو ما سرجويه) اليهودي ترجم كتاب القس هارون في الطب لمروان ، وقيل لعمر بن عبد العزيز » . أما النص الألماني ، فهو على هذه الصورة :

« Für Marwān u. a. für 'O. b. 'ahdal 'Aziz übersetzte der Jude (?) Māsergis (Masergoya) das Medizinische Buch des Presbyters ' quss) Aharon ins Arabische » (١)

وترجمته : « ولمروان أو لعمر بن عبد العزيز ، ترجم اليهودي (؟) ما سرجيس (ما سرجويه) ، كتاب القس أهرن في الطب » . فصيّر اسم القس « أهرن » هارونا ، مع أن هذا الشخص من المعروفين المشهورين وقد تحدث عنه ابن النديم في « الفن الثالث من المقالة السابعة » وورد اسمه في كتب أخرى ، ولا أدري كيف صيره المعرب هارون . ولاحظت أن الدكتور قد تصرف في بعض العناوين العربية أيضاً ، مثل قوله في (ص ٢٥٢) : (وهناك كتاب منحول في حديث ذي الكفل ، وينسب إلى كعب الأحبار . وطبع في بولاق ١٢٨٣ هـ) . أما النص الألماني فهو :

« Ein apokryphes Hadith Dīl-Kifl 'an Ka' b al-ahbār ist Bulāq 1285 gedruckt » .

ويجب أن تكون ترجمته : « من المنحولات : حديث ذي الكفل عن كعب الأحبار المطبوع ببولاق ١٢٨٣ هـ » . وجملة : « حديث ذي الكفل عن كعب الأحبار » ، هي عنوان الأثر المطبوع ولا يجوز التصرف في العناوين والأسماء .

ومن هذا القبيل أيضاً ما ورد في (ص ٢٥٢) من النص المعرب عن دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة البكري : « دغفل بن حنظلة السدوسي النسابة البكري . أدرك النبي (صلى الله عليه وسلم) ولم يسمع منه . ووفد على معاوية ، وقتلته الأزارقة . ويقول ابن

(١) Suppl., I. S. 106. راجباً المفهوم من تفصير الداعية في عدم اظهار المروف الألمانية بالشكل المعلى الموجود في الأصل الألماني ، في هذا للسكان وفي الأنا كن الأخرى امدم وجودها لدينا .

النديم : لا كتاب له . ولكن روى عنه كتاب التحفة البهية (طبع استانبول ١٣٠٢ ص ٣٨) خطبة للناطقة الديباني من كتاب له بعنوان : التظافر والتناصر ، وهو يشتمل على مجالس له عند معاوية . وهذه الترجمة تختلف عن النص الألماني الوارد في (ص ١٠١) من الملحق رقم (١) . وهو فيه على هذه الصورة :

« J : D Dem Dagfal bi Manzato as-Sudusi an-Nassab al-Bekri (Filhrst 89) wird ein K. at-Tazafur watausur wahwa Magalis 'inda Mo 'awiya Zugeshrieben; aus dem in at-Tuhfa al-bahiya (Stanbul 1302) S. 58. eine Rede an-Nabiga ad-Dubyanis Zitiert Wird »

والذي يعرف الألمانية يرى أن بين النصين بونا واختلافاً ، وأن الترجمة يجب أن تكون على هذا الشكل : (١ - د . ونسب إلى دغفل بن حنظلة السدوسي النساب البكري (الفهرست ٨٩) كتاب التظافر والتناصر ، وهو مجالس عند معاوية . وفي التحفة البهية (استانبول ١٣٠٢ ص ٣٨) خطبة الناطقة الديباني نقلت منه) أي من الكتاب المذكور . ونجد بين النصين تفاوتاً بسبب إدخال جل أخذت من الفهرست لم ترد في النص الألماني ، لاكتفاء المؤلف الألماني بالأشارة إلى المورد وهو « الفهرست ص ٨٩ » ، وتصرفاً في عنوان الكتاب مثلاً ، ما كان على المترجم التصرف فيه ، لأنه عنوان . ونجد تساهلاً في الترجمة ابتعدت بالمترجم عن الأصل . وقد راجعت الفهرست فوجدته يختلف أيضاً عن الذي ذكره المترجم ، إذ ورد في الفهرست عن هذا النحور : « دغفل بن حنظلة السدومي . أدرك النبي ﷺ ، ولم يسمع منه . ووفد على معاوية . فأثاه قدامة بن ضرار القرعبي ، فأنسبه دغفل ، حتى بلغ أباه الذي واده . فقال : وولد ضرار رجلين . أما أحدهم فناسك ، وأما الآخر فشاعر ، فأيهما أنت ؟ فقال : أنا الكناني السفية ، وقد أصبت في نسي وكل أمري . فأخبرني متى أموت ؟ قال : ليس ذاك عندي . وقتلت دغفل الشراة ، ولا مصنف له » .

تأريخ الأدب العربي

ونرى مما تقدم أن المترجم ، نقل من الفهرست الى كلمة معاوية ، وأهمل للباقي . الى آخر خير قدامة . ثم عاد فنقل من الفهرست خبر مقتله وعدم وجود مصنف له ، فنقل خطأ إذ قال : قتلته الأزارقة . أما ابن النديم ، فقال : وقتلت دغفل الشراة . وكان عليه التقيد بنص الفهرست ما دام قد نقل منه ، كما كان عليه اثبات جملة : « ولا مصنف له » ثم الإشارة بعد ذلك الى المورد كما هو في الأصل الألماني . لا أت يقول : « ويقول ابن النديم : لا كتاب له » . وفي العبارة خروج واضح عن النص الألماني ، وخروج عن الأسلوب العربي البليغ في التعبير . وقد استعمل لفظة « كتاب » بدلا من « المصنف » وهي لفظة لم يستعملها ابن النديم ، وهي تختلف عند العلماء عن لفظة مصنف الواردة في الفهرست . وقد لاحظت أن الدكتور لم يتقيد بالنص الألماني تقيداً تاماً ، لحذف جملا ، وزاد كلمات أو جملا على النص بقصد الايضاح ، كما أنه حذف أرقاما تدل على الصفحات أو أجزاء الكتاب ، وهو عمل مخالف لأصول الترجمة . وقد كان عليه التقيد بالنص ، والمحافظة على الأصل الألماني محافظة تامة ، وعدم اضافة شيء اليه أو إخراجه منه . وقد يكون عذر المعرب عدم فائدة ذكر العناوين باللاتينية أو بغيرها لقارىء عربي لا يعرف غير هذه اللغة ، ولكن هذا عذر غير مقبول في نظري ، فالعناوين أو الجمل المحذوفة هي جزء من نص ، وليس يجوز اجراء أي تغيير مهما كان بسيطاً في النص . واذا وجد المعرب نقصاً أو خطأ فيه أو غلطاً أو حاجة الى ايضاح ، فيمكنه القيام بذلك مشكوراً في الحواشي ، مع الإشارة الى أنها منه ، أو في استدراكات يضعها في آخر كل فصل ، أو في آخر الكتاب .

ومن هذا القبيل ما ورد في الصفحة (٢٥٧) من التعريب عن الحسن البصري ، ففيه زيادات لم ترد في النص الألماني ، كما أنه نسي فيه ذكر بعض الموارد التي ذكرها « بروكلن » في النص ، مثل الحاشية رقم (١) المذكورة في الصفحة (١٠٢) من النص الألماني الملحق

الأول^(١)، ومثل أماله نحو سطرين مدونين في هذا الملحق بعد جملة: « وقبره مشهور بها الآن »^(٢)، وهما مهمتان، وهذا نصها بالألمانية:

* S. Niebuhr, Reiseber. II, 222, Zitiert Socin, Diwan aus Centralarabien No. 68, 16, Fähr. 185; Shahrastani, ed. Gureton 32 *^(٣)

ومثل أماله جملة « ابن الجوزي » الواردة بعد « الحلية » لأبي نعيم، وعسدم تقيده بالنص كما في (ابن العماد: شذرات الذهب ١: ١٣٨)^(٤)، إذ وضعه على هذه الصورة: « شذرات ابن العماد ١: ١٣٨ »^(٥)، وهذا الوضع وان كان صحيحاً، يخالف للنص الألماني، وفيه تصرف، ولا يجوز قطعاً التصرف في نص ما.

وقد أهمل في الصفحة (١٨٠) جملة تتألف من نحو ثلاثة أسطر، تحب إضافتها بعد فقرة « وخطبة الشيخ للرئيس »، حذفها كلها مع أنها في شرح العنوان ومضمونة في الأصل الألماني بعد العنوان العربي، وتعد جزءاً من الكتاب^(٦)، وعوض عنها بهذه العبارة: « طبع ليدن، باتافيا ١٦٢٩ » وهذا الحذف تصرف لا يجوز وقوعه، ما دام مذكوراً في النص.

وأضاف في الصفحة (١٧٩) كلمة « مجلة » قبل كلمة المشرق، فسارت على هذا النحو: « مجلة المشرق ». وهذه الزيادة وإن كانت غير مخلة بعنوان المجلة، أي المورد المذكور في النص الألماني، مخلة بطريقة الترجمة التي يجب أن يحافظ فيها على النص بحفاظة تامة.

Suppl., I, S. 102, ann. I. (١)

(٢) النص للعرب (ص ١٠٢) .

Suppl., I, S. 103. (٣)

Suppl., I, S. 102. (٤)

(٥) النص للعرب (ص ٢٠٧) .

Suppl., I, S. 73. (٦)

تأريخ الأدب العربي

ففي النص الألماني كلمة (مشرق) ^(١) فقط . فكان عليه أن يطبعها بهذه الصورة محافظة على الأصل . وليست الكلمة بعيدة عن قرأء هذا الكتاب .

وقد نسي المعرب في مواضع كثيرة من الكتاب الإشارة إلى الأجزاء والصفحات المذكورة في النص الألماني للموارد فاكثف بالصفحة (٢٦١) مثلاً يذكر اسم المورد وهو « بحار الأنوار » ، دون أن يشير إلى الجزء منه وإلى الصفحة مع أنها مذكوران في النص الألماني . حيث ورد : « بحار الأنوار ١٨/٢ » . أي الجزء الثاني ، الصفحة ١٨ . ويقع الكتاب كما هو معروف في أجزاء عديدة . ولا يمكن العثور عليه إلا بالرجوع إلى الصفحة والجزء .

ومن هذا القبيل إهماله الإشارة إلى الصفحة التي يجب الرجوع إليها في « كتاب المعارف لابن قتيبة » ، مع أنها مذكورة في النص الألماني ورقمها (١٥٨) ^(٢) .

ومن هذه الأوهام ما أورد في الصفحة (٢٣٢) من ترجمته ، اذ جاء فيها : (وقيل إن هناك قطعة من ديوانه بالموصل مكتبة داود ٤ ، ٩٩) . وقد ورد في النص الألماني « Da' ud, 99, 4 » . وقصد « بروكلن » بذلك : « كتاب مخطوطات الموصل » المطبوع ببغداد سنة ١٩٢٧ للدكتور داود الجلي ، لا مكتبة تسمى « مكتبة داود » كما توهم ذلك الدكتور . وتجد إشارة إلى ذلك في الصفحة (٩) من الملحق الأول للنص الألماني وفي الصفحة (٢٩) من الترجمة .

وقصد « بروكلن » بالرقم (٩٩/٤) رقم الديوان في كتاب مخطوطات الموصل . والرقم (٤) هو رقم الإشارة إلى الكتاب ، وهو على هذه الصورة : « ديوان ناقص الأول والآخر ، قد كتب عليه ديوان الجعدي » . وأما الرقم (٩٩) ، فهو رقم الصفحة من كتاب مخطوطات الموصل . والديوان المشار إليه هو من جملة المخطوطات المحفوظة في « مدرسة

(١) Suppl., I, S. 75.

(٢) راجع النص للمعرب (ص ٢٥١) ، وقيل بالنسبة لألماني : Suppl., I, S. 101.

الحجيات « بالموصل .

وقد وقعت في الكتاب غلطات مطبعية ، فُجِلت سنة وفاة الحسن البصري سنة (٧٣٨) لليلاد^(١) ، وصوابها سنة « ٧٢٨ » لليلاد في الأصل الألماني المقابلة لسنة ١١٠ للهجرة^(٢) . وصير المراجع « فاتيكان ٥ ، ١٢٤٢ ، ١١ » الوارد في الأصل الألماني^(٣) . على هذا النحو (فاتيكان ثالث ١١ و ١٢٤٢)^(٤) . وقد كان عليه أن يطبعه إما (٥) أي رقماً كما هو في الأصل وإما « خامس » كما يجب أن يكون . والمراد بالرقم المجلد الذي يجب الرجوع إليه . وقد طبع هكذا (٧) وفقاً للطريقة اللاتينية في الأصل الألماني .

وقد وجدت أن الدكتور المترجم قد سها في مواضع أخرى في فهم الأرقام اللاتينية ، فجعل الرقم (٦) الوارد في الصفحة (٧٤) من الملحق الأول الألماني ثلاثة^(٥) . بينما هو (٥) كما هو معروف . وقد سها في مواضع عديدة أخرى في نقله هذه الأرقام إلى أرقام عربية .

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد بما ذكره في مقدمته من أنه سلك في « ترجمة هذا الكتاب طريقة المزج والتأليف بين الكتاب الأصلي وملاحقه ، مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي ، بحيث يتحصل من كل ذلك كتاب موحد النسق ، متصل الموضوعات . وهذه هي الطريقة التي ارتضاها بروكلن نفسه ، ووضع هو خطتها لترجمة الكتاب بعد أن استشارته في ذلك الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وحصلت على موافقته واذنه في الترجمة سنة ١٩٤٨ »^(٦) . اذ وجدته ، يعتمد على الطبعة الثانية للأصل

(١) راجع الصفحة (٢٠٧) من النص العربي .

(٢) راجع النص الألماني. Suppl., I, S. 105.

(٣) Suppl., I, S. 45.

(٤) راجع الصفحة (١٨٠) من النص العربي .

(٥) الصفحة ١٧٦ .

(٦) الصفحة (١٥) .

تأريخ الأدب العربي

المطبوعة سنة (١٩٤٣) بالدرجة الأولى ، ويهمل الطبعة الأولى ، في أكثر الأحيان مع أن الطبعة الأولى أموراً لم ترد في الطبعة الثانية . والطبعة الثانية هي والملاحق التي صدرت قبلها أو بعدها جزء مكمل للأصل الأول القديم ، فكان على العرب الانتباه لذلك ، واعتبار الكتاب كله : الأصل القديم والطبعة الثانية والملاحق ، أصلاً واحداً لا يجوز التصرف فيه ولو بكلمة واحدة ، لأنه كما قلت سابقاً كتاب واحد وأصل يرجع إليه ، ولا يجوز التصرف في نصوص الأصول .

كما لاحظت أيضاً أن الدكتور لم يتقيد بنص الطبعة الثانية تقيداً حرفياً ، فأهمل بعض الأشياء . حين اعتمد على الطبعة الأولى أو على الملاحق . والظاهر أن اعتماده على هذا الأصل القديم في بعض الأحيان أو على الملاحق كان ينسبه الرجوع إلى الطبعة الثانية التي عدّها الأصل الأم ، أو إلى الأجزاء الأخرى الأصل أو الملاحق ، فأضاع بهذا السهو جملاً وعبارات وألفاظاً هي من صميم المادة ومن أصل الكتاب . وما على القاري المتقن للألمانية إلا أن يقابل بين النص العرب والنصوص الألمانية ، وسيرى بعينه أمثلة عديدة على ما أقول .

وقد كان على المترجم أن يراعي أسلوب المؤلف في التعبير ويتقيد به أيضاً ، وفاء لأصول الترجمة ، وأداء للأمانة . فسكان عليه أن يعبر عن التعجب بالتعجب ، وبالسؤال إن كان الأصل الألماني سؤالاً ، وبالماضي إن كان الأصل بالماضي ، وهكذا . وإلا أخرج الترجمة عن نطاق الترجمة ، وأساء إلى الأصل وإلى بلاغته وأسلوبه في التعبير . خذ مثلاً ما جاء في الصفحة (٢٥٠) من النص العربي ، وهو : « ٣١ زياد بن أبيه أخو معاوية من أبي سفيان . قيل : إنه أول من صنف كتاباً في المثالب ، ودفعه إلى ولده قائلًا لهم : استظفروا به على العرب ، فإنهم يكتفون عنكم » وقابله بالأصل الألماني في الصفحة (٦٣) من الطبعة الثانية ، وهو :

• Ia Ob Ziyad, der Halbbruder und Statthalter des Mu'awiya, Wirklich ein Buch über Verdächtige Familiengeschichten verfasst hat, das seine söhnen als Waffe gegen die sticheleien auf ihre Abstammung dienen sollte'darf man bezweifeln • .

تَرَ بَيْنَ هَذَيْنِ النَّصِيْنِ بَوْنًا شَاسِعًا فِي أَسْلُوبِ التَّعْبِيرِ وَفِي النَّصِيْنِ أَيْضًا . فَالنَّصِ الْعَرَبِي عَلَى قَصْرِهِ يَخْتَلِفُ عَنْ هَذَا النَّصِ الْقَصِيرِ الَّذِي اقْتَبَسْتَهُ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ .

وهالك مثلاً صغيراً آخر ورد في الصفحة (٢٥١) من النص المعرب هو : « وفي هذه الأخبار أشعار كثيرة على مذاهب أيام العرب » . وهي على رأي الدكتور ترجمة لجملة :

• Die Erzählung ist nach dem Muster der Aiyano al-' Arab mit Gedichten reichlich durchsetzt • .

الوارد في الصفحة (١٠٠) من الملحق الألماني الأول . فهل ترى بين الجملتين على قصرهما توافقاً ؟

لقد كان على الدكتور أن يعبر عن هذا النص الألماني بهذه العبارة : « والقص على طريقة أيام العرب . فيه أشعار كثيرة » . ويقصد المؤلف بذلك طريقة كتاب : أخبار عبيد ابن شريم الجرمي ، المطبوع .

وضبط المترجم لفظة « التلاميذ » الواردة في نسب الشنقيطي « محمد محمود بن التلاميذ » على هذا النحو « التلاميذ » . أي بالذال ^(١) . ضبطها على نحو ما اشتهر بها وعرف ^(٢) ، أما المؤلف « بروكلن » فقد ضبطها بـ « التلاميذ » ، ولما كان الكتاب ترجمة ، فقد كان على المترجم ضبط اللفظة على نحو ورودها في الأصل المترجم عنه . وعليه ابداء رأيه في ذيل الصفحة ، مع الإشارة الى ذلك ، ليميز القاري رأي المترجم من رأي المؤلف .

وقد وجدت الدكتور يتوسع في عبارات ، في مواضع لا تحتاج الى هذا التوسع ،

(١) الصفحة (١٠٨ ، و ٢٨٩) .

(٢) « اشهر والده بالذاليد (تصحيف التلاميذ) فعرف بابن التلاميذ » ، الأعلام (١١ / ٢) .

تأريخ الأدب العربي

فيورد جلاً وكلمات للتعبير عن عبارة ألمانية كان في وسعه التعبير عنها بإيجاز واختصار ، وبألفاظ لا تزيد على النص الألماني . وقد وقع في ذلك ، بسبب عدم جلاء الفكرة ووضوحها للمترجم على ما أظن ، وبغموض في التعبير وقع لديه ، فجاء يستجليه بعبارات مطولة ، كما يفعل كثير من المترجمين حيناً يجدون أنفسهم في مثل هذه المواقف . وقد يقع أيضاً بسبب التسرع والمجلة ، وعدم هضم الفكرة ، والرغبة في تقديم العمل بسرعة . وكلها أمور يجب ألا تقع ، ولا سيما في كتاب علمي وأصل من الأصول مثل هذا الكتاب يرجع إليه . وفي الامكان تلافيها باعادة النظر في الأصل مراراً لفهمه فهماً صحيحاً ومراجعة آخرين لاستشارتهم في مضمونه ومعناه ، ثم سبكه بأسلوب عربي مشرق يراعي فيه الإيجاز على طريقة العرب في البلاغة . مع أداء للمعنى مطابق له كل المطابقة .

ولاحظت أن المترجم يتوسع أحياناً باقتباس جمل وعبارات من المورد العربي الذي استند إليه المؤلف ، مثل الفهرست وغيره ، يضيفها الى المتن أي الأصل ، مع أنها غير موجودة فيه ، وغايته من ذلك الايضاح توضيح النص للقارئ على ما أظن . ذلك لأن المؤلف قد اكتفى بالإشارة الى المورد وبرمز في بعض الأحيان . فرجع المترجم الى ذلك المورد لتوضيح ذلك النص . وقد يكون لتوضيحه بالنسبة اليه ليسهل له التعبير عنه . وعمل مثل هذا غير جائز في نظري ، لسبب بسيط هو إبعاد النص المترجم عن النص الأصل . ولاحظت أيضاً أن المترجم لا يتقيد بما وضعه المؤلف من رموز واختصارات للموارد المتكررة . تجنباً للتكرار والحشو وتضخم حجم الكتاب ، فذكر مثلاً « فهرست ابن النديم » ، بينما هو « فهرست » في الأصل الألماني ^(١) ويتعدد المؤلف به فهرست ابن النديم ، كما أشار الى ذلك في موضعه . وذكر « فهرست كتاب الأغاني » ، بينما

(١) الصفحة (٥٢) من النص المترجم ، قابلاً بالصفحة (١٠٦) من نس المنهج الأول . وفي الصفحة

(٢٥١) وفي أكثر المواضع التي برد فيها اسم هذا المورد .

هو على هذه الصورة في النص الألماني (Ag : Index) ^(١) . « أغا . فهرست » ، أي « أغاني : فهرست » « فهرست الأغاني » . وذكر « الشعر والشعراء لابن قتيبة » ^(٢) ، بينما هو في الأصل الألماني « ابن قتيبة : الشعر » حتى أن المؤلف اختصر لفظة « ابن » بـ (b) ، وذلك تجنباً لتضخم حجم الكتاب . وذكر « ارشاد الأريب لياقوت » ^(٣) بينما هو « ياقوت : ارشاد » في الأصل الألماني ^(٤) . وكتب « لايل في شرح المفصليات ٢ : ٨ » (المقدمة) ، بينما هو على هذه الصورة في الأصل الألماني :

« Lyall Middle II, XIII » ^(٥)

وتفسيره (لايل : مفصليات ٢ و ١٣) . ويلاحظ أن المترجم قد أخطأ في فهم الرقم (XIII) الروماني ، فظنه ثمانية ، بينما هو (١٣) ، وذلك لأن (X) هو اختصار عشرة لا خمسة كما توهم ذلك ، فالجميع هو (٣ + ١٠) أي (١٣) أما الخمسة فيرمز إليها بـ (V) . وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل يخرجنا سردها من صلب هذا الموضوع . وقد أشرت إلى ما ذكرت ، لأن طريقة العرب هذه ستزيد في حجم الكتاب ضخامة . وهذه الزيادة وإن كانت كلمة أو كلمتين ، تكون في الواقع جملة صفحات في الأخير ، وهي زيادة لا حاجة إليها ، لأن قراء هذا الكتاب من الاختصاصيين أو المتقدمين في الثقافة ، فليست بهم حاجة إلى مثل هذه الزيادات . ثم إن المترجم لم يتقيد بطريقة واحدة ، بل نراه يجاري المؤلف في أسلوبه في مواضع أخرى في الأخذ برموزه ، مما يدل على أنه لم يسر على خطة واحدة وطريقة معينة في الإشارة إلى الموارد . وكان عليه كما قلت التقيد بقيود المؤلف ،

(١) الصفحة (٢٩٢) من النص المترجم ، و صفحة (١٠٠) من النص الألماني الملحق الأول .

(٢) الصفحة ٢٤٠ وفي مواضع عديدة أخرى .

(٣) الصفحة (٢٤٦) .

(٤) الملحق الأول (س ٩٥) .

(٥) الملحق الأول (س ٩٨) .

تأريخ الأدب العربي

لأنه جاء هنا ترجماً للمؤلف، وعلى الترجمان أن يلتزم التدقيق ويتجنب التصرف، ولا يسلك الطريق الذي يهديه فهمه للترجمة.

وقد لاحظت أن المترجم لم يتقيد باستعمال المصطلحات العربية المتعارفة في أيام العباسيين وقبلهم في مقابل المصطلحات الألمانية التي استعملها المؤلف للتعبير عن تلك المصطلحات في الألمانية، فترجم لفظة : « Anhänger » الواردة في جملة : « Seinem Anhänger » al-Mufaddal ، بلطفلة « تلميذ » فكتب : « ورويت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق : المفضل بن عمر... الخ »^(١). بينما يريد المؤلف بهذه اللفظة مصطلح « أصحاب » المستعملة في كتب الرجال. فأنك إذا قرأت كتب الفرق وكتب الرجال عند الشيعة، تجد فيها : « أصحاب الصادق »، وجملة « ومن أصحاب الصادق ». فكان على المترجم أن يقول : « ومن أصحابه »، أو أن يستعمل ألفاظاً عربية أخرى قريبة منها على الأقل، مثل « من أشياعه » و « من أتباعه » أو « من مواليه »، وهذا الاصطلاح مستعمل في كتب الشيعة إذ نجد فيها : « ومن موالي الصادق »، أي الموالين له. أما استعمال « تلميذ » في مقابل تلك اللفظة الألمانية، فأستعمل خطأ بالطبع. فإن اللفظة تعبيراً آخر في الألمانية هو : « Schüler »، وتطلق على تلامذة المدارس ممن هم دون مستوى الجامعة في الغالب. ولو أراد المؤلف هذه الكلمة، لأستعملها في كتابه، وبين اللفظتين فرق كبير^(٢).

ولاحظت أنه لم يحسن تعريب الموضع المذكور، فكتب : « ورويت بعض مصنفات لتلميذ جعفر الصادق : المفضل بن عمر الجمعي الكوفي، الذي أنقطع بعده إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلص، الأجدع الأسدي الكوفي، رأس الغلاة الخطائية، وقتل معه في الكوفة سنة ١٢٥ / ٧٦٥ ». وكان عليه أن يعبر عن النص الألماني بمثل هذه العبارة :

(١) راجع الصفحة (١٦٠) .

(٢) « عنه الشيع العباسي في رجاله من أصحاب الصادق »، فهرست الطوسي (س ١٦٩) « طبعه النجف »، « في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي جعفر »، معرفة أخبار الرجال للكبشي، (س ١٠٥) . وراجع أيضاً (الصفحة ٢٠٦ وما بعدها) عن : المفضل .

« و ذكرت لصاحبه المفضل بن عمر الجعفي الكوفي الذي انقطع فيما بعد لأبي الخطاب محمد بن أبي زينب مقلاص ، الأجدع ... » . وقد وقع خطأ في سنة وفاة : « المفضل » الميلادية إذ جعلها المغرب (٧٦٥) ، وهي (٧٦٢) في النسخ الألماني ^(١) . كما أنه أهمل ذكر الجزء والصفحة من كتاب بحار الأنوار للمجلسي ، فلم يذكرهما ، وهما في المستدرک الملحق وعلى الصفحة (٩٣٩) .

وهناك أمثلة عديدة من هذا القبيل ترد في كتب الفلسفة والرجال والفرق ، لم يلتفت إليها السيد المترجم ، بل استعمل لها ألفاظاً ، من مثل الاستعمال المتقدم ، هي ، وإن أدت المعنى ، لا تعبر عن مصطلح العلماء العرب ، ولا عن رأي المؤلف الذي أخذ مصطلحاته من مصطلحات أولئك العلماء .

هذا ولا بد لي من تنبيه الدكتور النجار على وجود أخطاء في الأصل الألماني ، فأت المؤلف الكبير « بروكلن » ، يجب على الدكتور المترجم التنبيه عليها والتنبيه لها ، يتعلق بعضها بأسماء المؤلفين ، وبعضها بعناوين الكتب ، وبعضها بالتواريخ . فخذوا لو تفضل الدكتور بالتنبيه عليها .

هذا ولا بد لي من تنبيهه أيضاً الى ضرورة تروييه في تصحيح تجارب الطبع ، وتأنيبه في قراءتها . ذلك لأن هذا الكتاب لا يشبه الكتب الأخرى . إنه مرجع ومتن . وكل خطأ مطبعي يقع فيه يحاسب المغرب عليه . فغلطة مثل « اشعار المتلس » الواردة في الصفحة (٢٩٠) من فهرسته وإن كانت ظاهرة واضحة . قصد المترجم بلفظة « المتلس » المتلس . لكنها غلطة على كل حال كان من الممكن تلافيها بالصبر والتأني في مطالعة تجارب الطبع . وغلطة مثل « غرر الحكم ودرر الكلم » الواردة في الصفحة (٣٠٢) من هذا الفهرست ، وإن كانت ظاهرة تدرك بالرجوع الى الصفحتين « ١٧٩ » و « ١٨٠ » ،

(١) الملحق الأول (الصفحة ١٠٤) .

حيث نجد « غرر الحكم ودرر الكلم » ، لكنها غلطة أيضاً ، ومن الطريف أن المترجم قد وقع في غلط مطبعي في رقم الصفحة ، إذ ذكر الرقم (٧٩) بدلاً من (١٧٩) وهو الرقم الصحيح . فعندما طلبت المقصود في الصفحة ذات الرقم (٧٩) لم أجده وبقيت أفكر فيه حتى انتهت إلى الصفحة (١٧٩) فعثرت عليه فيها ، وهناك اغلاط عديدة من هذا القبيل وقعت في المتن وفي الفهارس . وقد نبهت إلى بعضها فيما سبق . وفي الأمثلة المذكورة كفاية للتنبيه ، فلا حاجة بي إلى المزيد .

والأخطاء المطبعية الواردة في الكتاب المترجم مترجمة حقاً . وجدت لفظة (النوبختي) في الفهرست الذي رتبته المترجم ووجدت أمامها الرقم (٢٢٦) أي رقم الصفحة الواردة فيها هذا الاسم من النص ^(١) . فلما رجعت إلى الصفحة المشار إليها وجدتني تتحدث عن الرجز ولا علاقة لها بأي موضوع هو من اختصاص النوبختي ، صاحب كتاب الآراء وديانات الشيعة . وبعد مطالعتي للكتاب ورجوعي إلى اسم الكتاب في الفهرست (ص ٢٨٩) وجدت أنه في حاشية (الصفحة ٢٩٠) . وأن الرقم (٢٢٦) هو خطأ مطبعي . وقد كان من الواجب على المترجم وقد اتعب نفسه في وضع فهرست مفصل للكتاب المترجم احصاء كل ما ورد في الكتاب من أسماء كتب وأسماء مؤلفين حتى يكون فهرسته كاملاً تام الفائدة ، ولكني وجدته نسي وبإللاس أسماء عديدة . كنت اطالع الصفحة (١٧٦) ، فوجدته يشير إلى كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، لمحمد محسن ج ٢ ص ٤٣١٤) ، وقد لفت نظري الرقم (٤٣١٤) لضخامته . ورجعت إلى فهرست المترجم الدكتور النجار ، فلم أجده في الصفحة (٢٨٤) وفيها (مجد) ، ثم رجعت إلى حرف الذال في فهرست أسماء الكتب ، فلم أجده فيه ، واضطرت عندئذ إلى مراجعة مكتبة المجمع للرجوع إلى أصل كتاب الذريعة ، فوجدت المترجم قد أخطأ في تثبيت رقم الجزء إذ دونه

(١) الصفحة (٢٨٦) .

(٢) بينما هو (٣) وقد نص عليه بالحروف حيث جاء (الجزء الثالث) وهو في الكتب التي يبدأ اسمها بحرف الباء والتاء، ثم وجدته قد أخطأ في الإشارة إلى الصفحة إذ هي (٢٠٥). وكان الواجب عليه الإشارة إلى رقم الكتاب في هذه الصفحة وهو (٧٥٨). ولا أدري من أين جاء المترجم الدكتور عفي الله عنه بهذا الرقم الضخم (٤٣١٤). كما وجدته وضع لفظة «الكيدري» بدلاً من «الكيدري»، التي هي نسبة إلى قطب الدين أبو الحسن محمد بن الحسن البيهقي النيسابوري. كما هو مثبت في كتاب الذريعة^(١).

وقد تبين لي بعد بحث، أن هذا الرقم الضخم هو حاصل غلط مطبعي، نتج عن إضافة رقم (٤) خطأ على يمين الرقم الصحيح الوارد في الجزء الثالث من كتاب الذريعة وهو في ترجمة الكيدري. فتولد من هذا الغلط هذا الرقم الكبير.

هذا بعض ما وجدته في النص المترجم في أثناء مراجعاتي السريعة له. وهي ملاحظات أرى من الإنصاف أن أقول إنها، لا بد أن يقع فيها كل إنسان ولا سيما إذا قام بمثل هذا العمل المضي بصورة منفردة ومن غير مشاركة أحد.

وبعد، فاني أقترح على الدكتور النجّار أن يتفضل بإشراك جماعة من الاختصاصيين معه في العمل ممن يلمّون اليوم، لأن الكتاب ضخم كبير، وهو يتناول موضوعات متعددة، ليس من السهل على رجل واحد الإحاطة بها، ليقابل معهم ما يعرفه بالنص الألماني، فيضبط بذلك الأسماء والعناوين والأرقام ضبطاً صحيحاً، ويستعين بمن يعرف منهم اللغة الفارسية والتركية في ضبط العناوين المدونة بهاتين اللغتين والتي ترد في النص الألماني، كما عليه الاستعانة بخبراء المخطوطات في ضبط العناوين والأسماء والرجوع إلى فهرس المخطوطات في أثناء وقوعهم في مشكل، ليكون العمل متقناً كاملاً معبراً عن الأصل كل التعبير. فالكتاب، مرجع من المراجع الأمهات، يرجع إليه للضبط والاسترشاد، وهو

الجزء الثاني من كتاب ملحق فهرست المطبوعات العربية

ليس مثل الكتب الأخرى يعبر عن فكرة ورأي ، فيجوز التساهل فيه بعض الشيء . وكل هفوة فيه وإن كانت بسيطة ، توقع المراجع من حيث لا يدري في خطأ . ولهذا وجب بذل الاعتناء كله في تدقيقه وفي المحافظة على الأصل من حيث الأداء والتعبير عن المعنى بأبين وجه ، وبأسلوب عربي متين ولا سيما أنه من منشورات جامعة الدول العربية ، وقصد طبع بنفقة الإدارة الثقافية . وجامعة الدول العربية ، اسمى هيئة دولية عربية ، فلا يجوز اخراج شيء باسمها إلا بعد التأكد من جودته وانتقائه ، وإلا صار مأخذاً يأخذه عليها العلماء .

وإني أرجو من الدكتور الاستمرار في العمل والانصراف إلى نشر الكتاب كله : أصله وهو في جزئين ، وملحقاته الضخمة ، كما أرجو من جامعة الدول العربية مساعدته بتمكينه من نشره بالسرعة الممكنة وتفضيل عمله على غيره من حيث الأهمية في النشر . بعد ملاحظة المسائل المذكورة وهفوات أخرى ، لم يسمح لي الوقت بالتطرق إليها ، وملاحظات آخرين من أصحاب الخبرة والدراية ، وهو عمل سيحتاج إلى سنين ولا شك ، لصعوبته وضخامته وتشعبه . وإلا ضاع الجهد ، وبقيت الحاجة إلى الكتاب ، باقية كما هي وبقيت كل نفس متعلقة به . ولست أظن أن الجامعة ستهمل الكتاب وتتركه بعد أن بلغ هذه المرحلة .

الجزء الثاني من كتاب ملحق فهرست المطبوعات العربية المحفوظة في المتحف البريطاني

ط . سنة ١٩٥٩ م

أصدر مجلس أمناء المتحف البريطاني الجزء الثاني من هذا الكتاب :

« Second Supplementary Catalogue of Arabic Printed Books in the British museum » .

وهو في (١١١٢) صفحة من القطع الكبير . صنفه خازن كتب المتحف « السيد

اسكندر فلتن » « Alexander S. Fulton » والمساعد السيد « مارتين لنكس »

« Martin Lings » ، وضعه كل الآثار العربية المطبوعة التي دخلت خزانة المتحف البريطاني من سنة ١٩٢٦ الى ١٩٥٧ م . ورتبه على الحروف الهجائية لأسماء أصحاب الآثار المطبوعة . كما رتبه على أسماء الآثار . ليساعد في معرفة أسماء أصحابها اذا كان المراجع على جهل به . وقد جعل المصنف أمام كل أثر اسم صاحبه ، وعدد صفحاته ، وسنة طبعه ، وحجم الأثر ، وعدد أجزائه ، وموضع طبعه ، ورقه الذي وضع له في المتحف البريطاني ، وأضاف قسماً ثالثاً بالموضوعات . فاذا كان الأثر في الفرق ، رجعت الى هذا القسم ، واذا كان في التاريخ رجعت الى القسم المعنون « تأريخ » ، واذا كان في الأدب رجعت الى موضوع « الأدب » ، وهكذا ، وذلك ليساعدك على الوقوف عليه بسرعة ان قصدت خزانة كتب المتحف و اردت الحصول على أثر من هذه الآثار .

وقد جعل المصنف كل صفحة من صفحات فهرسته الكبيرة الحجم عمودين ، وطبع كتابه طبعا متقنا ، ووضع عناوينه بحروف لاتينية على طريقة المستشرقين المقررة ، وبحروف عربية في أكثر الأحيان . ومع صعوبة تضيق مثل هذا الكتاب . المحتوى على عناوين وأسماء يجب أن تكون مضبوطة ضبطاً صحيحاً ، ومع أن المنضدين هم بريطانيون لا يفقهون شيئاً لامن العربية ولا من الموضوع الذي ينضدون كتابته ، فانهم قد أجادوا اجادة كبيرة في الطبع وفي الاتقان وفي الضبط والدقة ، وفي فن الطباعة ، فخرج الكتاب نظيفاً خالياً من الخطأ المطبعي ، مجلداً تجليداً أليفاً ، وقد جعل سحره (١٣) جنباً انكليزياً . وهو بالطبع مرجع مهم لخواة الكتب ، وسجل سيكون سنداً للباحثين يرجعون اليه في المتحف وفي خارجه للوقوف على الحركة الفكرية للعالم العربي في النصف الأول من القرن العشرين .

مفترت عمر كي سرطاري خطوط

هذا كتاب من منشورات « ندوة المصنفين » ، ومن مؤلفات السيد « خورشيد

حضرت عمر كى سركارى خطوط

أحمد فاروق : « أستاذ الأدب العربى فى جامعة « دهلى » . « دهلى يونيورسلى » . وقد طبع سنة ١٩٥٩ فى (٦٥٤) . صفحة من القطع الوسط . وهو جمع وحصر لأوامر الخليفة عمر ابن الخطاب وكتبه الى ولاته وعماله ، وقد ترجمها وشرحها الأستاذ باللغة الأوردية ، ليقف عليها المتابعون للدراسات الإسلامية فى الهند .

وقد قدم الجامع لهذه الأوامر والكتب الى أصحاب الدراسات الإسلامية خدمة كبيرة ، بجمع كل شتاها ومتفرقاتها فى مؤلف واحد ، وضبطها فى مكان محدود . إذ هى كما يعرف القراء مبعثرة منشورة فى كتب عديدة ، يصعب على الراغب فى الوقوف عليها الامام بها ، والاحاطة بها جملة ، للاستفادة منها فى الوقوف على آراء الخليفة وأحكامه فى عهد خلافته . ولهذا ، فقد أفاد الأستاذ « خورشيد » طلاب الدراسات الإسلامية قائدة كبيرة بجمعه لهذه الأوامر من موارد مختلفة ومتعددة أشار اليها فى ذيل الكتاب ، وحصرها فى مجلد واحد ، كما أفاد القراء بشروحه الثمينة وتعليقاته النفيسة عليها .

والكتاب وإن كان باللغة الأوردية مرجع مهم أيضاً للذين لا يعرفون هذه اللغة ، فى استطاعة القارى العربى ، الاستفادة منه بالرجوع الى هذه الرسائل والأوامر ، لتكوين رأى فى حكم عمر وآرائه ، لأنها مطبوعة بأصولها العربية ، وهى مجموعة كلها فى هذا الكتاب .

وقد زين المؤلف كتابه بخارطات للمواضع التى تتعلق بها الرسائل والأوامر ، وشفعها بشروح وإيضاحات لتلك الأماكن وتاريخ فتحها ، كما كتب سير الأشخاص الذين عنوت الرسائل اليهم ، وسير روايتهم ، وكل ما يتعلق بها ، فمؤلف مورد ثمين للباحثين عن هذا العهد الخطير من تاريخ صدر الاسلام .

في عالم الكتب والنشر

لجأت بعض الجامعات ودور النشر إلى إصدار مجلات ونشرات خاصة بالمؤلفات في الأمور الفكرية، المطبوعة والمخطوطة. وذلك لغرض التعريف بالنتاج العقلي لقطر معين أو لمنطقة معينة ذات تراث مشترك ولغة واحدة. ومنها ما هو عام، يتعرض لكل ما هو جيد ومفيد من تراث السامي.

والنشرات المذكورة هي في لغات مختلفة، منها ما هو بلغة انكليزية وهو الغالب، لسعة انتشار هذه اللغة وكثرة من يفهمها من غير الانكليز، ومنها ما هو بلغة فرنسية أو ألمانية أو روسية أو إيطالية أو إسبانية. وقد اهتمت بعض دور النشر والمكتبات الأهلية في البلاد العربية بإصدار نشرات أو مجلات بالتعريف بالمطبوعات العربية، ولكنها قليلة، وقد مات أكثرها في مهده، لعدم تمكن ناشرها من سد نفقات النشر وعدم استفادتهم مادياً منها في الدعاية والإعلان. ولمعهد المخطوطات في الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية مجلة خصصت للبحث في المخطوطات.

ومن المنشورات الخاصة بالآثار الأدبية والفكرية بوجه عام، الصادرة باللغة الانكليزية مجلة بعنوان: «Books Abroad»، وتصدرها «جامعة أوكلاهوما» «Oklahoma University» أربع مرات في السنة. وهي عامة لا تخص قطراً بعينه. بل تبحث عن تمار الفكر في كل مكان: في أميركا وأوروبا وآسيا وأفريقيا وأستراليا. ولهذا تجد في أعدادها موضوعات متعددة عن الأدب والتأليف في أميركا وباكستان والملايا وفرنسا وبروسية وغير ذلك من الأماكن. كما تجد فيها أبحاثاً في حياة أديب معين معاصر أو ميمت مشهور أو نقداً لبعض المؤلفات أو تقييماً.

وغالب موضوعاتها عن الأدب الانكليزي أو الألماني أو الفرنسي أو الإيطالي أو الإسباني،

في عالم الكتب والاستشراق

وذلك لأن الكتاب في هذه اللغات يجيدون اللغة الانكليزية لغة هذه المجلة . وقد تجد فيها بحثاً عن الأدب العربي المعاصر أو الأدب الفارسي أو الأدب التركي ، بقلم كتاب انكليز أو أميركان . وذلك لعدم اقبال الكتاب العرب وبالأأسف على كتابة مقالات بلغات أجنبية عن الحياة الفكرية في بلادهم ، خصوصاً في الأيام الحاضرة ، احوال عديدة لا مجال لتفصيلها في هذا المكان .

أما نشرة « Books to Come » ، فتصدر ست مرات في السنة بمدينة « نيويورك » ، وتحتوي على أسماء الكتب والنشرات التي تصدر في الولايات المتحدة في كل الموضوعات . حتى الرياضة البدنية والسينما وأمنائها . وهي متسلسلة على حسب الموضوعات وفقاً للغة الانكليزية ، ومرتبة وفقاً للأبجدية اللاتينية . وبحسب ظهور المؤلف بالنسبة الى الشهور . فتجد فيها أسماء آلاف من الكتب والنشرات التي ظهرت في الولايات المتحدة مرتبة حسب تأريخ ظهورها في الأسواق . ويحتوي كل عدد على مسردين (فهرسين) . مسرد لأسماء المؤلفين ومسرد للعناوين .

وهناك نشرة شهرية للكتب التي تطبع في الولايات المتحدة وعنوانها : « Books from the U. S. A. » تصدرها دار « Frederic G. Melcher » للنشر . في مدينة « نيويورك » . تضم الكتب التي تنشر في أميركا . كما تنقد بعض الكتب المهمة على اختلاف فروعها وأنواعها . وتحتوي أيضاً على خلاصة لحدث ما يطرأ على الفكر الأميركي الطريف أو التليد ، من تحول أو ابتكار أو تحوير . وقد يقرن ذلك بالصور وبالنماذج المصورة لزيادة الايضاح .

وتساعدك نشرة « Cleaver Home Press 1960 » ، التي تصدرها دار النشر المعروفة بهذا الاسم في لندن مساعدة كبيرة في الوقوف على ما يطبع فيها أو في غيرها من كتب في كل فروع المعرفة الانسانية . وفيها فصول خاصة بأسماء الكتب المطبوعة في العلوم .

وأسماء المجلات العلمية المتعلقة بالعلوم عامة أو بنوع واحد منها . كما تجد فيها أسماء المجلات والمؤلفات الروسية العلمية المنقولة الى اللغة الانكليزية .

وتؤدي دار النشر المعروفة بـ « Brill » بمدينة « لايدن » في هولندا خدمة كبيرة الى الاستشراق باصدارها نشرات دورية عديدة في التعريف بالكتب المتعلقة بشؤون آسيا وافريقيا ، فلها نشرات اسبوعية وشهرية بالمؤلفات التي تظهر في كل مكان من العالم عن تراث القارتين ، بمختلف اللغات . بما في ذلك المؤلفات المطبوعة في آسيا وفي افريقيا بلغات أممها وشعوبها . وفيها تعريف مختصر بالمؤلف بعدد صفحاته واسم مؤلفه وناشره ومكان طبعه وسعره . سواء أكان المؤلف من مطبوعات هذه الدار المعروفة أم دار أخرى . وتصدر هذه النشرات بالانكليزية والالمانية ولغات أخرى .

هذا بالإضافة الى النشرات التي تصدرها الدار والمعروفة بعنوان « Brill's Catalogue » . وقد صدر منها مئات الأعداد ، فان لها نشرات بعنوان « Brill's News » . تحتوي على أخبار كل ما هو جديد في عالم الكتب . بشيء من النقد والتفصيل . وهي نشرة مهمة جداً لمن يريد توسيع معارفه وزيادة علمه بأحوال الشرق .

ولهذه الدار فضل كبير على الشرق من ناحية أخرى : من ناحية نشرها المؤلفات المخطوطة القديمة والمؤلفات العلمية العميقة عن الشرق . وتعد مطبوعات « بريل » العربية اليوم من أهم المطبوعات من حيث الدقة والصحة ، وهي نادرة . ولا زال الدار دائبة على عملها العلمي الخيري هذا ، وهي تساهم مساهمة كبيرة في نشر الموسوعة المعروفة باسم : « دائرة المعارف الاسلامية » ، التي تصدر بثلاث لغات : الانكليزية والالمانية والفرنسية . وتعد نشرات مكتبة « لوزاك » « Luzac » بلندن من أهم النشرات المفيدة في موضوع الاستشراق . وتصدر هذه المكتبة مجلة نشرات أهمها بالنسبة للباحث في العريسات والاسلاميات النشرة المعروفة بـ : « Luzac's Oriental List and Book Review »

في عالم الكتب والاستشراق

وهي منظمة ومرتببة ترتيباً وفق الموضوعات وعلى حسب حروف الهجاء لأسماء المؤلفين .
وهي مورد مساعد كبير يساعد الطالب والاستاذ على زيادة معارفه في العلوم العربية
والاسلاميات .

وتفيد مسارد (فهارس) الكتب التي تصدرها مكتبة « Ge-Nabrink » بامستردام
بهولندة بعنوان : « Orientalia » عشاق الكتب في العالم العربي فائدة كبيرة في ارشادهم
الى الكتب القديمة والحديثة المطبوعة عن القارات الثلاث : آسيا وأستراليا وأفريقيا .
وهي منسقة على أساس الأبجدية المرتبة على أسماء المؤلفين وللتوزيع الجغرافي . فإذا
أردت كتاباً عن العرب مثلاً أو عن العراق رجعت الى المسرد (الفهرس) العام ، وهناك
تجد أرقام الصفحات الباحثة في هذا الموضوع . وتقف عندئذ على أسماء ما نشر وما يوجد
لدى هذه المكتبة من مطبوعات . وهي من المنشورات المطبوعة باللغة الانكليزية .

ومكتبة « Routledge and Kegan Paul » ، نشرة دورية بالكتب التي تطبعها .
وهي في مختلف الفروع والموضوعات ، مثل الرياضيات والطبيعية والدين والعلوم
الصناعية والتربية ، وفي جملتها موضوعات الاستشراق . كما تقوم بتعريف الكتب التي تطبع
في أماكن أخرى في انكلترا وفي خارجها . ولهذا فهي مفيدة للراغبين في الوقوف على ما يطبع
عن البلاد الشرقية في اللغات الأجنبية وعن الموضوعات الأخرى ولا سيما الأدب والفن .
وتعني دار النشر « Stevens and Sons » الانكليزية ، بنشر نشرات دورية عن
القضايا الأهمية مثل السياسة العالمية والقانون الدولي والشؤون العسكرية والعلوم السياسية
وما شابه ذلك من موضوعات . ولذلك فهي تفيد الباحثين في هذه الأمور .

وهناك نشرة شهرية اسمها : « Spanish Cultural Index » تصدر بالانكليزية ،
فيها أسماء ما ينشر في اسبانيا في مختلف فروع المعرفة : علمية وأدبية وفنية ، مرتبة حسب
الموضوعات . تصدرها « دائرة العلاقات الثقافية في الحكومة الاسبانية » . وتجد فيها

كذلك أخباراً لها صلة بالشؤون الثقافية مثل إقامة المعارض الثقافية الخاصة باللغة الإسبانية وتطور الكتاب الإسباني . وما ينشر عن هذه اللغة في العالم الخارجي . وهذه النشرة هي ترجمة لنشرة تصدر في اللغة الإسبانية عنوايتها : « Indice Cultural Español » .

ومن المجلات المعنية بالبحث عن الآثار الفكرية الإيطالية مجلة :

« Italian Books and Periodicals » . وتصدر باللغة الإنكليزية . تتضمن مقالات

مركزة في موضوعات عن الفكر الإيطالي . ونقوداً لبعض الكتب تعقبها فهارس للآثار التي تطبع في ايطالية في خلال الفترة التي تقع بين عدد وعدد آخر من المجلة . ترتب حسب الموضوعات والعلوم . وحسب الحروف الهجائية . والمجلة مرجع مهم لاغنى عنه لمن يريد الوقوف على الحركة الفكرية في ايطالية . ومرجع يستغنى به من يعرف اللغة الإيطالية ، ويريد مورداً ايطالياً يستعين به في فرعه واختصاصه .

وتصدر في الهند نشرة اخبارية عن الشؤون الثقافية بعنوان :

« Cultural News from India » يصدرها « المجلس الهندي للعلاقات الثقافية » .

تتضمن البحث عن الأمور الثقافية في الهند ، وتعريفاً بأهم الكتب والآثار الفكرية القيمة التي تطبع فيها . وأخبار الجامعات ودور النشر . وهي تصدر مرة واحدة في كل شهرين .

أما نشرة « Cultural News from Germany » ، فإنها نشرة اخبارية تصدرها دائرة العلاقات الثقافية في ألمانيا الاتحادية بمدينة « بون » العاصمة . تتضمن كل ما يدخل في مصطلح « ثقافة » من أخبار . ففيها أخبار عن الكتب والنشرات الألمانية وفيها أخبار عن الموسيقى والمعارض والفن والجامعات وغير ذلك مما يهم القاري الوقوف عليه عن احوال الثقافة في ألمانيا الاتحادية .

في عالم الكتب والاستشراق

أما نشرة :

• Monatsberichte der Deutschen Akademie der Wissenschaften zu Berlin •
فإنها نشرة اخبارية يصدرها « المجمع العلمي الألماني ببرلين » بالمطبوعات العلمية التي يصدرها
هذا المجمع والتي تطبع في مطبعته أو في المطابع الأخرى . وتشتمل على مطبوعات في
الرياضيات والفلك والفيزياء الفلسفية والفيزياء والعلوم الصناعية والكيمياء وعلم الأحياء
وعلم طبقات الأرض والتعدين وعلم البحث عن المعادن والطب العملي والطب النظري وتاريخ
الطب وغير ذلك من العلوم .

وللمجمع العلمي « الشيكوسلوفاكي » نشرة يصدرها باللغة التشيكية وباللغة الألمانية
في المطبوعات العلمية والفنية والصناعية والأدبية التي ينشرها هذا المجمع بمختلف
اللغات . وهي تقيد الباحثين ولا شك في الوقوف على ما ينشره هذا المجمع هناك . كما أن
المجمع العلمي البولوني نشرة تصدر بالبولونية والألمانية تتضمن تعريفاً بالمطبوعات التي
ينشرها هذا المجمع في كل فروع المعرفة الانسانية وتطبع في برلين .
وعلى شاكلة وطراز نشرة المجمع العلمي الشيكوسلوفاكي والبولوني والألماني ، يصدر
المجمع العلمي الروماني والمجمع العلمي الهنغاري نشرات تعريف بالمطبوعات التي تنشر باسم
المجمعين .

وتصدر باللغة الألمانية نشرة أربعة مرات في السنة من برلين بعنوان « Ankündigungen »
تبحث عن الكتاب الألماني وما ينشر في الألمانية من آثار . في كل أنواع المعرفة
الانسانية . من علوم وأدب وصناعة . وفيها تعريف بالكتب الألمانية ، وعرض عام لكل
كتاب مهم . وترسل مجاناً لكل ناشر وصاحب مكتبة لتساعده في الوقوف على ما ينشر
من الكتب والنشرات باللغة الألمانية في ألمانيا الاتحادية والمالية الشرقية . وهي عون
بالطبع للواقفين على اللغة الألمانية يساعدهم في الحصول على آخر مسا ينتجه العقل الألماني

من حديث أو قديم في صنوف العلوم والآداب والمعرفة .

ويجد الواقفون على اللغة الألمانية في مجلة : « Die Bücher Kommentare » ، وهي مجلة في حجم الجرائد العادية تصدر أربع مرات في السنة ، مادة دسمة عن الكتب عامة . وفيها أبواب خاصة بنقد المؤلفات ذات المستوى العالمي العالي . وتصدر في مدينة « Stuttgart » بألمانيا الغربية . يساهم في تحريرها نخبة من مشاهير الكتاب الألمان . وفيها نقد وتعريف لأهم ما يطبع في اللغات الأجنبية وما ينقل الى اللغة الألمانية من تراث فكري أجنبي .

وتصدر جمعية أصحاب المكتبات بألمانيا ومقرها مدينة « فرنكفورت على نهر الماين » ، نشرة تصدر ست مرات في السنة ، بأسماء الكتب المختارة التي تصدر بالألمانية وعنوانها : « Deutsche Bibliographie : das Deutsche Buch » . وتجد أمام كل كتاب نبذة عن محتواه وعن قيمته وشخصية مؤلفه ، وتقدماً مركزاً عنه . بقلم أساتذة من أصحاب الاختصاص . ولذلك فالنشرة مرجع مهم للواقفين على اللغة الألمانية . وهي تتناول كل نواحي المعرفة الانسانية من علم وفن وأدب .

ولمكتبة « Fl. Tulkens » بمدينة « بروكسل » « Bruxelles » نشرة مهمة ، تنشر باللغة الفرنسية تحتوي على أسماء المؤلفات الصادرة عن الشرق . وعن المطبوعات القديمة الموجودة لديها للبيع . وأمام كل مطبوع وصف مختصر له . وضع على طريقة أصحاب المكتبات في الغرب في التعريف بالكتاب مع بيان سعره ليستفيد منه القارئ .

من منشورات المستشرقين : طبع في مدينة « لايدن » الجزء الخامس والعشرون من « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » ، وذلك في سنة ١٩٥٩ . وظهر القسم السابع عشر من الموسوعة الاسلامية « Ency of Islam » في اللغة الانكليزية وسيتم طبع الجزء الثامن عشر قريباً .

في عالم الكتب والاستشراق

وطبع في السنة الماضية كتابٌ باللغة الانكليزية بعنوان :

« Islamic Law in the Modern World » ، مؤلفه الأستاذ « Anderson » ، استاذ الشريعة الاسلامية في جامعة لندن . وهو عن الفقه والقوانين المطبقة حديثاً في مختلف أنحاء العالم الاسلامي .

وطبع معهد العلاقات الدولية والقانون المقارن « البريطاني :

« The British Institute of International and Comparative Law »

كتاباً بالوثائق المتعلقة بمشكلة قناة السويس وكيفية حلها . وقد طبع في هذه السنة وعنوانه : « The Suez Canal Settlement » . لجامعة « Lauterpacht » . كما طبع كتاب عن نظريات وآراء ابن سينا بعنوان :

« Avicenna and the Visionary Recital » ، مؤلفه : « Henry Corbin » استاذ الاسلاميات في جامعة السوربون . وقد استعان المؤلف ببعض مخطوطات ابن سينا التي عثر عليها في ايران .

وقد ظهر المجلد الثاني من مجلة :

« The Annual of Leeds University oriental Society » ، وقد سام

فيه أساتذة القسم الشرقي في جامعة « ليسنز » بالكلية وفيه بحث قيم عن السكتب الموسيقية التي وردت اسمائها في كتاب الفهرست لابن النديم . للأستاذ « فارمر » المشهور المعروف في بحوثه عن الموسيقى عند العرب .

وظهر الجزء الثالث من مجلة :

« Journal of the Economic and Social History of the Orient »

وهي مجلة مهمة تُعنى بالدراسات الاقتصادية والاجتماعية لبلدان الشرقية :

أما مجلة : « Review of the Electrical Communication Laboratory »

فاتها من المجلات الدورية الاختصاصية في موضوعات العلوم الكهربائية وبحوثها في اليابان . وفيها بحوث قيمة كتبها اختصاصيون في الموضوعات المذكورة .

وقد ظهر المجلد السادس من نشرة « Japan Science Review » . وهو في العلوم الاقتصادية « Economic Sciences » . وقد أصدره الاتحاد الياباني للعلوم الاقتصادية ، ويقع في (٢٤٢) صفحة تضمنت أسماء علماء الاقتصاد في اليابان وأشهر مؤلفاتهم ونقداً علمياً لأشهر المؤلفات والنشرات والبحوث التي ظهرت في سنة ١٩٦٠ في تلك البلاد . وهو لذلك مرجع مهم لمن يريد الوقوف على الدراسات العلمية الاقتصادية في اليابان .

وقد وصل الجزء الثاني من المجلد الأول من مجلة « Folia Orientalia » التي يصدرها المجمع العلمي البولوني في مدينة « كراكو » Krakow . وقد تضمن بحوثاً قيمة كتبت بالبولونية والروسية والألمانية والانكليزية والفرنسية في موضوعات استشرافية عديدة . جمعها « ٣٧٣ » صفحة . وفيها فصل خاص بنقد الكتب التي تظهر في مختلف أنحاء العالم عن الشرق . وفي مجلة ما جاء فيه من بحوث قيمة بحث عن المراجع الواردة عن مجيء الإباضيين الى جبل نفوسة . كتبه : « Tadeusz Lewicki » . وبحث عن نصوص عربية في السودان لـ « Andrzej Czapkiewicz » ، وبحث قيم عن الأعلام الجغرافية الواردة في زهرة المشتاق للأدريسي ومقابلتها بالأصل الأوربي لتلك الأعلام . كتبه المستشرق « Wladyslaw Kubiak » . وبحث عن النقود الإسلامية الموجودة في بولونيا . وبحوث أخرى عن التصوف واللغة والتأريخ وغير ذلك . ولا سيما في الموضوعات المتعلقة بالشعوب الإسلامية الخاضعة الآن للاتحاد السوفيتي .

جامعة ملبورن: قرر قسم الدراسات السامية : « Department of Semitic Studies » في جامعة ملبورن باسترالية بالاشتراك مع الجمعية الاسيوية الافريقية في جامعة ملبورن إصدار مجلة دورية باسم « Abar — Naharaim » تخصص بالدراسات

في عالم الكتب والاستشراق

السامية : العربية والسريانية والعبرانية . وستقوم بنشر البحوث التي يقوم بها أساتذة المعهد والأساتذة الأجانب المتخصصون بالساميات . وقد قرر القسم أن يُعنى بالدراسات الإسلامية خاصة . لما للعالم الإسلامي من أهمية في هذا الوقت . وسينشر بعض المخطوطات العربية النادرة المخفية في خزانة كتب قسم الدراسات السامية في هذه الجامعة .

مؤتمر المستشرقين : انعقد مؤتمر المستشرقين الخامس والعشرون في مدينة موسكو بين اليومين : التاسع والسادس عشر من آب هذه السنة . وهو استمرار لمؤتمر المستشرقين الذي جرت العادة في عقده منذ سنة (١٨٧٣) ، إذ عقد فيها أول مؤتمر للمستشرقين . وكان آخر مؤتمر لهم قد عقد في سنة (١٩٥٧) في مدينة « مونيخ » بألمانيا الغربية . وحضر هذا المؤتمر (٩٤٧) عالم من علماء الاستشراق . من مجموع ثلاثة آلاف دعوة وجهت الى اشخاص وهيئات علمية في مختلف أنحاء العالم . وقد اشترك فيه (٤٩٥) باحث من الاتحاد السوفيتي . و (١٢٣) من بريطانيا و (٣٢٧) من الولايات المتحدة و (٩٩) من فرنسا و (٥٤) من اليابان و (٥١) من ألمانيا الغربية و (٨٥) من ألمانيا الشرقية . أما الدول العربية فقد مثلها كلها ما يقارب أربعين عالماً . وأرسل الصهاينة خمسة عشر رجلاً ، هذا ، فضلاً عن آخرين اشتركوا في هذا المؤتمر باسم دولهم التي ينتمون اليها . وقد قرر المؤتمر أن يكون اجتماعه المقبل سنة ١٩٦٣ في الهند .

وقد انقسم المؤتمر الى جانب اختصاص ، توزع الأعضاء فيها حسب اختصاصهم . والقيت فيه (٧٦٧) محاضرة وبحث من أهمها بالنسبة للعالم العربي محاضرة الأستاذ « فيبي » الدانماركي عن الحفريات الدانماركية في جزيرة « فيلسكة » في الكويت . وتقرير للأستاذ المستشرق الألماني « يوسف شاخت » عن الطبعة الجديدة الموسوعة الإسلامية « Ency. of Islam » ، ومحاضرة المستشرق الياباني عن السمات البارزة لتأريخ الشرق

الأوسط ومحاضرة للويس ماسنيون عن بناء المدن العربية وبحث للمستشرق الفرنسي «كلود كاين» عن نشوء الوقف وأصله . وبحث للمستشرق «غرابار» الانكليزي عن تصاوير المقامات . وآخر للمستشرق الكندي «جورج ميشل ويكنر» عما كتبه نصير الدين الطوسي عن سقوط بغداد . كما التقى المستشرق الألماني «جورج كرامر» بحثاً عن كتاب غير معروف لابن دريد ، والمستشرق «جورج سكاتلوف» عن مصادر تأريخ الفنون الحربية الاسلامية في القرون الوسطى ، والمستشرق «ورنر كاسل» عن معنى علم الانساب عند العرب ، والتقى المستشرق الكندي «ويلفرت سمث» بحثاً بعنوان : «مدلول الشريعة في علم الكلام» . اما المستشرق «ولتر فيشر» فألقى بحثاً بعنوان طريقة ابن خلدون في الاستفادة من المصادر التاريخية .

وهناك بحوث عديدة أخرى لقيت عن نواح معينة خاصة من الدراسات العربية والاسلامية . وقد ساهم في هذا المؤتمر بالقاء بحوث ومحاضرات علماء من العالم العربي والاسلامي .

نشر كتاب : «الفت المستشرق الايطالية» لورا فاكيري» بحثاً في مؤتمر المستشرقين عن خطة الجهات الاستشرافية في ايطالية في نشر الكتاب الجغرافي المهم «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» . وقد اتصلت تلك الجهات بمختلف المكتبات في العالم للحصول على نسخ مصورة من هذا الكتاب للاعتماد عليها في نشره .

معارض كتب دولية : أخذت الدول في مختلف انحاء العالم تعنى بمعارض الكتب والتراث الفكري . ومن هذه المعارض ما هو دولي أو ذو طابع اقليمي . وقد صارت هذه المعارض من جملة وسائل الدعاية والتفاخر ، وهذا ما جعل الدول تنفق عليها بسخاء من المخصصات التي ترصدها في ميزانيتها للدعاية . وعلى كل ، ومهما كان الغرض ، فان لهذه المعارض فائدة كبيرة في جعل الوقوف على التراث العقلي في متناول الناس .

خبر عن أعمال المجمع العلمي العراقي

في سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠

هذه تذكرة لما قام به المجمع في غضون المدة التي انصرفت بين آخر مجلد صدر من هذه المجلة ، وهذا الجزء الذي يقدم الى القراء ، التزمت فيها ، وضمتها الأمور التي تفيد من يريد الوقوف على سيرة المجمع وتطوره :

ديوان الرئاسة : تحتم المادة التاسعة من نظام المجمع تجديد انتخاب الرئيس ونائبيه في مفتح كل عام مجدي . وقد عقدت الجلسة الأولى لسنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ مساء الثلاثاء الرابع من تشرين الأول لتنفيذ حكم هذه المادة . فانتخب بالاقتراع السري الأستاذ السيد منير القاضي رئيساً والأستاذ السيد محمد بهجة الأثري نائباً أول للرئيس ، والدكتور مصطفى جواد نائباً ثانياً . ومن حضرات الأساتذة المذكورين مضافاً اليهم العضو العامل الدكتور جواد علي سكرتير المجمع ، تكون ديوان الرئاسة لسنة ١٩٦٠ — ١٩٦١ .

مؤتمرات : وجه مؤتمر المستشرقين الذي انعقد في موسكو في شهر آب من هذه السنة دعوة الى المجمع العلمي العراقي لارسال مندوب عنه لحضوره . وقد اختار المجمع الدكتور مصطفى جواد العضو العامل لتمثيله هناك ، ولكن ظروف شخصية مفاجئة حالت دون حضوره ، كما ان العضو العامل الدكتور ناجي الأسيل لم يتمكن من الحضور ، لتواتر مواعيد المؤتمرات وهو في جنيف ينتظر ورود معلومات كان قد طلبها . وسافر الأستاذ محمد بهجة الأثري نائب رئيس المجمع الأول وكذلك الأستاذ بهد رضا الشبيبي عضو المجمع الفخري الى فاس ، بدعوة وجهتها اليها الحكومة المغربية للاشتراك في الاحتفال بجامعة القرويين وهي أقدم

جامعة اسلامية أسست هناك .

وقد حضر الدكتور ناجي الأصيل عضو المجمع العامل مؤتمر المستشرقين الآثاريين في جنيف بدعوة من المؤتمر .

وفاته أعضاء : شخ المجمع خلال هذه المدة ب وفاة المرحوم الدكتور داوود الجلي عضو المجمع المراسل ، رحمه الله وعوض الآداب العربية عنه خيراً .

الميزانية : بقيت موازنة المجمع على ما هي عليه ، دون أن يضاف إليها شيء ما . أما مشروع البناية المقررة للمجمع ، فقد توقف في هذه السنة ، بانتظار النتائج التي سيسفر عنها فحص التربة ، وقد وضعت مديرية الأشغال العامة مناقصة فحص التربة في الإعلان ، وسيشرع بالتمهيد غداً انبائها .

الطبعة : نظراً لضيق ميزانية المجمع ، لم يتمكن من شراء شيء جديد يضيفه الى مقتنيات المطبعة للهوض بمستواها . وكان المجمع قد تقدم الى الوزارة في اثناء اعساده ميزانيته برجاء الموافقة على تخصيص مبلغ عشرة آلاف دينار لاقتناء آلة تنضيد ، ومبلغ ألف وخمسة دنانير لاقتناء ادوات تجليد ، ولكنه لم يوفق للحصول على شيء من ذلك . مطبوعاته : انجز طبع الجزء الثامن من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ، وسبقاشر المطبعة بطبع الكتب التي قرر المجمع طبعاها حسب الترتيب . كما انجز طبع الفقرة السادسة من نشرات المجمع في المصطلحات العلمية .

المصطلحات : انجز المجمع مصطلحات علم التربية ، وهي حوالي ثلاثمائة مصطلح . وسيباشر بدراسة المصطلحات الأخرى الواردة اليه من مختلف الدوائر والجهات . وقد باشر فعلاً بدراسة مصطلحات التربية البدنية . وهي مصطلحات تقع في جملة قوائم أرسلتها اليه

خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي

اللائحة الثقافية بجامعة الدول العربية . وسيدأشهر بعد الانتهاء منها النظر في مصطلحات « مصلحة نقل الركاب » .

الهرابا : تسلم المجمع حجة هدايا من المؤلفين ومن الناشرين ، فأودعها خزانة كتبه ، ودون في سجل الكتب أسماء مهديها . ومن الناشرين الذين اعتادوا ارسال مطبوعاتهم الى المجمع : مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، والمجمع العلمي العربي بدمشق ، والمعهد العلمي الفرنسي بدمشق . ومكتبة لينينغراد .

الشعبة الفنية : وافق المجمع على ايفاد ملاحظ الشعبة الفنية الى « جيكونسولوفاكيا » لمدة سنة واحدة ، لاستزادة معلوماته في امور التصوير وقواعده وما يتعلق بذلك . وقد صدرت الشعبة مخطوطة تأريخ الغياثي لأحد طلاب العلم في جامعة « برنستون » للاستعانة بها في بحث يعمده لنيل شهادة الدكتوراه . كما قامت بتصوير جملة مخطوطات ووثائق لمديرية الآثار القديمة العامة وخزانة كتب المجمع .

اجتماعات : عقد المجمع (٢٥) اجتماعاً في السنة ١٩٥٩ - ١٩٦٠ الجمعية ، انتهى فيها دراسة مصطلحات علم التربة ، ومختلف الموضوعات العلمية والقضايا الادارية والاستفتات اللغوية والعلمية التي عرضت عليه .

زارات الأجانب : ولقد قصد المجمع عدد من الزوار الأجانب الذين زاروا العراق ، من بينهم رئيس الجالية الاسلامية يوغوسلافيا ، ومدير التعليم العالي العام بـ « جيكونسولوفاكيا » ، والدكتور بيبك المستشرق المعروف ، عضو المجمع العلمي السويدي . والأستاذ في جامعة « اوبسالا » . وقد انتخبه المجمع إثر ذلك عضواً مراسلاً . والدكتور موراي ، المدير العام للملاقات الثقافية في وزارة الخارجية الاسبانية . كما قصده نفر من مختلف الجنسيات لشراء مطبوعاته .

لجنة المجلد : تتألف لجنة المجلة في الوقت الحاضر من الأساتذة السادة : محمد بهجة الأثري وشيث نعمان والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي . ووظيفتها النظر في البحوث التي يرسلها كتّابها إلى المجمع لنشرها في مجلته . وتقبل اللجنة ما يرد إليها من الكتاب سواء أكانوا من أعضاء المجمع أم من غيرهم إذا كان منسجماً مع خطة المجمع ، غزيراً في مادة . وهي إذ تجيز نشر ما يرد إليها من مقالات وبحوث فإنها تنشرها على مسؤولية أصحابها ، فلا تعرض لها بتصحيح لا في الموضوع ولا في اللغة والأسلوب .

ومجلة المجمع مجلة كل طالب علم ، ليست خاصة بأعضاء المجمع — لا يكتب فيها غيرهم ، ولا تفسح صدرها لكتاب دون آخرين — بل هي مجلة تنشر ما لأعضاء المجمع وما لغيرهم . وما بعض المقالات التي يجدها القارئ في هذا الجزء ، وهي لغير أعضاء المجمع ، إلا برهان على فساد ما قد يذهب إليه بعض الناس من القول إن المجمع قصر مجلته على نشر نتائج أعضائه .

أجزاء المجلة وبرل الاسترالي : مجلة المجمع مثل المجلات الجمعية الأخرى ، لا تنقيد بشهر أو بفصل ، فليست الجامع دور نشر فتتقيد بقيود مواعيد الإصدار ، وقاعدتها في النشر التمسك بالمجلدات ، وقد يكون المجلد جزءاً واحداً واسماً كما كان المجلد السابق ، وقد يكون مجلة أجزاء . ولهذا لا يتقيد المجمع بتعيين مبلغ خاص بالاشتراك ، بل يتقيد ببيع المجلة على أساس ثمن الجزء الصادر إلى السوق وهو (٢٠٠) فلس للجزء الواحد . مأخوذاً من إدارة المجمع . مضافاً إليه أجرة البريد ، إذا كان مطلوباً في البريد .

نشر كتاب : قرر المجمع في جلسته الخامسة لهذه السنة الجمعية ، نشر تاريخ الغياني ، وقد أحيل أمر تحقيقه على لجنة مكونة من السادة الأساتذة : عباس المزاري والدكتور مصطفى جواد والدكتور حسين علي محفوظ .

خلاصة أعمال المجمع العلمي العراقي

استشارك في معارض كتب : وقرر الاشتراك في معرض الكتاب السادس المنوي عقده في بيروت في أواخر هذا الشهر ، وفي معرض الكتب الدولي المنوي عقده في نهاية الشهر القادم في « لاهور » بالباكستان . وقد أرسل مطبوعاته الى السفارة العراقية ببيروت والسفارة العراقية بكراحي لعرضها في المعرضين .

اعادة طبع كتاب : نظراً لنفاذ الجزئين الأول والثاني منذ مدة طويلة من كتاب تاريخ العرب قبل الاسلام ، فقد قرر المجمع اعادة طبع الجزء الأول منه ، وسيبشر بطبعه قريباً .

مبارك علي

« فهرس المجلد السابع »
من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

المقالة	المؤلف	الصفحة
المثل في القرآن الكريم	الأستاذ منير الفاضلي	١٠٣
النقد الأدبي ومصادره	عبداس الغزاوي	١٠٦
البحث العلمي عند العرب المسلمين	الدكتور جواد علي	١٢٥
عولف جبهة أشجار العرب	مصطفى جواد	١٢٥
وزراء السلاجقة في شعر عصرهم	علي جواد الطاهر	١٦٧
الدراسات العربية في السبائية	الطهران الدكتور ووفائي بيداور	٢١١
في تاريخ المشكلة اللغوية	الدكتور إبراهيم السامرائي	٢٢٧
مصطلحات في علم القرية	المجمع العلمي العراقي	٢٣٩
المضائق من معجم الأدباء	الدكتور مصطفى جواد	٢٥٦
باب الكتب		
كتاب الإبدال	الأستاذ منير الفاضلي	٣٠٣
تعريف التقديم بأبي العلاء	الدكتور مصطفى جواد	٣٠٧
تاريخ الأدب العربي لكارل بروكس	جواد علي	٣٣٢
ملحق فهرست المطبوعات العربية		٣٥٢
حضرت عمر بن الخطاب		٣٥٣
في عالم الكتب والاستشراف		٣٥٥
خلاصة أعمال المجمع		٣٦٦

مطبوعات مجمع علمي العراقي

- مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الأول) .
- « « « « (المجلد الثاني) .
- « « « « (المجلد الثالث : جزءان) .
- « « « « (المجلد الرابع : جزءان) .
- « « « « (المجلد الخامس) .
- « « « « (المجلد السادس) .
- « « « « (المجلد السابع) .
- كتاب الفهم ليجي بن علي بن يحيى النجم - تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري ، نقد .
- تاريخ العرب قبل الإسلام « الجزء الأول » — نقد .
- « « « « « الجزء الثاني » — نقد .
- « « « « « الجزء الثالث » .
- « « « « « الجزء الرابع » . القسم السياسي
- « « « « « الجزء الخامس » . القسم الديني
- « « « « « الجزء السادس » . القسم الديني
- « « « « « الجزء السابع » . القسم اللغوي
- « « « « « الجزء الثامن » . القسم الاجتماعي والثقافي
- صورة الأرض للشريف الإدريسي - تحقيق الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي .
- موجز الدورة الدموية في السككية - للدكتور هاشم الوتري .
- المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد - للحافظ ابن الديلمي - انتقاء الامام الذهبي ، الجزء الأول تحقيق الدكتور مصطفى جواد .
- بلدان الخلافة الشرقية ... تأليف لسترنج وترجمة بشير فرئيس وكوركيس عواد .
- خريدة القصر وجريدة أهل العصر - لعبد الأسعداني - القسم العراقي - الجزء

للدكتور جواد علي

الأول : حقه وضبطه وشرحه وكتب مقدمته الأستاذ محمد بهجة الأثري ، وأعد أسسه وشارك في تحقيقه ومعارضته ومنع فهارسه الدكتور جميل سميد .

منازع الفكر الحديث - تأليف سي. م. جود ، ترجمة المرحوم الأستاذ عباس فضلي نخاس وصحاحه الدكتور عبد العزيز البسام .

الخطاط البغدادي علي بن هلال (ابن البواب) - تأليف الدكتور سهيل أنور ، و ترجمة الأستاذين : محمد بهجة الأثري وعزيز سامي .

كتاب الجامع الكبير في صناعة المشور من الكلام والمنظوم : تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور جميل سميد .

مصطلحات الجمع في هندسة السكك والري والأشغال وفي الصناعة والملاحة والطيران .
مصطلحات الجمع في صناعة النفط .

فككة إكمال الأكمال - تأليف جمال الدين أبي حامد محمد بن علي الحمودي المعروف بابن الصابوني حقه وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد .

مؤرخ العراق ابن الفوطي ج ١ - للأستاذ محمد رضا الشيباني الجزء الأول .

« « « « « « « « الثاني .

مقدمة لرياضيات - تأليف وابتهيد ، و ترجمة المرحوم الأستاذ محيي الدين يوسف .
الدينار الإسلامي في التحف العراقي - لاسيد ناصر النقشبندي .

خارطة بغداد قديماً وحديثاً - وضع الدكتور أحمد سوسة والدكتور مصطفى جواد والسيد أحمد حامد العراقي .

الرقاية من السبل الرئوي والبي . سي. جي . - للمرحوم الدكتور شريف عميران .

دليل خارطة بغداد المفصل - للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد سوسة .

العراق في الخوارط القديمة - جمع وتحقيق الدكتور أحمد سوسة

مصطلحات الألكتروني .

« القانون الدستوري .

« علم القضاء .